الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 2

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة

مقدمة لنيل شهادة

دكتوراه العلوم

التخصص: المعجمية وقضايا الدلالة

إعداد الطالب: مقران شطة

عنوان الأطروحة

أزمة تلقي الخطاب اللساني الغربي في الثقافة العربية المعاصرة
أعمال تمام حسان أنموذجا

المشرف: أ . د/ صلاح الدين زرال

جامعة سطيف 2

أعضاء لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ. د/ يوسف وسطاني	أستاذ	جامعة سطيف 2	رئيساً
أ.د/ صلاح الدين زرال	أستاذ	جامعة سطيف 2	مشرفاً ومقرراَ
د/ عمر بوبقار	أستاذ محاضر (أ)	المدرسة العليا للأساتذة العلمة	ممتحناً
د/ زهر الدين رحماني	أستاذ محاضر (أ)	جامعة برج بورعريرج	ممتحناً
د/ أحمد مرغم	أستاذ محاضر (أ)	جامعة سطيف 2	ممتحناً
د/ خالد هدنة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة سطيف 2	ممتحناً

السنة الجامعية 2019 - 2020

بسم الله الرحمن الرحيم

مـــــــــــــقدمة

لقد شكّل ظهور اللسانيات مع مطلع القرن العشرين مرحلة فارقة في تاريخ الفكر اللغوي الإنساني، وتوجها جديدا حمل معه تطلعات وآفاقا جديدة في دراسة اللغة، مما استدعى اتصال عدد من الثقافات بمصادر اللسانيات. اتّصل علماء العربية المحدثون كغيرهم من الأقوام باللسانيات عبر قنوات مختلفة مباشرة وغير مباشرة، لكن اتصالهم هذا كان متأخرا نوعا ما مقارنة مع تاريخ نشر محاضرات فرديناند دي سوسير التي تعدُّ معلما للتأريخ لبداية اللسانيات وانتشارها في العالم

إن تأخر هذا الاتصال باللسانيات الغربية في الثقافة العربية كان من الممكن أن يكون لصالح علماء العربية المحدثين، فيبنى عليه نوع من التراكم المعرفي، فاللاحق دائما لديه فرصة استيعاب والإحاطة بما جاء به السابق، مما يمكنه من تأدية أدوار عديدة؛ كالتجديد بإقامة صروح نظرية جديدة أو إجراء تعديلات على نظريات قائمة، كما أنّ الاطلاع على السابق يمكن من التمثُّل والفهم الجيد لما جاء به السابقون مما يهيء الأمر لتطبيقٍ ناجع لهذه النظريات. لكن للأسف الشديد كُسِرَت أفق تلك التوقعات؛ فبعد اطلاع علماء العربية المحدثين على اللسانيات بدأت حركة الترجمة والتأليف لهذا العلم عربيًا، وبدأت تظهر معها إشكالات تعلقت في بادئ الأمر بالمصطلح ولغة هذا العلم، ثم تطوّر الأمر إلى إشكالات أعمق وأخطر على تلقي اللسانيات مثل علاقة اللسانيات بالتراث اللغوي العربي، وبتطبيق اللسانيات على اللغة العربية...وغيرها.

انتبه عدد من الدارسين لهذا الوضع الذي تعيشه اللسانيات في ثقافتنا العربية، إذ حملت مقدمات ومداخل بعض المؤلفات إشارات إلى بعض تلك الإشكالات و وثَّقت مواقف أصحابها منها، ثم تطور رصد الدارسين العرب لهذا الوضع فخُصِّصَت المقالات والمؤلفات المستقلة لهذا الموضوع وعقدت الندوات والملتقيات لمناقشته، غير أن الطابع العام على هذه الدراسات هو تركيزها الكبير على المصطلح اللساني أكثر من غيره من الإشكالات. بل طُرحَت إشكالات هامشية لا تلامس حقيقة وطبيعة وضع اللسانيات

نتيجة استباحة هذا التخصص وعدم احترام هويته، حتى خاض غير اللساني في اللسانيات، وتلونت إشكالات اللسانيات بألوان ثقافية إيديولوجية.

استمر تلقي اللسانيات في الثقافة العربية وتراكمت مع السنين جملة من الإشكالات في ظل عدم مراجعة ما يكتب مراجعةً شاملة وفي أطر منظمة. وارتبط وضع اللسانيات في الثقافة العربية بنوع من التأزم تجسّد في ارتباط الحديث عنها بعدة مصطلحات من قبيل، العوائق والصعوبات والمشاكل والإشكالات، وكلها مسميات تتفق على الحالة السلبية للبحث اللساني العربي، وتختلف في طريقة نقد وتقويم هذه الحالة. وفي العقد الأخير من القرن العشرين ظهر نمط جديد من التحليل النقدي للمنجز اللساني العربي، يهتم بنقد الكتابات اللسانية العربية في إطار منظم يمتح أدواته من الإبستيمولوجيا وفلسفة وتاريخ العلوم دون أن يكتفي بما تقدمه اللسانيات. أُطلِق على هذا النمط في بعض الكتابات (إبستيمولوجيا اللسانيات، المقاربة الإبستيمولوجية للسانيات، الممارسة الإبستيمولوجية ...إلخ) وكلها مسميات تدل على قوة انتماء هذا النمط من التحليل النقدي للإطار الإبستيمولوجي، وأكبر دليل على ذلك استعارته مصطلح (الأزمة) من الأدبيات الإبستيمولوجية للدلالة على الوضع الإشكالي في اللسانيات العربية.

إن أزمة اللسانيات في الثقافة العربية لا تدل على مرحلة من تاريخ العلم، يتم بموجبها الانتقال من نظرية إلى أخرى، وذلك عندما تصبح النظرية الأولى قاصرة عن تفسير الظاهرة المدروسة وتتخللها مجموعة من الأخطاء التي لا يتم تداركها. إن أزمة اللسانيات في الثقافة العربية تكاد تقترب من هذا التصور المعمول به في الدراسات الإبستيمولوجية، غير أنها حالة من الانفصال داخل النظرية اللسانية نفسها بين ثقافتين (ثقافة مصدر وثقافة هدف) حيث تعيش اللسانيات- بوصفها علما وافدا - في الثقافة العربية حالة من التشتت لا تعكس الصورة الحقيقية للسانيات في مصادرها الغربية.

وانطلاقا مما سبق جاء عنوان هذه الدراسة على الشكل الآتي: **"أزمة تلقي الخطاب اللساني الغربي في الثقافة العربية المعاصرة ـ أعمال تمام حسان أنموذجا"** ليجيب على مجموعة من التساؤلات:

هل يعبر مصطلح الأزمة عن وضع اللسانيات في الثقافة العربية؟ وإن كان كذلك فأين تكمن أسباب ومظاهر الأزمة في تلقي الخطاب اللساني الغربي في الثقافة العربية المعاصرة، وعند تمام حسان تحديدا؟ ولئن كانت أزمة اللسانيات في الثقافة العربية أزمة تَمَثُّلٍ للأسس النظرية والمنهجية فما هو حال تلقي وتمثُّل هذه الأسس في أعمال تمام حسان؟

إنني لا أدعي السبق في هذا النوع من الدراسة النقدية، بل إنني أعترف أن دراستي هذه تأخذ من دراسات رائدة في مجال التحليل النقدي أو الممارسة الإبستيمولوجية للسانيات العربية، وأعني بذلك دراسة مصطفى غلفان (اللسانيات العربية ـ دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية) وحافظ إسماعيلي علوي (اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته). غير أن ما تتميز به هذه الدراسة هو تخصيص تحليلها النقدي لأعمال أحد اللسانين العرب، فلم تكن عامةً كما في الدراستين المذكورتين أعلاه. كما أنني لا أدعي السبق في دراسة أعمال تمام حسان، فقد فاقت الدراسات والبحوث على هذه المدونة مائة دراسة على أقل تقدير بين مقالات وأجزاء من كتب ورسائل جامعية. وهذه الدراسات على كثرتها ليست على نمط واحد فهي تتوزع على أربعة أنماط:

- دراسات حاولت رصد معالم النظرية التي دعا إليها تمام حسان.
- دراسات تطبيقية سعت إلى تطبيق نظرية القرائن النحوية أو إحدى القرائن على مدونة لغوية (قرآنية أو شعرية).
- دراسات حاولت أن ترصد مظاهر التجديد والتيسير.

- دراسات نقدية.

وما يتماس مع هذه الدراسة ويمكن الإفادة منه هو النمط الرابع، غير أن ذلك لا يحجب الإضافة التي حاولنا أن نضيفها من خلال هذه الأطروحة، لأن ما أنجز من نقدٍ لأعمال تمام حسان كان جزئيا؛ فهو إما مقال أو جزء من كتاب، كما أن هذا الاجتزاء لم يكن في الحجم فقط بل لامس المضمون، فما تم تناوله بالنقد هو جوانب محددة في الغالب مثل دراسة فكرة النظام اللغوي مع (محمد صلاح الدين الشريف) و(إبراهيم بن مراد)، أو دراسة نقدِ النحو مع (عزالدين المجدوب). لهذا سيكون لزاما على هذه الدراسة حتى يكون لها التميز أن تتجاوز التجزيء وتسعى إلى التوسع أكبر قدر ممكن في نقد تمام حسان.

إن اختيار أعمال تمام حسان مدونةً لهذه الدراسة سيثير التساؤل في نفس قارئها (لماذا أعمال تمام حسان دون غيره من اللسانيين العرب؟ وهل ينسحب ما وقع فيه تمام حسان على أقرانه من اللسانيين العرب؟). إن اختيار أعمال تمام حسان لم يكن اختيارا عشوائيا أو محض اعتباط، بل كان مبنيا على مجموعة من الأسباب التي نذكر منها:

- قلة الدراسات النقدية المخصصة لأعمال لساني عربي معين.
- ريادة تمام حسان في المشهد اللساني العربي والوصفي تحديدا.
- تَمَيُّزُ الدراسات النقدية لأعمال تمام حسان بالاجتزاء، فلم تدرس كل أعماله وأفكاره.
- حمولة أعمال تمام حسان بمواقف جديدة جريئة تستحق المناقشة والنقد.
- تبني عدد كبير من الدارسين لأفكاره ووصف خطابه اللساني بالنظرية دون مناقشة للأسس والمبادئ التي قام عليه هذا الخطاب اللساني.

لقد تطلبت الإجابة على الإشكالية المطروحة سابقا تقسيم البحث إلى مدخل وثلاثة فصول:

مدخلٌ عرضنا فيه للإطار الذي تنضوي تحته هذه الدراسة وهو إبستيمولوجيا اللسانيات في الثقافة العربية وما أفرزته ممارستها من مظاهر وأنماط.

وفصلٌ أول عرضنا فيه لبعض جوانب تلقي اللسانيات في الثقافة العربية من خلال الوقوف على بعض النماذج المتمثلة في فروع اللسانيات ومستوياتها ونظرياتها الكبرى، ثم اللسانيات التطبيقية.

وفصلٌ ثان – وهو فصل أولٌ تطبيقي– درسنا فيه تلقي الأسس النظرية للسانيات في أعمال تمام حسان من خلال تسليط الضوء على الجهاز الواصف للخطاب اللساني عند تمام حسان ومصادره وأسسه.

وفصلٌ ثالث – وهو فصل تطبيقي ثان – درسنا فيه الأسس المنهجية للسانيات في أعمال تمام حسان من خلال الوقوف على مفهوم الوصف وتقنياته، وعلى التحليل البنيوي.

أما المنهجُ المتبع في هذه الدراسة فهو منهجٌ تحليلي يتناسب مع طبيعة الموضوع، إذ سألج مباحث الأطروحة بمداخل وصفية تعريفية لمفهوم أو مبدأ أو فكرة معينة ثم أباشر تحليلها. ولما كانت طبيعة الدراسة نقديةً فقد اتّسم التحليل بكونه نقديا في كثيرا من المواضع، مما استدعى مقارنةَ أعمال تمام حسان بخطاب آخر يُعتمَد عليه في تحديد مواضع الخطأ فكانت اللسانيات – كما تتمثلها بعض الأعمال اللسانية العربية الرائدة والجادة أو بعض الترجمات لنصوص غربية – هي ذلك المقياس، بالإضافة إلى بعض الأفكار من إبستيمولوجيا اللسانيات. كما تمت الاستعانة بالرصد الببليوغرافي في هذه الدراسة، لأنه يحمل الكثير من مؤشرات التحليل النقدي، حيث قيَّدت عددا لا بأس به من المراجع اللسانية في جداول حوت أسماء المؤلفين وعناوين كتبهم وسنوات النشر، كما حوت أسماء المترجمين وسنوات الترجمة في حالة الكتب المترجمة.

لم يخلُ البحث من مواجهة بعض الصعوبات من قبيل خشية الوقوع في التأويل في غياب حقائق واضحة مصرحٍ بها في أعمال تمام حسان، فالرجل لا يصرح بمصادره وأسسه مما يجعل اتخاذ أعماله مدونة للدراسةيحتاج اطلاعا واسعا وقدرة عالية على الفهم والتحليل ومن الصعوبات التي واجهت البحث صعوبة الحصول على معلومات المراجع التي احتاجها الرصد الببليوغرافي .

وإنني إذ أنهي هذه العمل أتقدم بشكري الجزيل لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور (صلاح الدين زرال) الذي رافق مراحل إنجاز هذا العمل، وكان مشجعا على إنهائه بتوجيهه ودعمه. والشكر موصول أيضا إلى كل الأساتذة والباحثين الذين وجهوا فكري إلى طرق هذا الموضوع أو صوبوا مساره، وأخص بالذكر الأستاذ (مصطفى غلفان) من المغرب.

المدخل:

إبستيمولوجيا اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة

شهدت نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين ظهور نمط جديد من الكتابة اللسانية العربية، فبعد مرور نصف قرن ـ تقريبا ـ على بداية تلقي اللسانيات في الثقافة العربية بدأت تلوح في الأفق دراسات لسانية يحاول أصحابها رصد واقع اللسانيات وتقصِّي المشاكل والعوائق التي حالت دون تقدمها في ثقافتنا العربية حتى يُفسّح المجال لتوطينِها عربيا وتلقيها تلقيا سليما.

لقد كان السياق الذي ظهرت فيه تلك الدراسات مواتيا لإعطاء نفسٍ جديد للسانيات في الثقافة العربية، إذ تراكمت على مدى تلك الخمسين سنة من التلقي مادةٌ لسانية معتبرة من مؤلفات وترجمات ومقالات، تكوّن على إثرها خطابٌ لسانيٌ عربيٌ درسَ الظاهرة اللغوية مركزا في أغلب الأحيان على اللغة العربية وفق ما توصلت إليه النظريات والمناهج اللسانية الحديثة، والمتأملُ لهذا الخطاب سيدرك مدى غناه وتنوعه كما وكيفا بتعدد خلفيات ومشارب الدارسين.استغل بعض اللسانيين العرب تراكم هذه المادة اللسانية، فشرعوا في قراءة المنجز اللساني العربي وتمحيصه ليتسنى لهم الكشف عن منطلقاته وأسسه وعند هذه المرحلة تبين لهم أن تلقي الخطاب اللساني الغربي عربيا قد تخللته مجموعة من الإشكالات والأخطاء، مما جعل البعض يصف ما يسود المنشوراتِ العربيةَ في مجال اللسانيات بـ "الخطاب الهزيل"[1]. قد يكون هذا الوصف قاسيا بعض الشيء، وهو ليس الوصف الوحيد، إذ توجد أوصافٌ أقسى منه، وللأسف"لا تزال آثار ذلك ممتدة وباقية"[2]

وقد استدعى هذا الوضع التعجيل بإيجاد حلول نظرية ومنهجية، فكان (النقد والتقويم) أولَ خطوة يخطوها الدارسون الواعون بضعف التجربة اللسانية العربية. ونلمسُ ذلك التعجيل في نقد وتقويم المنجز اللساني العربي في عبارة لأحد رواد هذا المجال؛ "لقد آن الأوان

[1] . عبدالقادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية– نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، الرباط، ط3، 1993. ص35.

[2] . سعد عبدالعزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة . دراسات ومثاقفات، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004، ص23.

أن نقوِّم التجربة اللسانية في الثقافة العربية الراهنة"[1]. بل إن (سعد عبدالعزيز مصلوح) ذهب أبعد من ذلك عندما أعطى للنقد حكما شرعيا؛ "وإني لأحسبه من فروض الأعيان القاضية بعدم كتمان العلم أن يدلي أهله دلاءهم بالجدل المنتج والمراجعة لما تتداوله السوق البحثية من مصنفات"[2].

انبرى لنقد وتقويم المنجز اللساني العربي جملة من الدارسين في أزمنة متفاوتة، ولربما تعود إرهاصات هذا العمل إلى الأزمنة الأولى لتلقي اللسانيات،حيث حوى كتاب محمود السعران (علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربي) المنشور سنة 1962 إشارةً صريحة لما نتكلم عنه، فقد خُصِّص مبحثٌ من الكتاب للحديث عن الصعوبات التي تحول دون كتابة هذا العلم بالعربية ومحاولة الإفادة منه في الميادين اللغوية العربية[3]، ولم يكن هذا الكتاب الوحيدَ في مثل تلك الإشارات بل هناك كتب أخرى نشير إليها مرتبة زمنيا في الجدول الآتي مع الإشارة إلى مواضعها في الهامش حتى يسهل على القارئ الوصول إليها.

الباحث	الكتاب / المقال	السنة	الموضع
عبدالرحمان الحاج صالح	مدخل إلى علم اللسان الحديث . تحليل ونقد لأهم مفاهيمه[4] (مقال)	1971	مجلة اللسانيات . معهد العلوم اللسانية والصوتية، العدد 1، مج1، ج1 (ص 09 ـ 18)

[1] . مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات، جامعة الحسن الثاني عين الشق، المغرب، (دت)، ص11.

[2] . سعد عبدالعزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة، ص11.

[3] . ينظر: محمود السعران، علم اللغة . مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ت)، ص 28 ـ 45

[4] . ينظر: عبدالرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، دار موفم ، الجزائر، (د ط)، 2007، ص 07 ـ 20 .

مازن الوعر	أزمة اللسانيات واللسانيين في الوطن العربي[1] (مقال)	1983	مجلة المعرفة ـ دمشق، العدد 251 (ص52 ـ 108)
عبدالقادر الفاسي الفهري	ملاحظات حول الكتابة اللسانية[2] (مقال)	1984	مجلة تكامل المعرفة، الرباط، العدد 9
عبدالسلامالمسدي	عقبات البحث اللساني العرب / كتاب اللسانيات وأسسها المعرفية	1986	الفصل الأول من الكتاب (ص11 ـ 20)
عبدالقادر الفاسي الفهري وآخرون	مجموعة أبحاث ضمن ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية	1987	كتاب الندوة (تقدم اللسانيات في الأقطار العربية)
منذر عياشي	اللسانيات العربية عثرات في الطريق/ كتاب قضايا لسانية وحضارية	1991	ص 11 ـ 20

حملت هذه الدراسات إشارات صريحة لنقد المنجز اللساني العربي،غير أنها جاءت قصيرةمختزلة من ناحية الحجم، فهي إما مقالاتٌ في مجلات أو مداخلات في ندوات أو أجزاء من كتب. كما جاءت هذه الدراسات مفتقرة إلى البعد النظري والمنهجي للتحليل النقدي

[1]. ينظر: مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس، دمشق، 1988، ص

[2] . ينظر: عبدالقادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص41 ـ 62.

وغاب عنها التصور الشامل والتحليل المتكامل[1]، ولهذا السبب كان ما تضمنته عبارةً عن خواطر وتأملات أكثر مما هو تحليل متكامل ممنهج.

وهناك دراسات نقدية أخرى – منها ما ظهر قبل التسعينيات ومنها ما ظهر بعدها– أولت نقد المنجز اللساني العربي اهتماما أكبر كما تميزت عن سابقاتها بكونها أكبر حجما وأعمق نقدا، وجاء معظمها في شكل كتب أو بحوث علمية، أو مراجعات لسانية.

سعد عبدالعزيز مصلوح	دراسات نقدية قي اللسانيات العربية المعاصرة[2]	1989
مصطفى غلفان	الكتابة اللغوية العربية الحديثة . دراسة تحليلية نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية[3]	1991
عزالدين المجدوب	المنوال النحوي العربي . قراءة لسانية جديدة	1998
حمزة بن قبلان المزيني	مراجعات لسانية	2000
حافظ إسماعيلي علوي	تجليات تلقي اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة[4]	2002 2003_

تتفاوت القيمة المعرفية لهذه الدراسات النقدية ـ رغم اشتراكها في نقد وتقويم المعرفة اللسانية ـ بتفاوت الخلفيات التي تؤطرها، وأدوات تحليلها النقدي، ويمكن اختزال هذه الدراسات في نوعين :

[1]. ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص17

[2] . أُعيد طبع الكتاب سنة 2004 في دار عالم الكتب المصرية بعنوان جديد (في اللسانيات العربية المعاصرة . دراسات ومثاقفات)

[3] . أطروحة دكتوراه الدولة في اللسانيات بكلية الأداب (عين السق . الدار البيضاء)، جامعة الحسن الثاني. نُشرَت بعنوان جديد في شكل مطبوعة جامعية (اللسانيات العربية الحديثة . دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية) سنة 1998

[4]. أطروحة دكتوراه في اللسانيات بكلية الأداب والعلوم الإنسانية (بنمسيك)، جامعة الحسن الثاني، نشرت في شكل كتاب بعنوان جديد (اللسانيات في الثقافة لعربية المعاصرة . دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته) سنة 2009.

- **دراسات نقدية لسانية:** وهي أسبق ظهورا من النوع الثاني، وقد كان (سعد عبدالعزيز مصلوح) رائدا فيها. تتميز هذه الدراسات باستعمال المعرفة اللسانية لنقد بعض الأعمال اللسانية العربية، فلم يخرج النقد فيها عن دائرة اللسانيات،وهو نقد معياري متخصص يعمد إلى تصحيح مفاهيم وأفكار لسانية بما يوافقها في النظرية اللسانية الغربية. وهذه الدراسات وإن كانت تنم عن وجود وعي نقدي، إلا أنها "تظل ناقصة من جهة افتقارها لمقومات العمل النقدي السليم"[1]. كما تتميز هذه الدراسات أيضا بغياب النفس الطويل في ممارسة النقد، فهي عبارة عن مجموعة من النقود على أعمال أو ترجمات لسانية مختلفة. وخير دليل على ذلك كتاب (في اللسانيات العربية المعاصرة ـ دراسات ومثاقفات) لسعد عبدالعزيز مصلوح، و(مراجعات لسانية) لحمزة بن قبلان المزيني، فهُما عبارة عن مجموعة من المراجعات على كتب ودراسات لسانية أو ترجمات لكتب لسانية غربية أو لمعاجم متخصصة في اللسانيات.
- **دراسات نقدية إبستيمولوجية لسانية:** وتنتمي إلى هذا النوع أعمال (مصطفى غلفان) و(عزالدين المجدوب) ومن تأثر بهما. وهي دراسات تستحضر في نقدها أدوات تحليلية متعددة عرفتها فلسفة العلوم في السنوات الأخيرة، فهي "تعتمد لغة العلم وأساليب بناء النماذج واستراتيجيات الوصف والتفسير وفحص تماسك الجهاز الافتراضي وآليات العبور من الفرضيات والنماذج المبنية إلى وصف المعطيات والوقائع واستصراح الاستراتيجيات والافتراضات المطوية في ثنايا الاستدلال، ورصد التقاطعات المعرفية التي تسمح بوصف عبور المفاهيم وآليات التحليل والاستدلال من علم إلى آخر، علاوة على فهم أشكال تلقي المعرفة اللسانية وحدود استيعاب أسسها ومبادئها في الثقافة العربية المعاصرة"[2]. ولئن كان في كتاب (المنوال النحوي) لعزالدين المجدوب نقدٌ للوصفيين العرب في قراءاتهم للتراث اللغوي العربي، فإن ما قدمه (مصطفى غلفان) في كتابه (اللسانيات العربية ـ دراسة نقدية في المصادر

[1]. حافظ اسماعيلي علوي واحمد الملاخ، قضايا ابستيمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص193.
[2]. المرجع نفسه،ص 17، 18.

والأسس النظرية والمنهجية) مرجع رئيسفي هذا المجال، لأنه اشتمل على نماذج مختلفة من الكتابات اللسانية العربية الحديثة، كما أنه قد اعتمد جملة من الأسس الواضحة المعالم منهجيا ونظريا، يمكن الرجوع إليها لتمحيص ما يريده المحلل الناقد من تقويم في حق الكتابة اللسانية[1]، وذلك من قبيل[2]:

- الإيمان بتعدد المذاهب والتيارات اللسانية.
- التعرف الكامل والدقيق على المصادر الأساس للكتابة المستهدفة نقدا.
- تقويم الكتابة اللسانية تقويما داخليا أي انطلاقا من الإطار النظري الذي تندرج فيه.
- العناية بالقضايا ذات المردودية النظرية والمنهجية والتطبيقية.

لا يتوانى مصطفى غلفان في الإشادة بعمله في كتابه سابق الذكر، إذ يصفه "بالبرنامج الفكري" الذي جاء كتاب (حافظ إسماعيلي علوي) تكملةً له[3]، وتبعته أعمال أخرى تنتمي للتوجّه نفسه من تأليف الباحثين أو باشتراكهما معا، أو اشتراك أحدهما مع باحثين آخرين[4].

---

[1] . مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص57.

[2]. المرجع نفسه، ص57. 59.

[3] . ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس. بيروت، ط1، 2009، ص07.

[4] . يشمل هذا البرنامج الفكري الأعمال الآتية:

- اللسانيات في الثقافة العربية. حفريات النشأة والتكوين (مصطفى غلفان)
- اللسانيات العربية . أسئلة المنهج (مصطفى غلفان)
- في اللسانيات العامة، تاريخها.طبيعتها. موضوعها. مفاهيمها(مصطفى غلفان)
- اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات(مصطفى غلفان)
- اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي . مفاهيم وأمثلة (مصطفى غلفان بالاشتراك مع حافظ اسماعيلي علوي واحمد الملاخ)
- قضايا إستيمولوجية في اللسانيات (حافظ اسماعيلي علوي واحمد الملاخ)
- أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات (حافظ اسماعيلي علوي و وليد أحمد العناتي).

1/ إبستيمولوجيا اللسانيات:

يندرج البرنامج الفكري في نقد اللسانيات العربية ضمن ما يسمى (إبستيمولوجيا اللسانيات)*، وهي خطاب يتخذ من المنجز اللساني موضوعا يشتغل عليه بالنقد والتقييم للأسس العلمية النظرية والمنهجية التي ينطلق منها تحقيقا لغاية أساسية تتمثل في قياس خاصية العلمية ومدى قيامها في تلك الأعمال اللسانية. أو هو "خطاب مؤسس على خطاب آخر، وغايته أن يتتبع منجزات الخطاب اللساني ـ على اختلاف أنماطه وذلك بالنظر إلى الأسس النظرية التي يصدر عنها والأدوات المنهجية والإجرائية التي يتوسل بها والنتائج التي حققها وتكمن أهمية هذا النمط في الدور الذي يلعبه في إطار الثقافة اللسانية العربية والمتمثل أساسا في تقويم الحركة اللسانية العربية وتحديد موقعها من صميم النشاط اللساني الغربي (مدى قربها أو بعدها عنه)، مما يسهم في إثرائها من ناحية وتوجيهها من ناحية أخرى"[1]. اتّخذ هذا النمط من الكتابة اللسانية عدة تسميات في الثقافة العربية، نورد أهمها في الجدول الآتي مصحوبة بمدلولاتها وواضعيها:

المصطلح	واضعه	مفهومه
إبستيمولوجيا اللسانيات	حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ	تساؤلات عن الخطاب اللساني (الميتالغوي) ذاته، بقصد الكشف عن أصوله ومنطقه واستلزاماته ومنهج تحققاته"[2] وهي أيضا "مقاربة تهتم بصورة المعرفة اللسانية بغية تقويمها من جهة أسسها ومبادئها المصرح بها أو المسكوت عنها"[3].

*يستعمل عبدالقادر المهيري مصطلح (علومية اللسانيات) مقابلا عربيا لمصطلح إبستيمولوجيا اللسانيات. ينظر: روبير مرتان، مدخل لفهم اللسانيات، تر: عبدالقادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، ص17، 207.

[1] . يوسف منصر، الخطاب اللساني المغاربي، مجلة تواصل، جامعة باجي مختار عنابة، عدد18، جوان 2007. ص10.

[2] . حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، ص 17.

[3] . المرجع نفسه، ص 26

التحليل الإبستيمولوجي للسانيات	حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ	تحليلٌ "يقتضي أن تكون مقدمة الانطلاق هي الكشف عن المقدمات الاستلزامية للنظر الإبستيمولوجي، وهي مقدمات نهتدي بواسطتها إلى استخلاص العبر المعرفية والقيم الإ بستيمولوجية للسانيات"[1].
المقاربة الإبستيمولوجية للسانيات	امحمد الملاخ	مقاربة "تروم تشييد ثقافة وعي علمي جديد في سياق التفاعل مع أنساق المعارف العلمية الحديثة، وذلك من خلال الانشغال العلمي بالأسس النظرية والمنهجية والاستدلالية للمعرفة اللسانية"[2]
التحليل النقدي اللساني	مصطفى غلفان:	جملة من الأسس الواضحة المعالم منهجيا ونظريا يمكن الرجوع إليها لتمحيص ما يدركه المحلل الناقد من تقويم في حق الكتابة اللسانية، ويقوم هذا التحليل على نوعين من القواعد 1/ قواعد معيارية: وترتبط أساسا بذات المحلل الناقد ووعيه، وهي ذات طبيعة أخلاقية بالدرجة الأولى.ويشبه غلفان هذه القواعد بشروط الجدل والمناظرة ليخلص إلىأنّأخلاقياتالنقد هي نفسها أخلاقيات كل مناظرة وكل حوار. 2/ قواعد مؤسسة: وتحدد الكيفية التي ينبغي أن يتناول بها التحليل النقدي موضوعاته، وذلك بتزويد المتتبع برؤية منهجية محددة تستند لجملة من المبادئ القابلة للضبط والمراقبة. من قبيل: . الإيمان بتعدد المذاهب والتيارات اللسانية. . التعرف الكامل والدقيق على المصادر الأساس للكتابة

[1] . حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، ص26

[2] . امحمد الملاخ، المقاربة الإبستيمولوجية في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، مجلة تبين، العدد 10، 2014، ص 165.

		المستهدفة نقدا. . تقويم الكتابة اللسانية تقويما داخليا أي انطلاقا من الإطار النظري الذي تندرج فيه. . العناية بالقضايا ذات المردودية النظرية والمنهجية والتطبيقية.[1]

ويستعمل الباحثان حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ مصطلحات أخرى من قبيل البحث الإبستيمولوجي والقراءة الإبستيمولوجية والممارسة الإبستيمولوجية[2]. وهي مصطلحات تتقارب كلها مع مصطلح مصطفى غلفان (**التحليل النقدي اللساني**) وتختلف عن **التحليل النقدي اللساني للنحو العربي** الذي قام به جيل الرواد من اللسانيين المصريين في محاولتهم وصف اللغة العربية لسانيا فما يُصطلَح عليه بالنقد اللساني للنحو يدخل في "مشهدٍ عام متنوع من النقود المختلفة التي وَجَّهت إلى النظرية النحوية العربية، مشهدٌ يرتد إلى التراث النحوي العربي نفسه ويستمر إلى محاولة العرب المحدثين إخضاع تراثهم لإعادة القراءة"[3].

قد يُستخدم إلى جانب مصطلح إبستيمولوجيا اللسانيات مصطلح (فلسفة اللسانيات)، وهما مصطلحان لا يبدو بينهما اختلاف كبير، لأن كليهما دراسة على اللسانيات، ففلسفة اللسانيات "تفترض وجود اللسانيات، إنها تأتي ثانية بعد هذا العلم"[4]،

[1]. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص57. 59.

[2] . مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص163/ و حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، ص19 ،26، 28

[3] . فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي- دراسة في النشاط اللساني العربي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص58.

[4]- سيلفان أورو. جاك ديشان , جمال كولوغلي، فلسفة اللغة، تر: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012، ص437.

غير أن فلسفة اللسانيات تتميز بتوسع اهتماماتهما، فهي "تشغل المواد التالية: أنطولوجيا علوم اللغة، أساس علوم اللغة، عمل علوم اللغة ونمذجة تطورها التاريخي"[1].

وعلى العموم يمكن أن نتحدث عن الممارسة الإبستيمولوجية للسانيات بشيء من التفصيل فنقول إنها:

- **ممارسةُ نقدية:** تستمد إبستيمولوجيا اللسانيات مشروعيتها من الإبستيمولوجيا بشكل عام، فهي فرع منها، وانتماؤها إليها أكبر من انتمائها إلى اللسانيات[2]. ولهذا فإبستيمولوجيا اللسانيات ممارسة نقدية مثل الإبستيمولوجيا التي جاء في تعريفها؛ إنها "الدراسة النقدية لمبادئ العلوم، ولفروضها ونتائجها"[3].
- **منطلقُها وصفي:** ينطلق البحث الإبستيمولوجي اللساني من الكشف عن الأسس والمبادئ التي تقوم عليها اللسانيات، حيث لا يتسنى للممارسة الابستيمولوجية مباشرةُ نقد الكتابة اللسانية دون معرفة هذه الأسس والمبادئ.
- **خطابٌ مواز:** الخطاب الإبستيمولوجي خطابٌ موازٍ تفرزه الممارسة العلمية التي تشكِّل موضوعا يشتغل عليه، ولا يمكن للإبستيمولوجي ممارسة وظائفه المنوطة به من كشف عن الأسس والمبادئ ثم نقدها وتقويمها دون توفر هذه المعرفة العلمية. لهذا تتنزل الممارسة الإبستيمولوجية في المرتبة الثانية بعد قيام المعرفة العلمية وضبطها لموضوعها وأسسها النظرية

---

[1]- المرجع نفسه، ص437.

[2]- هناك من الدارسين العرب من يجعل الخطاب اللساني النقدي (ابستيمولوجيا اللسانيات) نمطا من أنماط الخطاب اللساني (العربي/ المغاربي)، دون أن يميزه عنها، فهو يورده في المرتبة الرابعة يعد الخطاب اللساني التأسيسي والتراثي والمتخصص، وهذا التصنيف لا يتجاهل الطبيعة النقدية لابستيمولوجيا اللسانيات ولكنه تصنيف لخارطة البحث اللساني بشكل عام. ينظر: يوسف منصر، الخطاب اللساني المغاربي . اتجاهاته ومضامينه، ص2 ، 3. وفي المقابل يصنِّف (مصطفى غلفان) الكتابة اللسانية العربية إلى ثلاثة أنماط فقط هي: الكتابة اللسانية التمهيدية والتراثية والمتخصصة...ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة . دراسات نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص74.

[3] . نقلا عن: محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 2002، ص18.

والمنهجية، وتبعا لذلك "يتعين على اللسانيات أن تُعرِّف الظاهرة اللغوية أكثر من تعريفها لنفسها، ذلك أن تحديدها للحدث اللغوي هو الذي يعطي ذوي النظر المعرفي المادة التي يستخلصون منها تعريفهم لعلم اللسانيات من موقع النقد الكاشف لأصول المعرفة المخصوصة"[1].

- **موضوعها المعرفة اللسانية:** إذا كانت "الإبستيمولوجيا دراسة نقديةً موضوعُها المعرفة العلمية من حيث فرضياتها ومبادئها ونتائجها"، فإن إستيمولوجيا اللسانيات "أسئلة في خصوص النظر اللساني وحدوده وأشكاله ورسومه"[2]. أي أن للسانيات ابستيمولوجيتها الخاصة بها، تتعامل معها وفق مبادئها وأسسها.

2 / الوعي الإبستيمولوجي ونشأة ابستيمولوجيا اللسانيات

إن اشتغال إبستيمولوجيا اللسانيات على اللسانيات بالنقد والتقديم، وكونها خطابا تفرزه الممارسة العلمية، لا يعني تأخر إبستيمولوجيا اللسانيات حتى اكتمال بناء ونضج النظرية اللسانية، بل إن مظاهر هذه الممارسة النقدية قد كانت مصاحبةً للحظة إنتاج المعرفة اللسانية في كثير من الأحيان، وهذه المظاهر إن كانت لا تنضوي تحت إبستيمولجيا اللسانية بشكل مباشر لكنها تمثل ما يمكن تسميته بالوعي الإبستيمولوجي، وهو "علاقة إنتاج العلم بالوعي به وبمقدماته وأصوله"[3]

2 . 1/ الوعي الابستيمولوجي في اللسانيات عند الغربيين:

لقد سبقت قيامَ واستقلالية إبستيمولوجيا اللسانيات إشارات توحي بوعي اللسانيين بأهمية التأسيس العلمي للسانيات من خلال إرساء أسس ومعالم النظرية اللسانية. ويمكن

[1] . عبدالسلام المسدي منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عدد 83، 2003، ص23، 24.

[2] . المرجع نفسه، ص17.

[3] . محمد وهابي، ابستيمولوجيا اللسانيات العربية . تأملات في خطاب المقدمة، مجلة مقاربات، الرباط، عدد06، أكتوبر 2010، ص06.

رَصدُ أهم مظهر من مظاهر الممارسة الإبستيمولوجية ألا وهو النقد، فالمتأمل لمحاضرات (فرديناند دي سوسير) التي تعد معلما أساسيا للتأريخ للسانيات سيجد أن "تعريفه للسانيات قد ارتكز على المنطلق النقدي"[1]، حيث استهل محاضراته بمقدمة تاريخية نقدية استعرض فيها المراحل التي مرَّت بها الدراسات اللغوية السابقة ليتسنى له إرساء أسس علمية للسانيات.

ويظهر الوعي الإبستيمولوجي عند دي سوسير أكثرا وضوحا عند حديثه عن مهام اللساني، إذ حصرها في ثلاث مهام إلا أن أكثر هذه المهام إبستيمولوجيةً هي المهمة الأخيرة، أي "تحديدُ موضوع اللسانيات ومعرفة ماهيتها"[2]، التي يسعى صاحب المحاضرات من خلالها إلى رسم حدود فاصلة بين اللسانيات والعلوم الأخرى."إن الهدف الأسمى الذي ينشده سوسير هو الحرص على أن تضع اللسانيات إبستيمولوجيتها الخاصة، لأنها بصدد مناقشة الأسس التي تقوم عليها ومساءلتها، فمشروعية اللسانيات تبقى رهينة بتأسيس هذه المساءلة المعرفية والأسس النظرية والمنهجية" [3].

عرفت الكثير من الاتجاهات والمدارس اللسانية هذا الوعي الإبستيمولوجي من خلال التعديل أو النقد، إذ لم تثبت النظرية اللسانية بعد (دي سوسير) على هيكل واحد واستمرت في ضبط الأسس العلمية لها، وقد بلغ الوعي الإبستيمولوجي ذروته مع النظرية التوليدية ورائدها (نعوم تشومسكي)، الذي تفاعل مع الكثير من النظريات الإبستيمولوجية ووظف مبادئها في نظريته، خاصة فلسفة كارل بوبر النقدية. والمتأمل لتاريخ اللسانيات سيجد أنها عرفت تطورات لا بأس بها خلال مدة الأربعين سنة بين دي سوسير وتشومسكي، فقد تخللت هذه الفترة محطات فارقة شهدت أزمات هذا العلم كما شهدت

---

[1]. مبارك حنون، مدخل إلى لسانيات سوسير، دار توبقال، الرباط، ط1، 1987، 11.

[2]. فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، (د ط)، 1985، ص24.

[3]. مبارك حنون، مدخل إلى لسانيات سوسير ، ص17.

تجاوزا لها وخروجا منها. إن "نشأة إبستيمولوجيا اللسانيات كانت استجابة لضرورة معرفية أملتها التطورات التي لحقت اللسانيات، والأزمات التي عرفتها مع مطلع هذا القرن منذ تحديدها لموضوعها منهجها وفرزها لجهاز مفاهيمي جديد لوصف الظواهر اللغوية"[1].

2 . 2/ الوعي الإبستيمولوجي في اللسانيات عند الباحثين العرب:

لم يكن ذلك الوعي الإبستيمولوجي حكرا على الثقافة الغربية إذ يتحدث (عبدالسلام المسدي)عن تشكُّل هذا الوعي في وقت مبكر في الثقافة العربية؛ "فمن الإنصاف أن نشير إلى بعض الإنجازات العربية التي احتكمت . في وقت مبكر نسبيا . إلى المعيار المعرفي في عرض مستخلصات العلم اللغوي فحملت إلينا الهاجس الإبستيمي"[2]. وقد تحدث (عبدالسلام المسدي) عن ثلاث مراحل مرَّ بها تشكل الوعي الابستيمولوجي في الثقافة العربية

- **المرحلة الأولى** تحدث فيها عن جهود (عبدالرحمان الحاج صالح) وسعيِه إلى إماطة اللثام عن المحددات المعرفية المتوارية خلف المدارس والنظريات والمناهج اللسانية من خلال سلسة أبحاثه "مدخل إلى علم اللسان". كما أدرج في هذه المرحلة إقدام (تمام حسان) على كسر الطوق الرتيب الذي انحشرت فيه مباحث علم اللغة في المناخ العربي منذ ريادته الأولى.[3]
- **المرحلة الثانية،** حيث بدأ الوعي الابستيمولوجي يتشكّل في بيئتنا العربية بالتدرج على مراحل كان من بينها قناة الترجمة، وقد تميزت هذه المرحلة بترجمات (حمزة بن قبلان المزيني) للنظرية التوليدية وحتى بمراجعاته لترجمات غيره.[4]
- **المرحلة الثالثة،** وعرفت تميُّز المنهج التوليدي مع (عبدالقادر الفاسي الفهري) الذي مزج بين التأسيس النظري وتطبيق الاستقراء العيني على اللغة لعربية، والمنهج التداولي مع (أحمد

---

[1]. حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات،ص88.

[2]. عبدالسلام المسدي منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عدد 83، 2003، ص15

[3]. ينظر: عبدالسلام المسدي منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، ص 15، 16.

[4]. ينظر: المرجع نفسه ص16 .

المتوكل) الذي اتخذ من الفضاءات المنهجية مساحة تتوالج فيها آليات اللسانيات الوظيفية ومبادئ اللسانيات التداولية.[1]

3/ مظاهر وتجليات البحث الإبستيمولوجي في الكتابة اللسانية العربية:

لا يعدُّ النقد والتقويم أهم مظاهر الممارسة الإبستيمولوجية للسانيات، بل يمكن أن نرصد مظاهر واهتمامات أخرى على صلة وثيقة بهذه الممارسة، حيث إن التأريخ والوصف والببليوغرافيا والمراجعة اهتماماتٌ لا بد منها لنجاح النقد، فهي تزوِّد الناقد بمعلومات عن حركة البحث اللساني وأسسه وأهم النظريات والأفكار التي كان لها أثر في اللسانيات.

3 . 1/ الـــــوصف: سبقت الإشارة إلى أن الوصف إجراء عمليٌ يسبقُ النقد في الممارسة الإبستيمولوجية، إذ لا يتأتّى نقدُ المعرفة العلمية دون رصد أسسها التي قامت عليها، وقد أولى هذه العمل عدد قليل من اللسانيين العرب اهتمامَهم، ومن هؤلاء عبدالسلام المسدي في كتابه (اللسانيات وأسسها المعرفية) سنة1986. الذي بحث فيه عن "الأصول الأولية لهذا العلم من دعائم ذهنية وضوابط منهجية ومصادرات استدلالية واستثمارات نفعية، وفي كل ذلك تتجمع الأسس المعرفية التي ننشد استكناهها"[2].ومن الدارسين العرب أيضا الذين اهتموا برصد أسس اللسانيات في السياق الغربي محمد محمد العمري في كتابه (الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية . البنيوية والتوليدية) الصادر سنة 2012، حيث يرى أن الكشف عن الأسس الإبستيمولوجية للنظرية اللسانية سيكون إسهاما في الإجابة عن مجموعة من الأسئلة[3]:

---

[1] . ينظر: المرجع نفسه، ص16، 17.

[2] . عبدالسلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص07.

[3]. محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية (البنيوية والتوليدية)، دار أسامة، عمان، ط1، 2012. ص07.

- ماهي المبادئ والفروض التي قامت عليها النظرية اللسانية المعاصرة، سواء في صورتها البنيوية أو في صورتها التوليدية؟
- ماهي النتائج التي حققتها هذه النظرية؟ أو ما الأسئلة الموضوعية التي أسهمت فيها؟
- ما طبيعة الأصول المنطقية التي تحكمت في بناء هذه النظرية؟
- ما القيمة المعرفية لهذه النظرية؟

وأخذ الاهتمام برصد أسس اللسانيات عند(مصطفى غلفان) منحى آخر، فهو وصفٌ متصل بالنقد، وذلك لأنه يرى أن أزمة اللسانيات العربية "في حقيقتها أزمة أسسٍ، أزمةٌ في المنطلقات الفكرية والنظرية والمنهجية التي تؤسس مجالا معرفيا معينا وتحدد معالمه"[1].كما حمل (مصطفى غلفان) على عاتقه مهمة رصد أسس اللسانيات بشكل عام، لأن "المكتبة العربية ـ حسبه ـ لا تقدم للقارئ العربي ما يسعفه على متابعة تفاصيل هذا العلم والمنهج المتَّبع في تشعباته وتفريعاته العامة"[2]. وهذا ما نلمحه في كتبه التي ألَّفها:

- في اللسانيات العامة، تاريخها.طبيعتها. موضوعها. مفاهيمها

- اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات

- اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي ـ مفاهيم وأمثلة (مصطفى غلفان بالاشتراك مع حافظ اسماعيلي علوي ومحمد الملاخ).

3 ـ 2/ التـــأريخ:شغلت مسألة تطور اللسانيات ـ على غرار غيرها من العلوم ـ اهتمام اللسانيين وحتى غير اللسانيين ، لكن درجة الاهتمام وخلفيته تتباين بين مجرد التتبع الزمني أو الاحتفاء بجديد وبين الوقوف على أخطاء هذا العلم.والنوع الذي يجمع بين التأريخ وتتبع الأخطاء هو التأريخي الذي يفضي إلى نقد اللسانيات، ذلك أننا "لن نتمكن من الحسم في

[1] . مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص20.

[2] . مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها.طبيعتها. موضوعها. مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة طرابلس .بيروت، ط1، 2010، ص05.

إمكانية تطور علم اللسانيات ما لم يتم ربطه بوعي إبستيمولوجي قادر على إبراز مكامن قوته وضعفه، هذا الوعي سيكون أمام مهمة استشراف تصور مستقبلي للتوجهات المرتقبة للعلم"[1].

أدرك عدد من الدارسين العرب الفرقَ بين التاريخ العادي للسانيات الذي يكتفي بتتبعها زمنيا وبين التاريخ الإبستيمولوجي لها، ومن هؤلاء مصطفى غلفان الذي ينسب عمله "اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية" إلى النمط الذي يطلق عليه (التاريخ الابستيمولوجي للعلوم)، الذي يُعتبَر "وصفا يتخذ العلم الذي اكتملت نشأته معيارا، والتاريخُ الذي يحكيه يخضعُ بالضرورة إلى مقياس تعارض الحقيقة والخطأ"[2]. كما يندرج في هذه الخانة كتاب (اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته) لحافظ إسماعيلي علوي، الذي هو تأريخ للبحث اللساني يلامس قضايا التلقي في علاقتها ببنية الفكر العربي[3]، وكتاب (نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ـ دراسة في النشاط اللساني العربي) لفاطمة الهاشمي بكوش الذي تحاول فيه صاحبته أن يكون إسهاما في تاريخ اللسانيات العربية الحديثة، ينطلق من افتراض أساسي حول الطابع الإشكالي لها[4].

3 ـ 3/ الأدلة الببليوغرافية: يشكل رصد مراجع أي تخصص معرفي عملا ببليوغرافيا، في شكل "قوائم وصفية لمصادر الفكر الإنساني قديمه وحديثه جمعا وتنظيما وتعريفا به وإعلاما عنه، حتى يتمكن الباحثون من معرفة المؤلفات التي تفيدهم في بحوثهم، وسط هذا العدد الهائل من المؤلفات الموجودة في كل تخصص، سواء كانت صادرة في بلادهم أو في أي بلد من بلدان العالم"[5]. والمتأمل لهذه الببليوغرافيات في التخصص اللساني سيجد أنها تشكِّل خطوة تسبق عملية التأريخ، إذ "أضحى من اللازم استحضار مجمل عناوين البحث اللساني

[1] ـ عبدالنبي سفير وبن عيسى زغبوش: بيبلوغرافيا الأعمال اللسانية بالمغرب، مجلة معرفية، جمعية البحث في العلوم المعرفية والترجمة، المغرب، عدد 3/2، 1999، ص62.

[2] ـ مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص13.

[3] ـ حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص12.

[4] ـ فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص03.

[5] ـ عبداللطيف صوفي، مدخل إلى علم الببليوغرافيا والأعمال الببليوغرافية، دار المريخ، الرياض،(د ط)، 1415هـ، ص 27.

واستنطاق مضامينه الأساسية وطرح إشكالاته الرئيسية، ومن ثم تأكيد أصوله التاريخية والنظرية والتطبيقية"[1]. ومن الأعمال الببليوغرافية التي رصدت مراجع اللسانيات عربيا نذكر:

- مراجع اللسانيات لعبدالسلامالمسدي(1989)
- الجهود اللغوية في القرن الرابع عشر الهجري لعفيف عبدالرحمان (1981)
- اللسانيات العربية – مقدمة وببليوغرافية لباكلا محمد حسن (1982):
- البحث اللغوي في المغرب العربي، دليل بيبليوغرافي(1968 .1986) لمحمد يحياتن
- بيبلوغرافيا الأعمال اللسانية بالمغرب (مقال) لعبدالنبي سفير وبن عيسى زغبوش

3 . 4 المراجعات:إنّ متابعة ما تنتجه المطابع والمجلات والدوريات وصفا أوتحليلا أو نقدا عمل ذو أهمية بالغة، يسمح بتحديث المعرفة العلمية والتفاعل معها، "فمراجعة الكتب الحديثة تعد من أهم العوامل التي تبعث الحياة في التخصصات المختلفة، بل ربما أمكن القول إن البحث العلمي بمجمله إنما هو، بطبيعته، لا يخرج عن كونه مراجعةً مستمرة لما أنجزه السابقون"[2]. ويعدُّ كتاب (مراجعات لسانية) لحمزة بن قبلان المزيني عملا رائدا في مراجعة الكتب والترجمات اللسانية، حيث وقف فيها على مجموعة من السلبيات التي تحدُّ من تطور اللسانيات في الثقافة العربية، وذكر منها؛ السرقات والترجمة غير الجيدة والادعاءات غير الموضوعية والعلمية والتشكيك في الآخرين وتغيير المواقف بسرعة دون أن يكون ذلك نتيجة لاقتناع[3]. كما يعدّ كتاب (في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات) لسعد عبدالعزيز مصلوح أيضا من المراجعات اللسانية، فبنية الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات كل

[1] . عبدالنبي سفير وبن عيسى زغبوش، بيبلوغرافيا الأعمال اللسانية بالمغرب، ص62.
[2] . حمزة بن قبلان المزيني، مراجعات لسانية، ج1، كتاب الرياض ، السعودية، رقم 79، 2000، ص05.
[3] . المرجع السابق، ص08.

واحدة منها مراجعة لكتاب معين في مختلف التخصصات اللسانية، أو معجم اصطلاحي لساني. وما دون هذين الكتابين من مراجعات أقلُّ حجما، فهي مقالات منشورة في مجلات مختلفة على غرار ما تحفل به مجلة اللسان العربي التابعة لمكتب التنسيق والتعريب بالرباط، كما أنها مراجعات غايتها العرض والتقديم لكتاب أو دراسة لسانية جديدة أكثر منها مراجعةً نقدية.

4 / أنماط البحث الإبستيمولوجي في الكتابة اللسانية العربية:

يقسِّم (حافظ إسماعيلي علوي) و(امحمد الملاخ) الكتابات اللسانية العربية التي تسعى إلى امتلاك حجية النظر النقدي إلى ثلاث اتجاهات كبرى[1]:

- كتابة نقدية عامة: موضوعها الكتابة اللسانية العربية بشكل شمولي

- كتابة نقدية خاصة: تتجه صوب أحد الاتجاهات اللسانية، أو أحد اللسانيين.

- كتابة نقدية مؤسسة: تروم إعمال النظر في الكتابة اللسانية العربية، ونقدها وتقويمها، بالاستناد إلى أسس نقدية واضحة المعالم.

إن هذا التقسيم لا يُظهِر تفاصيل الممارسة الإبستيمولجية النقدية في البحث اللساني لهذا سنسعى إلى تقسيمها بشكل أكثر تفصيلا، متجاوزين فيه ما قد يظهر من تعميم في التقسيمات الثلاث السابقة، وغايتنا من هذا التقسيم إقامة رصد ببليوغرافي للبحث الأبستيمولوجي في الكتابة اللسانية العربية.

4 . 1/ دراسات نقدية قُطرية: لم تراع الدراسات النقدية لمصطفى غلفان وحافظ إسماعيلي علوي وسعد مصلوح وحمزة بن قبلان المزيني وعزالدبن المجدوب البعد الجغرافي للدراسات

[1]. حافظ إسماعيلي علوي وامحمد الملاخ، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، ص187.

اللسانية المنشورة في أحد الأقطار العربية، لذلك سنحاول أن نرصد أهم الدراسات النقدية التي ركّزت اهتمامها على دراسة المنجز في أحد الأقطار العربية، ومما يمكن وضعه تحت هذا التصنيف الأعمالُ الآتية:

المؤلف	الدارسة
عبدالرحمان حسن عارف	اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر
نعمان بوقرة	الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية
جمعان عبدالكريم	اللسانيات في الجامعة السعودية (مقال)
محمد يحياتن	البحث اللغوي في المغرب العربي، دليل ببليوغرافي
يوسف منصر	الخطاب اللساني المغاربي ، اتجاهاته ومضامينه (مقال)
عبدالقادر الفاسي الفهري	ملاحظات حول تطور اللسانيات في المغرب (مقال)
عبدالنبي سفير وبن عيسى زغبوش	بيبلوغرافيا الأعمال اللسانية بالمغرب (مقال)

إن هذه الكتابات رغم ضبطها مجال نقدها مكانيا في أقطار أو أقاليم عربية إلا أنها ليست على نمط نقدي واحد، فمنها ما كان غرضه تاريخيا مثل مقال (بيبلوغرافيا الأعمال اللسانية بالمغرب) ، ومنها ما كان غرضه ببليوغرافيا، مثل كتاب (البحث اللغوي في المغرب العربي، دليل ببليوغرافي)، ومنها ما أراد أن يرصد مظاهر تلقي اللسانيات، مثل كتاب(الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية)، ومنها ما كان غرضه تصنيفيا مثل كتاب(اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر) و مقال (الخطاب اللساني المغاربي- اتجاهاته ومضامينه).

لا تعبر الدراسات المثبتة في الجدول عن كل ما أُلف في هذا المجال، فهناك دراسات نقدية لم يُصرح في عناوينها بتخصيص مكاني، لكن القارئ لمقدماتها أو متونها سيلمح ذلك التخصيص، كما فعل رياض قاسم في كتابه (اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العلام العربي)، حيث "تتبع جهود اللغويين في لبنان من سنة 1801 إلى 1960 وعرض لها

بالتحليل والنقد"[1]، وحلمي خليل في كتابه (العربية وعلم اللغة البنيوي) الذي خص جزءا من كتابه "لدراسة البدايات الأولى للاتصال بالفكر اللغوي الحديث ممثلا في جيل الرواد والجيل الذي يليه"[2]، حيث عرض في دراسته لأعمال عبد الواحد وافي وإبراهيم أنيس وعبدالرحمان أيوب وتمام حسان ومحمود السعران، وكل هؤلاء مصريون. وسارت على نفس المنوال فاطمة الهاشمي بكوش في كتابها (نشأة الدرس اللساني العربي الحديث)، حيث إنها ركّزت على جهود بعض اللسانيين العرب من أمثال: إبراهيم أنيس، وتمام حسان، وعبدالرحمان أيوب، ومحمود السعران، وكمال بشر. وركّزت بشكل كبير على جهود تمام حسان لما قدمه من مشروع شامل[3]، والملاحَظ في هذا التركيز على هؤلاء الأعلام دون سواهم سيجد تخصيصا مكانيا لا يخرج عن البيئة المصرية.

4 . 2/ دراسات نقدية مرحلية: يلعب تحديد الإطار الزمني للدراسة دورا مهما في تحديد توجُّه الدراسة وتفادي ما قد ينشأ من خلط بين ما هو لساني وما هو غير لساني، ومن ذلك مثلا كتابا مصطفى غلفان (اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين) و(اللسانيات العربية الحديثة . دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية)، حيث يتشابه الكتابان في العنوان، كما أن الدراستين "تجمعهما رؤية منهجية واحدة هي التتبع النقدي التحليلي للخطاب اللغوي العربي الحديث"[4]،غير أنّ من يطّلع على الكتاب الأول منهما سيجده دراسة نقدية للدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة التي سبقت ظهور اللسانيات في الثقافة العربية إبان مرحلة النهضة العربية.

---

[1] . ينظر:حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، ص194.

[2]. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي . دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (د ط)، 1988، ص12

[3] . ينظر: فاطو الهاشمي بكوش، نشأة البحث اللساني العربي الحديث، ص 09.

[4] . مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص03.

ومن الدراسات النقدية التي اعتنت بحصر مجالها النقدي في أزمنة محددة، نذكر ما يلي:

المؤلف	الدراسة	الزمن
حسن عارف	اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر	1932. 1985
محمد يحياتن	البحث اللغوي في المغرب، دليل ببليوغرافي	1968 . 1986
قاسم رياض	اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العلام العربي	1801. 1960

وهناك بحوث أخرى غير ما هو مذكور في الجدول لم يُصرَح فيها بزمن محدد واستُعمِلت فيها مصطلحات من قبيل (**النشأة**)، وهو مصطلح يجعل التحليل النقدي صعبا نظرا لعدم تحديد مدلول زمني ومعرفي، حيث تقول صاحبة كتاب (نشأة الدرس اللساني): "...وقد اختارت هذه الدراسة مرحلة النشأة نظرا لما مثلته من خطورة وحرج في عمر الدرس اللساني القصير"[1]. لكنها تداركت ضبابية هذا التحديد ووقوعها في الغموض لاستعمالها مصطلح النشأة، فسارعت إلى تحديد مرحلة الدراسة "ببداية السبعينات"[2].

كما أن الملاحِظ للتخصيص الزماني في عدد من هذه الكتابات سيلحظ توظيفا لمصطلح اللسانيات وعودةً بالزمن إلى الوراء، أي قبل تأسُّس اللسانيات واستقلالها مع دي سوسير، وفي هذا تناقض اصطلاحي معرفي، ففي كتاب (اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العلام العربي 1800 . 1960) لرياض قاسم جمعٌ واضحٌ بين البحث اللغوي التاريخي المقارن وبين البحث اللساني الحديث.

4 . 3/ دراسات نقدية تخصصية: لقد كان إنجازُ مراجعات لكتب متخصصة في اللسانيات أو في أحد فروعها أو لترجمة معينة السببَ المباشر لظهور هذا النوع من الدراسات النقدية،

[1] . فاطمة الهاشمي بكوش ،نشأة الدرس اللساني العربي، ص 03.

[2] . المرجع نفسه، ص03.

ويمكن أن نفصِّل داخل هذا النوع بين عدة أنواع فرعية، منها ما تُراعَى فيها الحدود التخصصية، مثل الدراسات نقدية التخصصية في المستويات اللسانية.

المؤلف	الدراسة	التخصص
سعد عبدالعزيز مصلوح	المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي لعبد الصبور شاهين، نقد وتقويم (مقال)	المستوى الصوتي
	المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة لصلاح الدين صالح حسنين، عرض ونقد(مقال)	
	في صوتيات العربية لمحي الدين رمضان، عرض وتصويب(مقال)	
محمد غاليم	عن البحث الدلالي العربي (مقال)	المستوى الدلالي

وهناك دراسات أخرى خصصت نقدها لأحد فروع اللسانيات النظرية أو التطبيقية كلسانيات النص أو اللسانيات الحاسوبية.

المؤلف	الدراسة	التخصص
حافظ علوي	عندما تسافر النظرية، لسانيات النص نموذجا	لسانيات النص
نعيمة سعدية	تلقي لسانيات النص في الدرس اللساني العربي المعاصر، المصطلح والاتجاهات	لسانيات النص
عبدالرحمانحسن عارف	توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية ، جهود ونتائج	اللسانيات الحاسوبية
إبراهيم خليل	استقبال النظرية، مثل من نحو النص	لسانيات النص
محمود اسماعيل صيني	اللسانيات التطبيقية في العالم العربي	اللسانيات التطبيقية

الفصل الأول:

تلقي اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة

إن التلقي عمليةٌ تتوَّج بها العملية التواصلية، وهو أكثر اتصالا بالمتلقي أو المرسَل إليه، لكن ذلك لا يعني الانفصال عن المرسل؛ فالتلقي موقفٌ يستدعي فعل الإرسال أو البث أو الإنتاج من طرف المرسِل. ويتم بموجبه استقبال رسالة بغض النظر عن نوعية الرسالة أو نمطها أو مصدرها، حيث تتساوى كل الرسائل في تأدية وتحقيق أغراضها التواصلية، ولا فرق في ذلك بين ملفوظ عادي مصدره إنسان أمي، أو قصيدة أو رواية أو لوحة فنية، أو اكتشاف أو نظرية علمية.

يكتسب مفهوم التلقي أبعادا ودلالات أخرى بالنظر إلى مجال التلقي ونوعية الرسالة فإذا انتقلنا إلى المجال العلمي أو الإبداعي فإن مفهوم التلقي سيصبح (مفهوما تأويليا)، تتاح فيه الفرصة للقارئ أو المتلقي وينفتح أمامه العمل العلمي أو الإبداعي، ليتحول إلى منتجٍ أو مرسل ثان أو جديد. لا يختلف تلقي النظريات والأعمال العلمية عن تلقي الأعمال الإبداعية، فكلاهما يخضع لاعتبارات ثقافية وفكرية عند كل من المرسل والمتلقي، فالعالم مرسلٌ "يحمِّل المفاهيم المكونة للبناء العلمي محتويات دلالية مستمدة من انتمائه الفكري الثقافي، إن شعوريا أو لا شعوريا؛ ولذلك لا بد أن تكون المفاهيم والمقدمات والاستنتاجات معرضة لتأويلات متعددة.والمتلقي سواء كان مشتغلا في نطاق نفس العلم أوفي نطاق علم مجاور يفهم البناء العلمي حسب تكوينه الفكري وانتمائه المذهبي".[1]

إن ما يختلف فيه تلقي العمل العلمي عن تلقي العمل الإبداعي يتمثل في الأثر السلبي (معيار القابلية للإبطال) الذي يتركه العمل عند المتلقي، حيث إن كثيرا من "البناءات العلمية لا تجد صدى إيجابيا لدى المتلقين، حتى العلماء منهم ومن نفس التخصص، إلا في فترات لاحقة، قد تطول أو تقصر، بسبب اعتبارات معرفية وثقافية وذاتية"[2]. تتخذ نتيجة التلقي من المعارضةِ والمقاومة صورة رئيسية؛ وذلك بالحكم على الاكتشاف أو البناء العلمي بأنه "من قبيل المستبعد أو المحال، وبذل مجهود من أجل محاولة

[1]. بناصر البعزاتي، خصوبة المفاهيم في بناء المعرفة . دراسات ابستيمولوجية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2007، ص159.
[2] . المرجع نفسه، ص159.

بيان النقص والثغرات فيه، أو على الأقل الإقرار بأن المولود الجديد غامض و في حاجة إلى تنقيح"[1].

كما يكتسب مفهوم التلقي في العلوم والمعارف بعدا آخر، إذ إنه يصبح (مفهوما تاريخيا)، لأنه يمثِّل أحد مراحل انتقال النظريات والأفكار العلمية، حيث يرى (إدوارد سعيد) أن "طريقة ارتحال أية نظرية أو فكرة ما وانتقالها تنطوي على أربع مراحل مشتركة"[2]:

- مجموعة من الظروف الأولية حيث أبصرت الفكرة النور (نقطة المنشأ).
- مسافة يتم اجتيازها وعبورها بواسطة الضغط الذي تمارسه مختلف القرائن لدى انتقال الفكرة من نقطة سابقة إلى نقطة تالية في الزمان والمكان.
- مجموعة من الظروف أو الشروط التي تقاوم النظرية أو تتساهل حيالها مهما بدت غرابة تلك الفكرة أو النظرية، مهيأةً الجو لدخولها أو تلقيها في بيئة جديدة.
- تحويل الفكرة التي جرى استيعابها، أو إدماجها كليا أو جزئيا من خلال استعمالاتها الجديدة، وعبر موقعها الجديد في زمان ومكان جديدين.

تمثل المرحلة الرابعة أو المرحلتان الثالثة والرابعة معا تلقيا للنظريات والأفكار العلمية، لأنهما تعبّران عن دخول ووصول تلك النظريات والأفكار من نقطة المنشأ إلى نقطة جديدة والتلقي في هذه المسار غير مخصوصٍ بثقافة دون أخرى، فقد يكون التلقي غربيا كما هو عربي أيضا، بل هو تلقي نظريات وأفكار علمية. والتلقي بهذا المعنى التاريخي سيهيء الطريق لمدلول آخر يصبح فيه (مفهوما إبستيمولوجيا) يُقاس به مدى استيعاب نظرية أو فكرة علمية وتمثُّلها نظريا ومنهجيا واستثمارها أو تطبيقها في الثقافة الجديدة التي وصلت إليها. والحديث عن التلقي من هذه الناحية "لا يكون ذا معنى إلا بربطه بالعوامل الفاعلة فيه وأهمها: تاريخ التلقي وسياق التلقي وشخصية المتلقي..."[3]

---

[1] . بناصر البعزاتي، خصوبة المفاهيم مفي بناء المعرفة ، ص160.

[2] . ينظر: إدوارد سعيد، انتقال النظريات، مجلة الكرمل، مؤسسة بيسان للصحافة والنشر والتوزيع، الكويت، عدد 09، 1982، ص 13.

[3] . حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس. بيروت، ط1، 2009، ص11.

انطلاقا مما سبق يكون المقصود بتلقي اللسانيات تأويليا، تتساوى فيه الثقافتان المنتجة والمستوردة لهذا العلم، لأن اللسانيات في هذه الحالة ستصبح كتلةً من النظريات المتعاقبة، يفصحُ فيها اللاحق عن موقفه من السابق بغية الوصول إلى تفسير مناسب للظاهرة المدروسة. وما دام مصدر تلك المواقف والنظريات غربيا ولا أثر للعرب فيه، فإنّ تلقي العرب للسانيات هو تلقٍ تاريخيٌ إبستيمولوجي[1]، يدرس التجربة اللسانية العربية مقارنا إياها باللسانيات في مصادرها الأصول، وذلك"من جهة الإخبار عن مرجعياتها، ومن جهة فعلها الإنجازي وما لزم عنه من تراكم أو أزمة، ومن جهة الغرض الماثل في وجاهة استمداد واقتباس الأنظار اللسانية"[2]، ليحدد في النهاية مدى انتمائها إلى البحث اللساني وتمثُّلِها له.

1/ تلقي الفروع اللسانية في الثقافة العربية:

صحب تطور اللسانيات ظهور مجموعة من العلوم الجديدة التي تنبأ بها ديسوسير في محاضراته أو كرَّستها التيارات اللسانية المتعددة بعده، ومن العلوم التي استقلت وتفرعت عن اللسانيات ما يعرف بالمستويات اللسانية، ولما كان هذا المصطلح مرتبطا بوصف وتحليل اللغة آثرنا مصطلح الفروع اللسانية لأنها تدل على وضعية هذه العلوم اللسانية قبل وبعد استقلاليتها عن اللسانيات. وهي تشمل علم الأصواتPhonetique، وعلم الصرف Morphologie ، وعلم التراكيب Syntax، وعلم الدلالة Semantique، وعلم المعجم Lexicologie، وليس المقصود بهذه العلوم ما يمكن أن يوافقها عند اللغويين العرب القدامى، كما لا يقصد بها بقية الفروع اللسانية البينية كاللسانيات الاجتماعية والنفسية. إنها فروع تعنى بدراسة اللغة لسانيا.

[1] . يمكن أن يكون التلقي تاريخيا ابستيمولوجيا عند الغربيين، بدراسة انتشار وانتقال نظرية معينة في بيئة غربية أخرى، كدراسة التلقي الفرنسي أو الأمريكي لمحاضرات فرديناند دي سوسير، أو دراسة تلقي النظرية التوليدية التحويلية في فرنسا.

[2] . حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية، ص11

سأخصص دراستي في هذا المبحث لتلقي علمي الأصوات والدلالة دون غيرهما من الفروع الأخرى لما تميز به هذا الفرعان في الثقافة العربية من ترجمات ودراسات تعبر عن حداثتهما، أما علم الصرف وعلم التراكيب فإنهما لم يحظيا بالاهتمام نفسه الذي حظي به الفرعان السابقان حيث لم أعثر على ترجمات ـ إلا ما ندر ـ عنهما إلى العربية، كما أنهما فرعان بقيا محافظين على طابعهما التعليمي التراثي، باستثناء بعض الدراسات للسانيين تبنوا النظرية التوليدية التحويلية في المغرب.

1 ـ 1/ تلقي علم الأصوات في الثقافة العربية

تقدمت الدراسات المنجزة في علم الأصوات على بقيةَ الفروع اللسانية الأخرى في الدراسات الغربية و"كان لها حظ السبق في التبلور ومقاربة الصياغة العلمية"[1]. وقد حدث الأمر نفسه في الثقافة العربية، إذ انعكس ذلك التقدم والأسبقية في مجالات عدة؛ فعلى الصعيد التعليمي للسانيات يذكر "كمال بشر" أن من أهم وأبرز ماقام به المبتعثون بعد عودتهم من لندن إلى مصر هو "اعتمادُ علم الأصوات ـ بمعناه الحديث ـ مادةً مقررة في جدول الدراسة في دار العلوم"[2]، وكان ذلك منذ خمسينات القرن العشرين. كما تجسدت هذه الأسبقية في صدور أول الدراسات اللسانية الصوتية، حيث نشر إبراهيم أنيس كتابه(الأصوات اللغوية) سنة1947، وترجم صالح القرمادي كتاب (دروس في علم الأصوات العربية) لجان كانتينو سنة 1966، وهما من أوائل ما أُنجز في فروع اللسانيات في الثقافة العربية تأليفا وترجمة.

لا شك أن أسبقية وتقدم تلقي علم الأصوات في الثقافة العربية لم يخضع للأسباب نفسها التي أدت إلى أسبقية وتقدم علم الأصوات عند الغربيين، ذلك أن من الأسباب التي أدت إلى تقدم علم الأصوات عند الغربيين، ظهورُ محاضرات (فرديناند دي سوسير) وما حملته

[1] . عبدالسلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص13.

[2] . كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، (د ط)، 2000 ، ص25

من مفاهيم صوتية، ثم ظهور ما يعرف بحلقة براغ وما كان لها من أثر في تعميق وتزويد الدراسة الصوتية بمفاهيم جديدة كالفونيم. أما في السياق العربي فإننا نجد أسبابا أخرى حاولنا جمع بعضها من مقدمات كتب علم الأصوات العربي:

- **فائدة هذا العلم في فهم الحدث اللغوي**:فجيل الرواد "يقصر هذا العلم عن أن يكون المفتاح الرئيسي لإدراك نواميس الحدث اللغوي وبلوغ محركات الظاهرة الكلامية في نسيجها المتفاعل عضويا مع مقولة الإنسان"[1]
- **مكانة علم الأصوات في التراث اللغوي العربي**:خلّف علماء العربية القدامى مادةً علمية قيِّمة في وصفهم لأصوات اللغة العربية، وقد حظيت هذه المادة بتقدير واعتراف المحدثين من عرب وغربيين[2].
- **الإعجاب بالمنهج الذي عولج به هذا الفرع اللساني**: أبدى المبتعثون إعجابهم بما توصل إليه اللسانيون الغربيون في هذا المجال، وفي مقدمة هؤلاء (إبراهيم أنيس) الذي يصف درجة إعجابه في مقدمة كتابه بقوله:"فلما كان العصر الحديث واتصلت ثقافتنا بثقافات أوربا ورأينا لعلماء اللغات فيها تلك التجارب الصوتية التي يخيَّل للناظر إليها أنها نوع من السحر"[3]. ولم يبدر هذا الإعجاب من (إبراهيم أنيس) فقط، فهذا (أحمد مختار عمر) يقرر أن "المظهر المتطور لعلم اللغة لم يتمثَّل في أي فرع من فروع علم اللغة مثلما تمثَّل في علم الأصوات بمناهجه المتعددة ووسائل بحثه المختلفة وبآلاته وأجهزته المتطورة"[4].

---

[1] . عبدالسلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص13.

[2]. يقرُّ المستشرق الألماني برجشتراسر بتفوق العرب القدامى في حقل الصوتيات، حيث يقول: "لم يسبق الغربيين في هذا العلم، إلا قومان من أقوام الشرق، وهما أهل الهند والعرب". ينظر: برجشتراسر، التطور النحوي، ترجمة: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994، ص11.

[3]. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص04.

[4] . أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، 1997، ص14.

● **تصور اللسانيين للعلاقة بين الصوتيات واللسانيات:** بلغ اهتمام جيل الرواد العرب بمادة الصوتيات درجة كبيرة جعلتهم "يحصرون كليا أو جزئيا اللسانيات بحقل الصوتيات"[1]، ويجعلونها المفتاح الرئيسي لإدراك نواميس الحدث اللغوي وبلوغ محركات الظاهرة الكلامية على حقل الصوتيات.

1 ـ 1 ـ 1/ الكتب الصوتية المترجمة:

إن ترجمة كتب علم الأصوات من لغات أجنبية إلى العربية عملٌ مهم يحقق الكثير من الغايات العلمية والتعليمية ويعود بالنفع على اللغة العربية ودارسيها، فهي "تسهِّل على القارئ العربي الاطلاع على هذا العلم بلغته التي يتقنها – أي العربية – مما ييِّسر تلقي حقائقه من جهة، كما ييِّسر إلقاءه على الطلاب من جهة أخرى باللغة العربية بدلا من اللغة الانجليزية"[2]. لكن (منصور بن محمد الغامدي) يخرج عن هذا الحكم وينكر فائدة تلك الترجمات فيرى أن "التأليف أيسر للدارس وأكثر فائدة من الترجمة وذلك لأن معظم الكتب المتميزة باللغات الأخرى تسرد عديدا من التجارب والأمثلة عن أصوات لغة الكتاب"[3]، بل يذهب أبعد من ذلك عندما يصدر عن حكمٍ فيه شيء من التعميم والمغالطة، هو أنّه "لا توجد كتبٌ مترجمةٌ ترجمةً دقيقة وأمينة للإنجازات الغربية في الصوتيات"[4]. وقد برّر حكمه هذا تبريرا باهتا يتمثل في التصرف في ترجمة الأمثلة والشواهد، "فالأمثلة المنقولة المطروحة باللغة الأصلية غيرُ عربية، وإذا مات تُرجِمت فإنها تفقد خصوصيتها اللغوية الخاصة باللغة الأصلية وتكتسب خصوصية العربية مما قد يخرج المثال عن وظيفته"[5].

---

[1] . ينظر: عبدالسلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص13.

[2] . بيتر ليدفوجد، مبادئ علم الأصوات الأكوستيكي، ترجمة جلال شمس الدين، ط1، 1992، ص (و).

[3] . منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 2001، ص2.

[4] . المرجع نفسه ، ص1، 2.

[5] . المرجع نفسه، ص01.

وقد تُرجِمت إلى العربية مجموعة من الكتب ثبَّتنا منها في هذا الجدول ما كان في القرن العشرين، وذلك لأن الكتب المؤلفة عربيا في مجال الصوتيات وعلم الدلالة كثيرة، وقد يقع خلط بين الكتب المترجمة والمؤلفة فأردت حصر الرصد الببليوغرافي في تلك الفترة حتى لا يكون هناك تباين واضطراب في الأحكام والنتائج.

الكتاب	المؤلف	تاريخ التأليف	المترجم	تاريخ الترجمة
دروس في علم الأصوات العربية	جان كانتينو	1961	صالح القرمادي	1966
في علم الأصوات الفيزيقي، مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام	ارنست بولجرام		سعد عبدالعزيز مصلوح	1978/ 1969
التشكيل الصوتي في اللغة العربية ـ فونولوجيا العربية	سلمان العاني	1966	ياسر الملاح	1983
علم الأصوات	بريتلمالمبرج	1963	عبدالصبور شاهين	1985
			محمد حلمي هليل	1994
مبادئ علم الأصوات العام	ديفيد أبركومبي	/	فتيح محمد	1988
الفونولوجيا التوليدية الحديثة	هاري فان درهالست/ نورفال سميث	1982	مبارك حنون/ أحمد العلوي	1992
مبادئ علم الأصوات الوظيفي	اتربيزتكواي	1939	عبدالقادر قنيني	1994

مبادئ في علم الأصوات الأكوستيكي	بيتر ليدفزجد	/	جلال شمس الدين	1992
محاضرات في الصوت والمعنى	رومان جاكبسون	/	حسن ناظم / علي حاكم صالح	1994

تقف ترجمة كتاب (دروس في علم الأصوات العربية) لجان كانتينو في مقدمة ما ترجم إلى العربية في مجال الدراسة الصوتية، بل إنها قد سبقت ترجمةَ محاضرات دي سوسير. ثم أُتبع هذا العمل بترجمة كتب أخرى تُعَدُّ محطات حاسمة في الدراسة الصوتية مثل كتاب اتربيزتكواي(مبادئ علم الأصوات الوظيفي) الذي يؤسس لعلم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا).

تميزت هذه الترجمات بتنوعها مادة وعرضا، أما من حيث المادة فقد اتخذ الكتاب الأول (دروس في علم الأصوات العربية)، وكتاب (التشكيل الصوتي في اللغة العربية . فونولوجيا العربية) – على خلاف غيرهما من الترجمات – من الأصوات العربية مادةً للدراسة، ويعود هذا الخيار للخلفية الاستشراقية لصاحب الكتاب الأول واطلاعه على اللغة العربية، ولعروبة صاحب الكتاب الثاني (سلمان العاني). بينما اتخذت الدراسات الأخرى من أصوات اللغة المصدر(فرنسية أو انجليزية) مادةً للدراسة في بقية الترجمات، لكن هذا لم يمنع المترجمين من التدخل بوضع تعليق أو ملاحظة في الهامش "تشرح بعض النقاط التي بدا غموضها، أو تعريفٍ لبعض المصطلحات التي يحسن تذكير القارئ بها، أو تفسيرٍ لاختيار ترجمة بعينها لكلمة معينة"[1]، وقد نتج عن الاستغلال الحسن لتلك الهوامش مساعدة القارئ العربي؛ فتلك الأمور"تجعل الكتاب قريب المأخذ من قرّاء العربية"[2].

[1] . بيتر ليدفوجد، مبادىء علم الأصوات الأكوستيكي، ص (و).

[2] . بريتل مالمبرج، علم الأصوات، تر: عبدالصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، (د ط)، 1984، ص03

وأما من حيث العرض، فقد توزعت هذه الترجمات على أنواع وأقسام الدراسة الصوتية، فهناك ما ينتمي إلى علم الأصوات العام (الفونتيك) وهناك ما ينتمي إلى علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا)، وهناك ما ينتمي لأحد فروع علم الأصوات العام، فكتاب (في علم الأصوات الفيزيقي، مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام) يندرج ضمن علم الأصوات الفيزيائي، وكتاب (مبادئ في علم الأصوات الأكوستيكي) يندرج ضمن علم الأصوات الأكوستيكي. وهناك ترجمات تعرض للدراسة الصوتية من منظور توليدي على غرار كتاب (الفونولوجيا التوليدية).

وفي المقابل تميزت هذه الترجمات ببعض السلبيات من قبيل:

- **المبالغة في التّصرف في الترجمة:** أدرك بعض أولئك المترجمين أن التعليقات والهوامش غير كافية لتزويد القارئ العربي بما ينفعه، ورأوا في الوقت ذاته أن التّصرف في النصوص المترجمة بتغيير الأمثلة الأجنبية بأخرى عربية أو الهروب من بعض الأمثلة الأجنبية ـ بعدم ذكرها ـ مسلكٌ معيب لا يدل إلا على عجز فاعله، وقد يدخل في مفهوم الخيانة التي يوصف بها كثير من المترجمين غير المدققين[1]. فلجأ أحد المترجمين – عبدالصبور شاهين – إلى إلحاق دراسات (ملاحق) مركَّزة تتصل بعلم الأصوات العربي بفصول الكتاب المترجَم[2]، تخللها عرضٌ لأفكار ومواقف المترجم في الدراسة الصوتية عامة والعربية أيضا في ما يقارب الأربعين صفحة من متن الكتاب.

ويتحجج هذا المترجم باللجوء إلى إضافة تلك الملاحق في ثنايا الترجمة لتحقيق غايتين هما:

- إطلاع القارئ العربي على الدراسة الصوتية عند الغرب ممثلة في متن الكتاب.

[1] . بريتل مالمبرج، علم الأصوات، ص 04.

[2] . ينظر: المرجع نفسه، ص03.

– تقديم أفكار ومواقف المترجِم عن الدراسة الصوتية عند الغربيين والعرب[1].لكن هذا لم يكن ليمنع من وضع تلك الملاحق في كتاب مستقلٍ.

- **الاجتزاء واختيار نصوص معينة:**الملمح الآخر الذي استخدمه بعض المترجمين هو اختيار ترجمة نصوص تأسيسية في الدراسة الصوتية على غرار كتاب (الفونولوجيا التوليدية) الذي هو مقال من كتاب، وترجمة (محاضرات في الصوت والمعنى) لجاكبسون، والسمة الغالبة على هذه الأعمال المجتزأة هو اشتراك أكثر من مترجم في إنجازها، ومن شأن هذا الاجتزاء والاشتراك في الترجمة أن يُسرّع ويسهّل في عملية الترجمة التي تحتاج وقتا وتدقيقا، ومن ثم مواكبة الدرس الصوتي الغربي. لكن ذلك الاجتزاء قد يضر بتلقي ما ورد في تلك الترجمات لأنه سيكون مبتورا عن الإطار العام الذي وردت فيه تلك النصوص والمحاضرات.
- **تأثير الخلفية التعليمية في اختيار بعض الكتب للترجمة:** حيث إن ترجمة بعض الكتب كان نتيجة لمتطلبات تدريس علم الأصوات، فقد ترجم (صالح القرمادي) كتاب(دروس في علم الأصوات العربية) "بعد أن اضطلع بمهمة تدريس علم الأصوات بالجامعة التونسية عدة سنوات[2]، وترجم (عبدالصبور شاهين) كتاب(علم الأصوات) "لمساعفة الطلاب في كلية دار العلوم"[3].

1 ـ 1 ـ 2/ الكتب الصوتية العربية:

شكَّلت عودة (إبراهيم أنيس) إلى مصر من الابتعاث مرحلة جديدة في تاريخ الفكر اللغوي العربي بعد نشره مجموعة من الكتب والمقالات، ويعدُّ كتابه (الأصوات اللغوية) معلما ينطلق منه عدد من الدارسين في التأريخ للسانيات في الثقافة العربية، فهو كتاب "يقدم لأول مرة باللغة العربية دراسةً متكاملة عن الأصوات اللغوية وطرق دراستها بعامة، وأصوات اللغة

[1] . بريتل مالمبرج، علم الأصوات ، ص04.

[2] . جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، تر: صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، (د ط)، 1966، ص07.

[3] . بريتل مالمبرج، علم الأصوات، ص05.

العربية خاصة، وذلك وفق المنهج الحديث" [1]. حظي هذا الكتاب باهتمام كبير بين الدارسين ولا يزال، وقد سعى مؤلفُ الكتاب إلى "نشر طرف من هذه الثقافة اللغوية بين من يعنون بالبحث اللغوي في مصر"[2]

توالت المؤلفات الصوتية بعد كتاب (إبراهيم أنيس) وتباينت في تقديمها لعلم الأصوات ومعالجتها للظاهرة الصوتية في اللغة العربية. ولئن كان كتاب إبراهيم أنيس يحظى بالسبق التاريخي فإن (سعد عبدالعزيز مصلوح) يرى أن كتاب (أصوات اللغة)لأستاذه عبدالرحمان أيوب "أولُ مؤلفٍ عربي يتناول بتفصيل دقيق وعميق معظم الجوانب التشريحية والفيزيائية في دراسة الأصوات على نحو يمتاز بالدقة والوضوح"[3]. كما يَعدُّ (حلمي خليل) كتاب (علم اللغة العام (الأصوات) لكمال بشر "مماثلا لكتاب أيوب في الدقة والوضوح"[4] ومن المؤشرات التي تدل على أهمية كتاب كمال بشر بين الدراسات الصوتية العربية نفاذ عدد النسخ المطبوعة وتعدد طبعات الكتاب، حيث يذكر مؤلفه أنه " كلما نفدت طبعاته قام الناشر بصنع غيرها من جديد وقد يفوته حظ اللحاق بحاجة الدارسين"[5].

الكتاب	صاحب الكتاب	سنة النشر
الأصوات اللغوية	إبراهيم أنيس	/1946 1947
أصوات اللغة	عبدالرحمان أيوب	1963
دراسات في علم اللغة القسم الثاني(علم الأصوات)	كمال بشر	1971

[1] . حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص148.

[2] . إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 4.

[3] . سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام . صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، 2000، ص01/ حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 198، 199.

[4] . ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص199.

[5] .كمال بشر، علم الأصوات، ص06.

دراسة الصوت اللغوي	أحمد مختار عمر	1976
دراسات في علم أصوات العربية	داود عبده	1979
دراسة السمع والكلام	سعدعبدالعزيز مصلوح	1980
المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة	صلاح الدين صالح حسنين	1981
من وظائف الصوت اللغوي ، محاولة لفهم صرفي نحوي دلالي	أحمد كشك	1983
الكلام إنتاجه وتحليله	عبدالرحمان أيوب	1984
مدخل للصواتة التوليدية	ادريس السغروشني	1987
علم الأصوات العام ـ أصوات العربية	بسام بركة	1988
أصوات العربية بين الثبات والتحول	حسام النعيمي	1989
علم الأصوات اللغوية(الفونيتيكا)	عصام نورالدين	1992
علم وظائف الأصوات اللغوية(الفونولوجيا)	عصام نورالدين	1992
نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية ـ دراسة صوتية	عبدالحميد زاهيد	1999

قد تبدو هذه الدراسات المنجزة في علم الأصوات حتى نهاية القرن العشرين كافية لتغطي علم الأصوات في الثقافة العربية، وذلك لتنوع محتوياتها واهتمامها بتقديم هذا الفرع للقارئ العربي، لكن المدقق سيجد عكس ذلك للأسباب الآتية:

- **عدم مواكبة التطورات**: أغلب الدراسات المثبتة في الجدول دراسات بنيوية باستثناء كتابي (داود عبده) و(إدريس السغروشني) التوليديتان، وهما كتابان لا يعبران أيضا عن تطور الدراسات الصوتية رغم كونهما ينتميان إلى النظرية التوليدية، فقد عرفت "النظريات الصوتية تحولات عديدة وتطورات مختلفة، إذ مرت بثلاث مراحل، هي مرحلة الفونولوجيا البنيوية ويؤطرها عمل دي سوسير ولسانيي حلقة براغ، ومرحلة الفونولوجيا التوليدية المعيار ويمثلها

كتاب تشومسكي وهالي (النسق الصوتي للغة الانجليزية 1968)، ومرحلة الفونولوجيا التوليدية الحديثة وتمثلها أعمال مجموعة من اللسانيين التوليديين"[1]

ولئن كانت جل الكتب قد توقفت عند المرحلة الأولى، فإن كتابي (داوود عبده) و(إدريس السغروشني) قد عرضا لمجموعة من القضايا التي تنتمي للمرحلة الثانية ، أما المرحلة الثالثة فقد شملت ترجمات لمبارك حنون وأحمد العلوي لبعض أعمال هذه المرحلة (الفونولوجيا التوليدية الحديثة 1992، صواتة عروضية أم صواتة مستقلة القطع 2014، الصواتة المقطعية نحو نظرية توليدية للمقطع 2019)، ثم بدأت تظهر مع بداية القرن الواحد والعشرين دراسات صوتية عربية أطرتها أعمال هذه المرحلة، وتشكل أعمال مبارك حنون (في الصواتة الزمنية _ الوقف في اللسانيات الكلاسيكية 2003/ في التنظيم الإيقاعي للغة العربية– نموذج الوقف 2010/ في الصواتة البصرية من لسانيات المنطوق إلى لسانيات المكتوب – الكتابة وعلامات الترقيم والروابط 2013) "مشروعا بحثيا لدراسة الوقف وفق مقاربة الصواتةالإيقاعية"[2] و كتاب مصطفى بوعناني (الفونولوجيا المتعددة الأبعاد– المماثلة والتناغم في اللغة العربية2010) وأحمد البابيي (القضايا التطريزية في القراءات القرآنية – دراسات لسانية في الصواتة الإيقاعية 2012).

- **غلبة الطابع التبسيطي التعليمي:** أدى المظهر السابق (عدم مواكبة التطورات في الدراسات الصوتية) إلى وصف أغلب الدراسات –خاصة الأولى منها– بالتمهيدية، وذلك لأنها كانت "تكتفي بعرض مفاهيم صوتية بنيوية، كما أنها كانت تتحجج دائما بفقر المكتبة العربية إلى مثل هذه الدراسات التبسيطية التعليمية"[3].

[1] . ينظر: هاري فان درهالست، نورفال سميث، الفونولوجيا التوليدية الحديثة، تر: أحمد العلوي ومبارك حنون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1992، ص05.

[2] . ينظر: مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية – نموذج الوقف، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص11.

[3] . ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، صص 102، 117.

● **التركيز على الفونتيك أكثر من الفونولوجيا:** ركّزت الكتابات الصوتية الأولى على الجوانب النطقية والسمعية والفزيائية للصوت اللغوي، على حساب الدراسة الوظيفية التركيبية(الفونولوجيا)، فلم تخصص للظواهر فوق المقطعية أو التطريزية مثل النبر والتنغيم والوقف دراسات مستقلة إلا في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، وهذا ما دفع إحدى الباحثات إلى القول إن "الدرس الصوتي في اللسانيات العربية كان درسا فونيطيقيا في خصائصه العامة لا فونولوجيا، على الرغم، من أن اللسانيين العرب قد أشاروا إلى الفونولوجيا وميزوها عن الفونيتيكا وذكروا بعض مفاهيمها"[1]

1 . 2/ تلقي علم الدلالة في الثقافة العربية:

حظي علم الدلالة باهتمامٍ لا يقل عن اهتمام الدارسين بعلم الأصوات/ الصوتيات خاصة بعد تخلي النظرية اللسانية على مواقفها المناهضة له، وذلك ابتداء من ستينيات القرن الماضي مع النظرية التوليدية التحويلية، ثم تنامى هذا الاهتمام بالمعنى مع التداولية التي صارت دراسةُ المعنى من أخـص اهتماماتها. وقد تولّد هذا الاهتمام بعلم الدلالة عن مجموعة من الأسباب منها

- مكانة المعنى في النظام اللغوي: حيث يعد المعنى الذي أحد ركيزتين تقوم عليهما اللغة البشرية (الصوت ـ المعنى)، كما أن له دورا رئيسيا في الفهم والإفهام في عملية التواصل.
- أهمية علم الدلالة: إن"علم الدلالة بصفته دراسة للمعنى هو مركَز العملية الاتصالية، وبما أن هذه العملية أصبحت عاملا مهما وحاسما في التنظيمات الاجتماعية، فإن الحاجة إلى فهمها تصبح أكثر إلحاحا"[2]

تعاطى الدارسون العرب مع هذا العلم وسارعوا إلى الانكباب عليه ترجمة وتأليفا منذ وقت مبكر، فهو يعدُّ "أحد الميادين التي قبلت فيها العربية التحدي منذ ظهوره بصيغته

[1] . فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص112.

[2] . ينظر: بيير جيرو، علم الدلالة، تر: منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، ط1، 1988، ص08.

الجديدة في الستينات"[1]؛ ففي 1958 ألّف (إبراهيم أنيس) كتابه (دلالة الألفاظ)، وفي سنة 1962 تمت ترجمة كتاب (دور الكلمة في اللغة) لستيفن أولمان، وهو كتاب في المعنى وإن كان العنوان يوهم بعكس ذلك. توالت بعد هذين الكتابين ترجمات ومؤلفات أخرى في الثقافة العربية.

1 ـ 2 ـ 1/ الكتب المترجمة:

وجد اللسانيون العرب الرواد أنفسهم أمام ضرورة ترجمة مؤلفات في علم الدلالة بعد أن "برزت حاجةٌ ماسة للاستزادة والتعمق ولاستقبال الكتب العالمية المعروفة في هذا المجال"[2]، وذلك لأن وضع هذا العلم في الثقافة العربية مختلف عن غيره من الفروع، فإذا كان لعلم الأصوات والصرف والتراكيب والمعجم قاعدةٌ معرفية في التراث يمكن أن تجعل الدراسة في غنى عن الترجمة، فإنّ علم الدلالة لم يكن يمتلك تلك القاعدة بشكل مباشر، فكل ما هو موجود من إشارات في هذا العلم منثور في علوم مختلفة (أصول الفقه، علم الكلام، الفلسفة، البلاغة). وهذه بعض الكتب المترجمة المستقلة في علم الدلالة إلى غاية نهاية القرن العشرين:

الكتاب	المؤلف	تاريخ التاليف	المترجم	تاريخ الترجمة
دور الكلمة في اللغة	ستيفن أولمان	1951	كمال بشر	1962
علم الدلالة	جون ليونز	1968	مجيد ماشطة وفالح كاظم	1980
علم الدلالة إطار جديد	بالمر	1976	مجيد ماشطة	1985
اللغة والمعنى والسياق	جون ليونز	/	عباس صادق الوهاب	1987

[1] . أف. آر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر: مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد، (د ط)، 1985، ص01.

[2] . المرجع نفسه، ص01.

علم الدلالة	بيير جيرو	/	منذر عياشي	1988
مقدمة إلى علم الدلالة الألسني	بركلي هربرت	/	قاسم مقداد	1990
علم الدلالة	كلود جرمان و ريمونلوبلون	1982	نور الهدى لوشن	1997
علم الدلالة إطار جديد	بالمر	1986	صبري ابراهيم السيد	1995
المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث	مجموعة من المؤلفين	/	عبدالقادر قنيني	2000

ذكرنا آنفا أن علم الدلالة لم يكن يمتلك قاعدة معرفية مثل غيره من الفروع اللغوية مما دفع بالدارسين إلى التعجيل في تقديم مؤلفات أو ترجمات تقدم هذا العلم الجديد، ولعل أحسن دليل على هذا الاستعجال هو ترجمة كتاب (علم الدلالة) لجون ليونز، يمثّل هذا الكتاب في الأصل فصلين من كتاب آخر لجون ليونز (الفصلان 9 و10 من كتاب علم اللغة النظري). إن هذا الاختيار يدفعنا لا محالة للتساؤل عن سبب اجتزاء هذين الفصلين في ظل توفُّر كتبٍ في علم الدلالة بلغات أجنبية، وقد أشار "أحمد مختار عمر" إلى كثرة المراجع الأجنبية في هذا المجال خاصة باللغة الانجليزية خلال الفترة الممتدة من 1960 ـ 1980، وقد ثبَّت ذلك في قائمة المراجع آخر الكتاب[1]. قد تكون لهذين الفصلين قيمةٌ معرفية استدعت ترجمتهما، لكن هذا لا يمنع من ترجمة كتب مستقلة، بل كان بالإمكان ترجمة كتابين آخرين لجون ليونز هما علم الدلالة البنيوي 1963 وكتاب علم الدلالة في مجلدين 1977.

ما يمكن تسجيله أيضا من خلال قراءتنا للجدول غيابُ ترجمةٍ لكتابين كثيرا ما يشار إليهما في نشأة علم الدلالة هما: كتاب (دراسة الدلالة) لميشال بريال 1983، وكتاب معنى

[1] . ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 06.

المعنى لأوجدن وريتشاردز1923. لم تدم حالة الغياب هذه مع الكتاب الثاني فقد ترجمه (كيان أحمد حازم يحي) سنة 2016، أما الأول فبقي على حاله يُكتفى منه بترجمة بعض نصوصه خاصة ما تعلق منها بتسمية العلم ومنهج الدراسة.

1 ـ 2 ـ 2/ الكتب العربية في علم الدلالة:

يعود فضل السبق في التأليف في علم الدلالة في الثقافة العربية إلى (إبراهيم أنيس)، إذ يؤرّخ لصدور كتابه (دلالة الألفاظ) سنة 1958ببداية التأليف في هذا التخصص. وقد نحا فيه منحى لسانيا معطيا إياه تلك الاستقلالية التي افتقرت إليها الدراسات الدلالية العربية قبله، حيث يقول: "ونحن في كتابنا هذا نسلك مسلك اللغويين في بحث الدلالات، ونعالجها كما يعالج اللغوي الحديث ذلك الفرع من الدراسات اللغوية المسمى لدى الأوربيين Semantics "[1]. وبهذا يكون (إبراهيم أنيس) قد حاز هذا فضل السبق لمرتين، الأولى مع علم الأصوات والثانية مع علم الدلالة. توالت بعد ذلك مجموعة من الدراسات المستقلة لتغني ذلك الفقر في المكتبة العربية والذي أشار إليه الرواد[2].

الكتاب	المؤلف	سنة النشر
دلالة الألفاظ	إبراهيم أنيس	1958
علم الدلالة	احمد مختار عمر	1982
علم الدلالة عند العرب	عادل فاخوري	1985
علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق . دراسة تاريخية تأصيلية نقدية	فايز الداية	1985
التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم	محمد غاليم	1987
علم الدلالة بين النظر والتطبيق	أحمد نعيم الكراعين	1988

[1] . إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984، ص 07.

[2] . ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص06./ ومحمد غاليم، عن البحث الدلالي العربي، ضمن: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991، ص102

علم الدلالة والمعجم العربي	عبدالقادر أبو شريفة/ حسين لافي/ داود غطاشة	1989
اللسانيات والدلالة، الكلمة	منذر عياشي	1996
في علم الدلالة ـ دراسة تطبيقية في شرح ابن الانباري للمفضليات	عبدالكريم محمد حسن جبل	1997
المعنى في البلاغة العربية	حسين طبل	1998
المعنى والتوافق، مبادىء لتأصيل البحث الدلالي العربي	محمد غاليم	1999
مدخل إلى الدلالة الحديثة	عبدالمجيد جحفة	2000
التحليل الدلالي:إجراءاته ومناهجه	كريم زكي حسام الدين	2000

لا يمكن الجزم بأن هذه الدراسات قد أغنت المكتبة العربية لأن المقصود في النهاية هو الكيف وليس الكم، ومع هذا فإن هذه الدراسات جاءت متنوعة من حيث مضامينها المعرفية وغاياتها، فهناك كتبٌ اهتمت بتقريب علم الدلالة ونظرياته ومفاهيمه للقارئ العربي على غرار كتاب أحمد مختار عمر(علم الدلالة)، وهناك كتب اختارت العودة إلى التراث العربي ومحاولة الوقوف على الجهود الدلالية عند العرب القدامى مثل كتاب (المعنى في البلاغة العربية) وكتاب (علم الدلالة عند العرب) وكتاب(علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق ـ دراسة تاريخية تأصيلية نقدية) وكتاب (علم الدلالة بين النظر والتطبيق) وهناك كتبٌ قدمت علم الدلالة في أحدث نظرياته مثل كتاب (المعنى والتوافق ـ مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي) وكتاب (مدخل إلى الدلالة الحديثة)، وهناك من انتقل من الشق النظري إلى التطبيق مثل كتاب (التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه)[1].وبموازاة هذه الدراسات المستقلة والمتخصصة في الدراسة الدلالية عند العرب كانت هناك دراسات لسانية جعلت الكشف أو رصد المعنى في

[1] . هذا الكتاب تطبيقي من حيث هو تحليل لألفاظ المعجم الشعري لقبيلة هذيل. ينظر: كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي، إجراءاته ومناهجه، ج1، دار غريب، القاهرة، ط1، 2011، ص07.

مختلف فروع اللغة وتجلياتها غايةً أساسية ، ويمكن في هذا الصدد عدُّ كتاب تمام حسان (اللغة العربية معناها ومبناها) الصادر سنة1973 مرجعا دلاليا.

حمَلت تلك الكتب الدلالية العربية مجموعة من الإشكالات التي أعاقت تلقي هذا الفرع اللساني:

- **تداخل المباحث الدلالية مع مباحث أخرى ذات طابع تاريخي أو تعليمي أو نفسي في كتب علم الدلالة:** حيث حوى كتابا (دلالة الألفاظ)لإبراهيم أنيس و(علم الدلالة) لأحمد مختار عمر مباحثَ عن التطور والتغير الدلالي وعن اكتساب الدلالة ونموها وقياس المعنى. إن هذا التعدد والتنوع في مجالات المباحث المدروسة جعل "مادة هذين الكتابين غير منسجمة ولا يضبطها ضابط منهجي دقيق"[1]، إذ تحس وأنت تقرأ فهرس الموضوعات أن كل فصل من الكتاب منفصل عن غيره من الفصول. ولا يربطه به إلا رابط الموضوع وهو المعنى. ومن مظاهر هذا التداخل في بعض الدراسات الخلط بين علم الدلالة والسيمياء كما نلمحه في كتاب عادل فاخوري (علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة)، وفي كتاب التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه) الذي يصفه مؤلفه بأنه "أول دراسة سيميائية تطبيقية لمدونة لغوية"[2] في حين أنه اعتمد إجراءات ونظريات التحليل الدلالي.
- **غياب التصور النظري والمنهجي الواضح:** يعيب (محمد غاليم) على أغلب الدراسات الدلالية العربية "غياب التصور النظري والمنهجي الواضح"[3]، وهذا السبب هو الذي أدى إلى ذلك التداخل بين مباحث بعض الكتب الدلالية، فغياب الإطار النظري والمنهجي أدى إلى أن تكون تلك الدراسات مجرد جمعٍ لمعلومات وأفكار الغير حتى ما بدا منها مختلفا عن بعضه يصدق هذا النقد على كتاب أحمد مختار عمر (علم الدلالة) الذي "اتخذ شكلا لا هو

[1] . محمد غاليم، عن البحث الدلالي العربي، ص117.
[2] . كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي، إجراءاته ومناهجه، ج1، ص14.
[3] . محمد غاليم، عن البحث الدلالي العربي، ص102

بالمدخل ولا هو بالقاموس ولا هو بالموسوعة الدلالية لحشوه بمادة وفيرة دون التفصيل الكافي الذي يضمن الجدوى من عرضها، فهو عبارة عن عناوين كثيرة العدد تختلط فيها معطيات قديمة بأخرى حديثة في غير اتساق واضح"[1]. تطورت صورة التساهل في عدم تحديد الإطار النظري والمنهجي في تلك الدرسات الدلالية وتولد عنه الحديث عن منهج تكاملي في دراسة المعنى، تتم فيه "الاستعانة بالإجراءات والنظريات المختلفة التي عرفها الدرس الدلالي؛ لأن قضية المعنى أشمل من أن يحتويها منهج أو نظرية بعينها"[2].

- **الاهتمام بالدلالة المعجمية:** يعيب محمد حماسة عبد اللطيف على أصحاب الدراسات الدلالية الأولى "انحصار جهد أصحابها في دلالة المفردة المعجمية"[3]. وقد مثَّل هذا الموقف بشكل صريح أحمد مختار عمر في مقدمة كتابه (علم الدلالة) بقوله: "رأيت أن أركِّز في هذا الكتاب على المعاني المعجمية، مع بعض إشارات سريعة إلى المعاني النحوية حين يكون ذلكضروريا، مؤجلا المعالجة التفصيلية له إلى كتاب آخر مستقل أرجو أن أفرغ من جمع مادته قريبا"[4].

- **الاهتمام بعلم الدلالة البنيوي:** أدى التركيز في أغلب الدراسات على الدلالة المعجمية إلى إبعاد الدلالة النحوية التركيبية ومن ثم الاكتفاء بعلم الدلالة البنيوي وعدم مواكبة التطورات الحاصلة في هذا المجال في النظريتين التوليدية والتداولية التي انصب اهتمامها على دراسة معنى التراكيب والجمل. ولم يُحدث الاستثناء من بينها سوى كتاب (التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم) وكتاب (المعنى والتوافق – مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي) وكتاب (مدخل إلى الدلالة الحديثة) فهي كتب قدمت وتبنت أحدث التيارات الدلالية، حيث قدّم محمد غاليم في كتابيه لما يعرف بالدلالة التصورية. وهي من أحدث التيارات في مجال علم الدلالة.

---

[1] . ينظر: محمد غاليم، عن البحث الدلالي العربي ، ص127، 128.

[2] . كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي، ج1، ص 15.

[3] . محمد حماسة عبداللطيف، النحو والدلالة . مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000، ص20.

[4] . أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص07.

● **التناول الجزئي في الدراسات الدلالية التراثية**[1]: أغلب الكتابات الدلالية التراثية كانت تهتم بقطاع معين من التراث العربي (كالبلاغة أو الفلسفة أو أصول الفقه) أو بعَلَم واحد من أعلام التراث العربي كعبدالقاهر الجرجاني أو الآمدي أو الغزالي. وقد تولد عن ذلك التناول الجزئي "عدم الاهتمام بطبيعة التصورات الدلالية التي يشترك فيها هؤلاء جميعا إلى هذا الحد أو ذاك، ومن ثمة انصب الاهتمام على المسائل أو القضايا الدلالية دون الأصول أو المقدمات الدلالية التي بررت تناول تلك المسائل بعينها دون غيرها"[2]

2/ تلقي النظريات والاتجاهات اللسانية في الثقافة العربية:

إن محاولةً لدراسة تلقي كل النظريات والاتجاهات التي عرفها الدرس اللساني في أوربا وأمريكا على أعقاب محاضرات (فرديناند دي سوسير) لا يسعها هذا المبحث من الأطروحة بل ربما لا تسعها أطروحة بكاملها، لأن انتقال هذه النظريات من منابتها الأصلية إلى ثقافتنا العربية قد عرف مجموعة من المتغيرات في مقدمتها خصوصية اللغة العربية في التطبيق. لهذا سنقتصر على دراسة تلقي النظريات الكبرى التي عرفها المشهد اللساني العالمي وكان لها أثر في مساره، وهي البنيوية والتوليدية والتداولية.

2 ـ1/ تلقي اللسانيات البنيوية الوصفية في الثقافة العربية:

إن المقصود باللسانيات البنيوية/ الوصفية هو ذلك التيار اللساني الذي شكّلت أعمال (فرديناند دي سوسير *Ferdinand de Saussure*)رافده الأول وطوّرته أعمال اللسانيين اللاحقين في أوربا وأمريكا، وهي تيار لساني تُدرَس فيه اللغة على اعتبارها نظاما أو نسقا مجردا، وتعطى فيه "الأولوية للبنية على العناصر المكونة لها"[3] وللكل على الجزء،

[1] . محمد غاليم ، عن البحث الدلالي العربي، ص103.

[2] . المرجع نفسه، ص103.

[3] . مجموعة من الأساتذة والباحثين، إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين – مختارات معربة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، ط1، 2012، ص 06.

وذلك بالتركيز على مجموعة من العلاقات التي تحدد قيمة كل وحدة من الوحدات اللغوية في النظام أو البنية اللغوية. ولا تستقيم الدراسة إلا بتوفر جملة من الشروط أهمها تحديد الدراسة بفترة زمنية ثابتة، والابتعاد عن التفسير والتعليل.

شكّلت اللسانيات البنيوية الوصفية أول الاتجاهات اللسانية التي تم تلقيها في الثقافة العربية، بعد أن وقع اتصال مباشر بين الثقافتين العربية والغربية عن طريق البعثات العلمية وشكّلت مصر البيئة الحاضنة لهذا الاتصال، حيث أثمرت عودة المبتعثين مع نهاية النصف الأول من القرن العشرين وبداية النصف الثاني تأليفَ وترجمة العديد من الكتب التي يصب جلُّها في خانة اللسانيات البنيوية الوصفية، وإن اتّخذ أغلبها مصطلح علم اللغة أو علم اللغة العام عنوانا لها. وقد عرف مسار تلقي هذه النظرية في الثقافة العربية مرحلتين:

- **مرحلة الانحصار والرفض:**

لم تحض النظرية اللسانية البنيوية بالقبول في الأوساط الثقافية والجامعية المصرية حيث قوبلت بالرفض دفاعا عن التراث اللغوي العربي، وقد أشار(تمام حسان)إلى جانب من هذا السياق الذي ظهرت فيه اللسانيات البنيوية الوصفية في الثقافة العربية، حيث كان الجو مشحونا داخل الجامعة المصرية بين العائدين من الجامعات الأوربية الطامحين إلى تدريس اللسانيات وبين المدافعين عن التراث اللغوي العربي، حيث يقـول"وحين كنت أتولى تدريس علم الأصوات اللغوية لطلبة السنة الثانية بكلية دار العلوم بالقاهرة – فيما بين سنتي 1953 و1959 – كان الاتجاه العام بين أساتذة الكلية في ذلك الحين هو إلى التشكيك في قيمة الدراسات اللغوية الحديثة ولا سيما عند تطبيق منهجها وأفكارها على دراسة اللغة الفصحى"[1]. أثّر هذا السياق سلبا على انتشار اللسانيات البنيوية الوصفية عربيا، لأنه كان

[1] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د ت)
ص07

نشاطا معزولا؛ إذ كان "عبارة على جهود فردية بعيدة عن نشاط المؤسسات اللغوية القائمة التي رفضت تبني هذه الجهود أو الاضطلاع بها وإنشاء وضع لساني حقيقي من خلالها"[1].

- **مرحلة الانتشار:**

لم تدم حالة الرفض هذه طويلا فسرعان ما بدأ يزول ذلك الوضع تدريجيا، إذ عرفت اللسانيات البنيوية الوصفية في الثقافة العربية "بريقا معرفيا في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين"[2]، مما نتج عنه انتشارٌ واسع لها فكَّ عزلتها، وسمح بانفتاحها على بلدان عربية أخرى، حيث انتقل عدد من البنيويين الوصفيين المصريين إلى التدريس في جامعات عربية ومثال ذلك، تمام حسان الذي أعير للتدريس في جامعة محمد الخامس بالمغرب بين سنتي 1973 و 1979، وتدريسه بمعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى بالسعودية بين سنتي 1980 و 1996[3]. وفي هذه الفترة أيضا صار من الممكن تطبيق هذا النموذج على اللغة العربية بعد أن كان مرفوضا في البداية.

عرفت اللسانيات البنيوية الوصفية في الثقافة العربية تطورات معرفية خلال المرحلتين اللتين أشرنا إليهما، حيث توزعت على ثلاثة تيارات أساسية[4]:

- التيار النقدي للتفكير اللغوي القديم
- الدعوة النظرية لأصول علم اللغة البنيوي
- تطبيق البنيوية الوصفية على اللغة العربية

- **التيار النقدي للتفكير اللغوي القديم:** شكّل نقد النحو العربي مرتكزا معرفيا استندت عليه أغلب الكتابات اللسانية البنيوية العربية، حيث اعتنى مجموعة من جيل الرواد اللسانيين في

[1] . فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص03.

[2] . مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، ص09.

[3] . ينظر: مجموعة من الباحثين، تمام حسان رائدا لغويا – بحوث ودراسات مهداة من تلامذته وأصدقائه، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006، ص15، 16.

[4] . حلمي خليل العربية وعلم اللغة البنيوي، ص245.

مصر بمعالجة بعض المشاكل اللغوية وتصحيح ما رأوه نظرةً قاصرة وخاطئة في التراث النحوي. عرفت هذه الكتابات تفاوتا في نقدها للتراث النحوي، فهناك من كان نقده عبارة عن إشارات أو مباحث أو فصول في كتب لسانية عامة، مثل كتاب(أسرار اللغة1951) لإبراهيم أنيس، وكتاب (اللغة بين المعيارية والوصفية1958) لتمام حسان، وكتاب (قضايا لغوية 1962) لكمال بشر. وهناك من خصّ نقده للتراث النحوي بكتاب مستقل مثل كتاب (دراسات نقدية في النحو العربي 1957) لعبدالرحمان أيوب، وكتاب (اللغة العربية معناها ومبناها 1973) الذي حوى نقدا للتراث النحوي في مختلف مستويات.

- **الدعوة النظرية لأصول علم اللغة البنيوي:** سعى عدد من اللسانيين إلى تقديم اللسانيات للقارئ والمتلقي العربي من خلال التعريف بأسس اللسانيات العامة ومبادئها، ومن الأعمال الأولى التي تدرج في هذا المجال كتابُ (مناهج البحث في اللغة 1955)لتمام حسان وكتاب (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي 1962) لمحمود السعران.
- **تطبيق البنيوية الوصفية على اللغة العربية:** سارع عدد من اللسانيين إلى تطبيق نموذج اللسانيات البنيوية على اللغة العربية الفصحى بعد أن كانوا يطبقونه في البداية على أمثلة بسيطة منها أو على لهجات عامية. وقد انقسمت اهتماماتهم بين إعادة قراءة التراث اللغوي العربي على ضوء اللسانيات البنيوية، أو تطبيقها على اللغة العربية الفصحى. وكلا الاهتمامين جمعهما كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) لتمام حسان.

2 . 1 . 1/ تلقي الفكر اللساني السوسيري في الثقافة العربية:

تشكل أعمال (فرديناند دي سوسير) النواة الصلبة للبرنامج اللساني الحديث، لكم دراسة تلقي هذه الأعمال يجب أن تكون على معرفة بأن ما تركه (فرديناند دي سوسير) في مجال اللسانيات قسمان، الأول منهما تمثله المحاضرات التي نشرها (ألبرت سيشهاي) و(شارل

بالي)، والثاني يعتمد على ما تم اكتشافه ونشره من مخطوطات ونصوص بعد النصف الثاني من القرن العشرين.

2.1.1.1/التلقي الكلاسيكي لدي سوسير (المحاضرات) في الثقافة العربية: وأقصد به تلقي المحاضرات التي تُنسَب إلى دي سوسير ، والتي تم نشرها من طرف (شارل بالي) و (ألبرت سيشهاي) سنة 1916. شكلت تلك المحاضرات طيلة عقود من الزمن ـ ولا تزال إلى يومنا هذا ـ المادة الأساسية التي غذّت سيرورة النظرية اللسانية في تطوراتها المختلفة إما تفاعلا أو نقدا، كما أنها تعدُّ مادة تعليمية ومرجعا أساسيا في مقررات الدراسات اللسانية وبحوثِها، بل "أسست أنموذجاParadigme معرفيا جديدا امتد تأثيره إلى مختلف العلوم الإنسانية"[1]

حظيت محاضرات دي سوسير بمكانة هامة خارج موطنها الأصلي في العالم الغربي (سويسرا)، إذ نالت شهرة واسعة متجاوزة جدران المدرج الذي كان يلقي فيه دي سوسير محاضراته، وأسوار جامعة جنيف. "فقد لا قت آراء دي سوسير ونظرياته في النصف الأول من القرن العشرين نجاحا عظيما"[2]. وقد تجسد ذلك النجاح على أكثر من صعيد، مثل:

– ترجمة المحاضرات إلى مختلف اللغات،وقد كان لهذا العمل الأثر القوي في نشر هذا العلم في أرجاء العالم،ففي سنة 1928تُرجمت إلى اليابانية، وفي 1931 إلى الألمانية، وفي 1933 إلى الروسية، وفي 1945 إلى الاسبانية، وفي 1967 إلى الايطالية.[3]

– اعتماد آراء (دي سوسير) اللسانية في ظهور مدارس واتجاهات لسانية جديدة في أوربا وأمريكا.

---

[1] . مبارك حنون، مدخل إلى لسانيات سوسير، دار توبقال، الرباط، ط1، 1987، ص05.

[2] . محمد الشاوش، سوسر والألسنية، ضمن: أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، (د ط)، 1986ص05.

[3] . ينظر: مبارك حنون، مدخل إلى لسانيات سوسير، ص05.

انتبه اللسانيون العرب إلى مرجعية ومركزية محاضرات دي سوسير في اللسانيات، منذ البدايات الأولى لحركة التأليف، إذ وثّقت أعمال جيل الرواد المصريين من أمثال تمام حسان ومحمود السعران إحالاتٍ في مؤلفاتهم إلى مبادئ دي سوسير اللسانية مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، إما إحالةً مباشرة على المحاضرات نفسها بلغة أجنبية، أو على لسانيين غربيين آخرين. ثم بدأ التفكير في ترجمة المحاضرات ونقلها إلى اللغة العربية في سبعينيات القرن العشرين (1975)، حيث كانت البداية "ترجمةً لفصولٍ مختارة من الكتاب"[1]، لتشمل الكتاب كاملا فيما بعد، وقد كان حظ الثقافة العربية من ذلك خمس ترجمات:

الكتاب	سنة النشر	المؤلِف	المترجِم	السنة
محاضرات في الألسنية العامة / الترجمة اللبنانية	1916	فرديناند دي سوسير	يوسف غازي/ مجيد النصر	1984
دروس في الألسنية العامة/الترجمة التونسية			صالح القرمادي/ محمد الشاوش / محمد عجينة	1985
علم اللغة العام/ العراق			يوسف يؤيل عزيز	1985
فصول في علم اللغة العام/ الترجمة المصرية			أحمد نعيم الكراعين	1985
محاضرات في علم اللسان العام/ الترجمة المغربية			عبدالقادر قنيني	1987

[1] . ينظر فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص 07.

إن قراءة أولية لجدول الترجمات العربية لمحاضرات دي سوسير سيحيلنا على ملاحظتين أساسيتين هما:

- **تأخر الترجمة:** فصلت مدة تفوق ثماني وستين سنة بين نشر المحاضرات وأول ترجمة عربية وهي مدةٌ طويلة جدا كان من شأنها أن تسهم في تقدم اللسانيات العربية، لو واكبت الترجمة بداية التأليف في اللسانيات عربيا.وقد فسر بعض المترجمين ذلك التأخر ببعض المبررات[1]:
  - تأخر تلقي اللسانيات في الثقافة العربية بشكل عام.
  - طبيعة الكتاب الغنية بالمصطلحات العلمية والأمثلة والشواهد المتنوعة.
  - اللغة المترجم عنها، فهناك من لم يكن يجيد اللغة الأصلية للمحاضرات (الفرنسية) ويخاف من الوقوع في التحريف، إذ اعتمد الترجمة الإنجليزية للمحاضرات.
  - التردد والخوف من ترجمة المحاضرات التي تُعَدّ من أهم مصادر علم اللغة الحديث.
- **تعدد الترجمات:** ربما يدل هذا التعدد في الترجمات متزامنةً في فترة واحدة تقريبا (1984 ـ 1987) على "محاولة تدارك ما فات العرب من أمر هذا الكتاب الفذ"[2]، لكن هذا الاحتمال يقتضي وجود تنسيق وتوحيد للجهود والعمل وليس ارتجالا وتعددا. ومهما يكن مظهر هذا التعدد إيجابيا أو سلبيا فإن "ظهور ترجمات لكتاب فرديناند دي سوسير حدثٌ هاما في تاريخ اللسانيات العربية يمكن أن نقيس به مدى تقدم العرب في هذا العلم ومدى رسوخ هذا العلم في ديارهم"[3].

وإذا انتقلنا من ترجمات محاضرات دي سوسير وبحثنا عن الدراسات العربية المستقلة التي أُلفت على هامش المحاضرات وخصّصت لتقريب مفاهيم ونظرية دي سوسير، سنجد

---

[1] . ينظر: فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص 8 – 11/ وفرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار أفاق عربية، بغداد، (د ط)، 1985، ص 4./ فرديناند دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، تر: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (د ط)، 1985، ص3 ، 4.

[2]. عزالدين المجدوب، ثلاث ترجمات لكتاب فردينان دي سوسير، حوليات الجامعة التونسية، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، تونس، عدد 26، 1987 ص 43.

[3] . المرجع نفسه، ص46.

الحصيلة خفيفة جدا، بخاصة في السنوات التي تلت ترجمة المحاضرات إلى العربية، فما يمثّل هذا النمط من الدراسات قليل جدا، وربما لا يتجاوز عدد الترجمات. وقد وقفنا منها على ما يلي:

المؤلف	الكتاب	السنة
فوزي الشايب	سوسير والألسنية/ مقال	1986
مبارك حنون	مدخل الى لسانيات سوسير/ كتاب	1987
محمد حسن عبدالعزيز	دي سوسير رائد علم اللغة الحديث/ كتاب	1989

إن هذه الدراسات الثلاث لا تعني غياب أو إقصاء دي سوسير ومحاضراته، بل على العكس لا يكاد يخلو كتاب في اللسانيات ـ عربيا ـ من الإحالة عليه وعلى أثره في نشأة اللسانيات، لكن الذي قصدناه هو قلة الدراسات المخصّصة والمستقلة مقارنة مع تلك الإشارات والمباحث في ثنايا المؤلفات العربية، بل إنّ أحد المترجمين يقيس هذه القلة مع "ما كُتِب عن سوسير في لغات أخرى"[1].

يبدو أن السبب الأساسي لقلة هذا النمط من الدراسات يعود أساسا إلى مجموعة من الأسباب التي تتعلق بالنظرية اللسانية؛ حيث بدأت تتناقص أهمية المحاضرات مع التطورات التي ظهرت بدءا من عشرينيات القرن العشرين وظهور مدارس واتجاهات بنيوية جديدة، أو بانشغال اللسانيين العرب بالتعريف باللسانيات البنيوية الوصفية وتطبيقها على اللغة العربية. ويمثّل الكتابان الآتيان أحسن دليل على ما ذهبنا إليه.

المؤلف	الكتاب	السنة
محمد الحناش	البنيوية	1980
حلمي خليل	العربية وعلم اللغة البنيوي	1988

[1] . جوروج مونان، سوسير أو أصول البنيوية، تر: جواد بنيس، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2015، ص09.

بقي ـ ما يمكن أن نسميه ـ الإرث السوسيري في صورته الكلاسيكية حاضرا في الثقافة العربية إلى غاية بداية القرن الواحد والعشرين، وهذا ما تجسّده ترجمة كُتب قديمة مثل:

الكتاب	المؤلف	سنة النشر	المترجم	سنة الترجمة
– فرديناند دي سوسير . أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات – فرديناند دي سوسير . تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات	جوناثان كللر	1976	عزالدين اسماعيل محمود حمدي عبدالغني	2000
سوسير أو أصول البنيوية	جورج مونان	1968	جواد بنيس	2015

بل إن نمط الدراسات المؤلفة على هامش المحاضرات بقي حاضرا في شكل مؤلفات تقرّب وتلخّص النظرية السوسيرية كما هي في المحاضرات للقارئ العربي، وإن كانت أغلب تلك الدراسات تعليمية محضة موجهة لطلبة مادة اللسانيات في أقسام اللغة العربية، كما ظهرت دراساتٌ احتفائية؛ على غرار ما فعله (فوزي حسن الشايب) من عرضٍ لأفكار دي سوسير كما وردت في محاضراته في مؤلف بعنوان (سوسير أبو اللسانيات، الخلفيات والأفكار) سنة 2017، وذلك بمناسبة الذكرى المئوية لصدور كتاب سوسير (المحاضرات).

2 . 1 . 1 . 2/ التلقي الجديد لدي سوسير في الثقافة العربية:

إن السياق الذي ظهرت فيه محاضرات دي سوسير سنة 1916، جعل تلقيها يبقى طيلة قرن من الزمن محفوفا بالغموض والشكوك، وذلك "لانعدام ولوجٍ مباشر لفكر

سوسير"[1]، فالمعروف أن دي سوسير لم يكتب تلك المحاضرات إنما هي من فعل (شارل بالي) و(ألبرت سيشهاي). وبقي التساؤل عن هوية المحاضرات قائما في ظل غياب مادةٍ كتبها دي سوسير بنفسه، حتى بدأت مجموعة من المخطوطات والنصوص في الظهور، وأصبحت اللسانيات السوسيرية مع هذه التطورات "قابلة لفهمٍ مغاير نسبيا عما يقدمه نص دروس في اللسانيات العامة، وأصبح بالإمكان تشكيل ملامح جديدة للسانيات سوسير على نحو مختلف نسبيا عن الخطوط العامة التي سبق رسمها في النصف الأول من القرن العشرين".[2]

واكب تلقي اللسانيات في الثقافة العربية تلك التطورات الحاصلة في تلقي اللسانيات السوسيرية عند الغربيين بعد اكتشاف مخطوطات ونصوص جديدة، فتحوّل الاهتمام من التأسيس لنظرية سوسير اللسانية المضمّنة في المحاضرات وما صاحبها من إشكالات كالترجمة إلى العربية، إلى اهتماماتٍ جديدة تتمثل أساسا في إطْلاع المتلقي العربي على لسانيات سوسير الحقيقية المضمّنة في تلك المخطوطات والنصوص الجديدة. وبموجب تلك المستجدات ظهر خطابٌ لساني جديد في الثقافة العربية غير الذي عهده الباحثون العرب وأَثَروه عن دي سوسير ممثلا في نص المحاضرات، وقد شمل هذا الخطاب الجديد مجموعةً من الترجمات والمؤلفات والمقالات:

- **التـــرجمات:**

الكتاب	المؤلف	سنة النشر	المترجم	سنة الترجمة
البحث عن فرديناند دي سوسير	ميشال أريفيه	2007	محمد خير محمود البقاعي	2007
فهم فرديناند دي سوسير وفقا	لويك	2009	ريما بركة	2015

[1] . مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2018، ص08.

[2] . ينظر المرجع نفسه، ص 17، و18.

لمخطوطاته . مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات	دوبيكير			
في جوهري اللغة	فرديناند دي سوسير	2002	مختار زواوي	2019

إن ما قيل عن تأخر الترجمات الخمس للمحاضرات عربيا لا يصلح على ما ترجم من نصوص جديدة لدي سوسير، لأن الفاصل بين نشر الكتب الأصلية وترجمتها ليس بكبير بل إننا نجد مواكبة تامة لما يصدر في الغرب كما في الكتاب الأول، إذ وافقت سنة النشر سنة الترجمة إلى العربية. ولعل أهم ما يستحق التنويه بين هذه الكتب الثلاثة المترجمة، هو ترجمة كتاب دي سوسير (في جوهري اللغة) للمترجم الجزائري (مختار زواوي)، لأنه "نص ينماز عن بقية النصوص بخصائص شتى لعل أهمها، المسافة الفكرية التي يقيمها إزاء كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة، والقطيعة التي يحدثها مع التصورات اللسانياتية والسيميائياتية التي توارثتها عن هذا الكتاب أجيال متواترة من الباحثين"[1].

- **الكتب والمقالات العربية:**

الكتاب أو المقال	المؤلف	سنة النشر
لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد	مصطفى غلفان	2017
اللغة واللسان والعلامة عند دي سوسير في ضوء المصادر والأصول		
دي سوسير من جديد ـ مدخل	مختار زواوي	2017

[1] . فرديناند دي سوسير، في جوهري اللغة، تر: مختار زواوي، دار ابن النديم للطباعة والنشر، الجزائر/ دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت ، بيروت، ط1، 2019، ص03.

إلى اللسانيات		
التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة/ مقال	محروس بريك	2017
العودة إلى سوسير (كتاب جماعي حوى مجموعة من المقالات والترجمات)	مجموعة من الباحثين	2017
أسرار التأليف، هكذا سمعنا المعلم في كتاب محاضرات في اللسانيات العامة	فهيم شيباني	2018
أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي – التلقي العربي للسانيات	حسين السوداني	2019

إنّ توافق هذه الدراسات في تاريخ النشر يوحي بدلالة معينة، وأقرب تلك الدلالات هي موافقتها مئوية نشر المحاضرات، وهذا ما عُقِد من أجله العمل الجماعي الموسوم بـ (العودة إلى سوسير)، لكن الغاية منه ليست احتفائيةً بالكامل كما قد يُفهم من الملتقى الذي ألقيت فيه مقالات هذا الكتاب (دي سوسير بعد مئة عام من الغياب) سنة2017 بجامعة القاضي عياض المغربية. إن القاسم المشترك الذي جمع الدراسات المدرجة في هذا الجدول هو وقوفها على جملة من القضايا التي تتعلق بتلقي اللسانيات السوسيرية عربيا وفي مقدمتها:

- الفصل في نسبة المحاضرات لدي سوسير.
- إبراز مواضع التباين والتناقض في المحاضرات مقارنة بالمخطوطات والنصوص الجديدة.
- الدعوة إلى الإقبال على اللسانيات السوسيرية من خلال تلك النصوص الجديدة.

2 . 1 . 2/ تلقي نظريات واتجاهات لسانية بنيوية أخرى في الثقافة العربية:

حاول عدد من الدارسين العرب التقديم للاتجاهات اللسانية الحديثة التي أعقبت محاضرات دي سوسير، لكن جهدهم ذاك لم يلق من الاهتمام ما لقيته اللسانيات البنيوية في صيغتها العامة (اللسانيات العامة) التي تنهل من لسانيات سوسير بشكل أساسي. وقد نتج عن ذلك ندرةُ وقلة التأليف والترجمة والتطبيق لهذه النظريات والاتجاهات في الثقافة العربية.

فلو تحدثنا عن الترجمات نجد أن أعمال لسانيَين بارزين كان لهما أثرٌ في مسار اللسانيات الحديثة لم تترجم أعمالهما إلى العربية، وأعني بذلك أعمال اللساني الإنجليزي (جون روبرت فيرث *John* Rupert *Firth*)، وأعمال اللساني الأمريكي (ليونيارد بلومفيلد *Leonard Bloomfield*). خاصة إذا علمنا أن الأول منهما كانت له صلة وطيدة بجيل اللسانيين الرواد في مصر، فهو "الشخصية الرئيسية التي كانت مفتاحا لصلة الجامعات المصرية بالدرس اللساني، وعلى يد هذا العالم وتلامذته في مصر بدأ التيار اللساني الأساسي"[1].

وإذا تجاوزنا ماتمّ ترجمته من أعمال لبعض اللسانيين الآخرين من أمثال أندري مارتني *André* martinet ورومان جاكبسون Roman Jackobson ولويس يلمسلاف louis hjelmslev، وإدوارد سابير *Edward Sapir* ، فإن ما تمّ تأليفه من دراسات على هذه النظريات والاتجاهات اللسانية البنيوية لم يتجاوز حدود التعريف والعرض في كتابات قليلة جدا.

[1] . سعد عبدالعزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة . دراسات ومثاقفات، ص20.

الكتاب	المؤلِف	السنة
مدخل لدراسة النفسي – الآلي للحديث[1]	التهامي الراجي الهاشمي	1983
النظرية النفسية النظامية / مقال (أهم المدارس اللسانية) [2]	عبدالحميد كمون	1985
نظرية التبعية في التحليل النحوي[3]	سعيد حسن بحيري	1988
عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه – محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي [4]	حسن بحيري	1989
النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون ـ دراسة ونصوص	فاطمة الطبال بركة	1993
اللغة والفكر والعالم ـ دراسة في النسبية اللغوية، الفرضية والتحقق[5]	محي الدين محسب	1998
علم اللغة النظامي ـ مدخل الى النظرية اللغوية عند هاليداي	أحمد محمود نحلة	2001(ط2)
نظرية القوالب من نظرية علم	حازم علي كمال الدين	2002

[1] ـ الكتاب تطبيق لمنهج غوستاف غيوم. ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، ص46.

[2] ـ النظرية النفسية النظامية هي نظرية غوستاف غيوم، ينظر: أهم المدارس اللسانية، ص53.

[3] ـ الكتاب خصص بأكمله لإيضاح نظرية. تنيير (نظرية التبعية). ينظر جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهرة الشرق، القاهرة، ط1، 2003، ص384.

[4] ـ الكتاب دراسة لنموذج قوة الكلمة وهو جزء من نظرية التبعية للوسيان تنيير. ينظر: سعبد حسن بحيري، عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه – محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، ط1، 1989، ص 05، 07.

[5] ـ الكتاب بعرض فرضية النسبية اللغوية وهي فرضية تنسب إلى اللساني الأمريكي (بنيامين لي وورف)، ومرات تنسب إليه مع (إدوارد سابير) وتسمى فرضية (سابير ـ وورف).

اللغة الحديث[1]		
العربية من منظور المنهج التوزيعي	محمد عبدالعزيز عبدالدايم	2012

وقد نُشِرت إلى جانب هذه المؤلفات مقالات تعرض أو تطبّق لإحدى النظريات أو الاتجاهات البنيوية، مثل مقال (توزيعية هاريس والتحليل النسقي للخطاب) لأحمد يوسف المنشور بمجلة عالم الفكر في العدد الأول (المجلد 33) سنة2004.لكنها كلها لا تعدو أن تكون حالات منفردة تعبر عن وضع الندرة والقلة في التأليف، وهو وضع ليس خاصا بالثقافة العربية بل إنه ينسحب على الثقافة الغربية قبل ذلك، حيث تسببت مجموعة من العوامل في عدم انتشار هذه النظريات والاتجاهات:

- **مادة هذه النظريات والاتجاهات اللسانية:** تتميز بعض هذه الاتجاهات اللسانية بغزارة المادة دون وجود جهاز نظري متماسك يحكمها، و"تنوعِ المسائل المعالجَة"[2] دون رابط بينها. ومثال ذلك أعمال (رومان جاكبسون) الذي ألّف في موضوعات مختلفة لسانية وأدبية.
- **السياق العام للنظرية اللسانية:** عرف السياق العام للنظريات اللسانية ابتداءً من النصف الثاني من القرن العشرين سيطرة وتسيُّدا للنظرية التوليدية التحويلية على المشهد اللساني العالمي، مع "تضاؤل الاهتمام ببقية النظريات اللسانية الأخرى"[3]. ولم تكن تلك السيطرة معرفية فحسب، بل إن بعض النظريات مثل نظرية فيرث السياقية "قد وقعت ضحية للدعاية الأمريكية الهائلة، خاصة وإنه كان متزامنا مع ترويج المدرسة الأمريكية لنظرية هاريس Zellig *Harris*"[4].

[1] . الكتاب عرض للنظرية التاجيمية لكينيث بايك وهو أحد اللسانيين الأمريكيين، ينظر: حازم علي كمال الدين، نظرية القوالب من نظرياتعلم اللغة الحديث، حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، (د ط)، 2002، ص01.

[2] . ينظر: فاطمة الطبال بركة، الألسنية عند رومان جاكوبسون – دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993، ص07.

[3] . ينظر: محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي . مدخل إلى اللغوية عند هاليداي، دار ملتقى الفكر، القاهرة، ط2، 2001، ص3

[4] . جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض، (د ط)، 1997، ص (هـ).

- **اللغة الواصفة لهذه النظريات والاتجاهات اللسانية:** تتميز طريقة عرض بعض هذه النظريات بالتشتت، ففيرث مثلا "لم يعرض نظريته عرضا كاملا، وشاملا يبرز فيه الأسس الفلسفية والمعرفية لأفكاره السياقية، إذ لم يتجاوز ما كتبه عن هذه النظرية ما يبلغ حجم كتاب"[1] كما أنّ هذه النظرية "تفتقد للوضوح والتماسك"[2]. وتتميز النظرية الغلوسيماتيكية بتجريد وصورنة عالية كما أن "مصطلحاتها بالغة التعقيد ونادرة الشرح لوصف علاقات افتراضية من أنواع شتى"[3]
- **الابتعاد عن الواقع وعدم تطبيق بعض هذه النظريات والاتجاهات:** فالنظرية اللسانية حتى يتم لها هذا الوصف عليها أن تتفاعل مع واقعها وأن لا تكتفي بالتنظير، وذلك من خلال تحقيقها لما يسمى بالكفاية التطبيقية أو الإجرائية، وبعض هذه النظريات (الغلوسيماتيكية):"لم تطور هذه النظرية بتطبيقها في وصف حقائق لغوية ملموسة بشكل جدي، ولم تطرح السؤال عن مجالات تطبيق نظريتها على الإطلاق"[4]

2 . 2/ تلقي النظرية التوليدية التحويلية في الثقافة العربية:

عرف تاريخ اللسانيات ظهور عددٍ من النظريات والتصورات التي سعت لدارسة اللغة، لكنها لم تلق من الاهتمام والرواج العلمي ما لقيه عمل اللسانيَين (دي سوسير) و(نعوم تشومسكي*Noam Chomsky* Avram)؛ إذ تولى الأول مهمة تأسيس هذا العلم برسم معالمه النظرية والمنهجية وفرضِ استقلاليته عن العلوم الأخرى في دراسة اللغة، محدثا بذلك القطيعة الأولى مع الدراسات اللغوية المعيارية والمقارنة التاريخية، أما تشومسكي فقد أحدث ما يسمى القطيعة الثانية في تاريخ اللسانيات مع الدراسات اللسانية الوصفية التي

---

[1] . محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص80، 81.

[2] . محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي، ص5

[3] . ينظر: جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص177.

[4] . ينظر: المرجع نفسه، ص117/ و بريجيته بريتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة: حسن بحيري، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2004، ص163.

انتشرت على أعقاب دي سوسير في أوربا وأمريكا، "وتتجلى هذه القطيعة في الأدوات والمفاهيم الإجرائية الدقيقة التي تم اقتراحها لتناول اللغة باعتبارها ملكة بشرية عامة"[1] وفطرية.

يؤرَخ لبداية الكتابة التوليدية في الثقافة العربية بسبعينات القرن الماضي[2]، لكن هذه الفترة لم تشمل سوى أعمال داود عبده[3]. أما ما يمكن أن يعدّ فترة فعلية لظهور اللسانيات التوليدية في الثقافة العربية باستثناء (داود عبده) فهو بداية الثمانينات، حيث ظهرت أعمال عدد من اللسانيين العرب من أمثال (عبدالقادر الفاسي الفهري) و(ميشال زكريا) و(محمد علي الخولي) و(مازن الوعر). شكّلت أعمال أولئك اللسانيين وغيرهم ما يمكن تسميته بالتوليدية العربية، وهو نشاط لساني ظهرت بداياته الأولى في المشرق العربي في شكل ترجمات ومقالات ثم سرعان ما تحولت الريادة للمغاربة (المغرب الأقصى)، لأنه وجد بيئة خصبة كان العمل الجماعي هو طابعها الرئيسي، حيث عمل (عبدالقادر الفاسي الفهري) مع عدد من زملائه وتلاميذه على نشر النظرية التوليدية وتطبيقها على اللغة العربية، من خلال النداوت والملتقيات التي كانت تعقد أو بتخصيص "(سلسلة المعرفة اللسانية) بدار توبقال ابتداء من 1985 لنشر المعرفة اللسانية باللغة العربية، ومجلة أبحاث لسانية بمعهد التعريب سنة 1995"[4]،

ولعل السمة البارزة الأخرى للسانيات التوليدية في الثقافة العربية هي انخراطها في البحث اللساني التوليدي العالمي، حيث تم تجاهل المنجز اللساني العربي في صورته البنيوية فالتوليدية العربية"لم تنشأ بوصفها مذهبا معارضا للوصفية العربية"[5]. وعلى هذا كانت

---

[1]. مصطفى غلفان بمشاركة احمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي . مفاهيم وأمثلة، علم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2010، ص01.

[2]. المرجع نفسه، ص201/ حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص261.

[3] . صدرت بعض أعمال داود عبده في سبعينات القرن العشرين، حيث صدر كتاب (أبحاث في اللغة العربية) سنة 1973، وكتاب (دراسات في علم أصوات اللغة العربية) سنة 1979.

[4] . ينظر: عبدالقادر الفاسي الفهري، ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب،

[5] . فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص04.

اللسانيات التوليدية في الثقافة العربية مختلفةً في هذه النقطة عن أصلها الغربي، حيث إن التوليدية قد نشأت مع تشومسكي على أنقاض البنيوية التوزيعية ونقده لها. لكن ذلك لا يعني أن التوليدية العربية لا تتفق مع المبادئ المتفرعة عن نقد تشومسكي للبنيوية والتوزيعية بل لأنّ سبب ذلك التجاهل راجع لكون "الثقافة العربية لم تفرز اتجاها بنيويا يحمل كل مقومات هذا الاتجاه وخصوصياته كما هي عليه في الغرب"[1]

وقد شمل ذلك التجاهل الفكر النحوي العربي، حيث كان لأغلب التوليديين العرب موقفٌ تقدميٌ لا يعود إلى الوراء، أشار إليه (عبدالقادر الفاسي الفهري) بقوله: "اللساني محكوم عليه كآلته أن ينخرط دوما ضمن جيل جديد لا اكتهال في وسعه ولا شيخوخة. اللساني لا يقول كلاما معادا أو مكرورا. حتى ولو حسب بعضهم أن كل القول في اللغة قد توقف، وكل شيء موجود عند السلف ممن واراهم التراب".[2] ثم أفصح عنه في موضع آخر بقوله: "ليس هناك ضرورة منطقية أو منهجية تفرض علينا توظيف هذا التراث. فبناء نحو اللغة القديمة مثلا لا يحتاج، ضرورة، إلى المعطيات الموجودة في النحو القديم، بل يمكن أن يُستغنَى عنها باستعمال النصوص القديمة"[3]

تبنى هؤلاء اللسانيون وغيرُهم النظرية التوليدية بغض النظر عن مواقفهم من التراث النحوي العربي، فألّفوا وترجموا لها إلى العربية نتيجةَ جملة من الأسباب نذكر منها:

- **القيمة العلمية لهذه النظرية:** حيث إن هذه النظرية اللسانية قد تسيّدت المشهد اللساني الغربي بل وغير اللساني أيضا، إذ أصبحت أفكارها وتصوراتها متاحةً ومنفتحة على علوم أخرى كعلم النفس والفلسفة والبيولوجيا وعلم الحاسوب، كما أصبحت مقياسا؛ حيث

[1] . حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص316.

[2] . عبدالقادر الفاسي الفهري، البناء الموازي – نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، دار توبقال ، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص07.

[3] . عبدالقادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص60.

"يقيس أي لساني مكانته الفكرية إلى مكانة تشومسكي"[1]، وربما تجاوز الأمر ذلك لتصبح هذه النظرية أنموذجا تقارنُ به وتسعى إلى مواكبته باقي النظريات والتصورات اللسانية؛ إذ كان اللسانيون وغير اللسانيين ممن لهم صلة بدراسة اللغة "ملزمين بالادعاء علانية أن أعمالهم تتماشى مع منهج تشومسكي في التفكير اللساني"[2].

- **حدوث اتصال مباشر بين بعض اللسانيين العرب مع رائد النظرية التوليدية (تشومسكي)**: إن الاتصال بين النظرية التوليدية واللسانيين العرب لم ينقطع بعودة المبتعثين كما حدث مع اللسانيين المصرين البنيويين، بل بقي موصولا في شكل مراسلات بين بعض الدارسين ورائد هذه النظرية (نعوم تشومسكي)، حيث بعث (تشومسكي) رسالة إلى (مازن الوعر) سنة 1982 بعد قراءته لرسالة الدكتوراه التي بعثها إليه (مازن الوعر)، ورسالةً إلى أحمد المتوكل أيضا بعد قراءته لرسالة الدكتوراه التي بعثها إليه أحمد المتوكل[3]. وتبلغ تلك المراسلات ذروتها مع (حمزة بن قبلان المزيني)، الذي يذكر أن (تشومسكي) قد "شجعه كثيرا أثناء عمله على ترجمة كتابه (اللغة ومشكلات المعرفة 1990)، وذلك عن طريق عدد من الرسائل التي كان يبعثها إجابة عن بعض تساؤلاتي عن بعض المواضيع في الكتاب" [4]، كما أن رسالة أخرى بعثها حمزة بن قبلان المزيني سنة 1989 إلى تشومسكي يطلب فيها توضيحا وإجابة على قضية تأثره وأخذه عن النحو العربي، وقد رد تشومسكي على طلبه برسالة ترجمها المزيني إلى العربية وضمَّنها ترجمته لكتاب تشومسكي (آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن)[5]

لم تكن هذه المراسلات الصورة الوحيدة للاتصال برائد النظرية التوليدية، بل قد وجدت صور أخرى، مثل الحوار الذي أجراه مازن الوعر مع تشومسكي سنة 1982[6].

---

[1]. جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص135.

[2]. المرجع نفسه، ص135.

[3] . ينظر: مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسان الحديث، مدخل، دار طلاس، دمشق، ط1، 1988، ص60، 61.

[4] . نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة – محاضرات ماناجوا، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص

[5] . ينظر: نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص37، 38.

[6] . ينظر: مازن الوعر، حوار مع تشومسكي، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، عدد 6، 1982، ص70 . 80..

- **البحث عن أصول مشتركة بين النظرية التوليدية والتراث اللغوي العربي**: رغم أنّ كثيرا من الباحثين العرب في إطار النظرية التوليدية لديهم موقفٌ رافض للتراث النحوي العربي إلا أن هناك من يسعى إلى عقد مقارنات بينهما بحثا عن أصول وقواسم مشتركة، وقد بالغ بعض أولئك الدارسين[1] في تلك المقارنات عندما ادعوا أن (تشومسكي) قد اطلع وتأثر بالنحو العربي دون أدلة دقيقة وواضحة تثبت تلك الادعاءات.

2 ـ 2 ـ 1/ الكتب المترجمة:

اتّجه عدد من الدارسين العرب بدءً من ثمانينيات القرن العشرين إلى ترجمة عدد من الكتب والمقالات في النظرية التوليدية التحويلية، تتوزع بين ترجمات لكتب أصول (وهي كتب تشومسكي) وكتب أخرى للسانيين آخرين، وذلك بغية تقديم هذه النظرية للقارئ العربي بعد أن لم يعد في الإمكان تجاهلها. وقد وجد بعض هؤلاء الدارسين في ترجمة أعمال تشومسكي "بديلا عن التأليف في هذه النظرية"[2]، لما كانت تتميز به من تطورات سريعة امتدت على فترة طويلة.

2 . 2 . 1 . 1/ ترجمة كتب تشومسكي:

تُشكِّل كتب وأعمال (تشومسكي) المادة الأساسية للنظرية التوليدية، لأنه رائد هذه النظرية والمؤصِّل لها، وقد اتسعت هذه المدونة اللسانية لتشمل عشرات الكتب والمقالات كما شملت أيضا المحاضرات الشفهية والمناظرات، حيث تم تحرير محاضراته في جامعة ما ناجوا في كتاب (اللغة ومشكلات المعرفة) ، وإحدى محاضراته التي ألقاها في الهند في كتاب (بنيان اللغة)، والمناظرة التي دارت بينه وبين (ميشال فوكو) (حول الطبيعة الإنسانية) .

---

[1] . ينظر: نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ص23 . 56.

[2] . ينظر: نوم تشومسكي، المعرفة اللغوية . طبيعتها وأصولها واستخدامها، تر: محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1993، ص 05.

الكتاب	المؤلف		المترجم	السنة
جوانب من نظرية النحو	نعوم تشومسكي	1965	مرتضى جواد	1985
البنى النحوية	نعوم تشومسكي	1957	يوئيل يوسف عزيز	1987
مجموعة مقالات	نعوم تشومسكي	/	مجلة بيت الحكمة (اسم المترجم غير وارد)	1987
اللغة ومشكلات المعرفة	نعوم تشومسكي	1987	حمزة بن قبلان المزيني	1990
المعرفة اللغوية . طبيعتها وأصولها واستخداماتها	نعوم تشومسكي	1986	محمد فتيح	1993
			محي الدين حميدي	2002
آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل	نعوم تشومسكي	2000	حمزة بن قبلان المزيني	2005
			عدنان حسن	2009
اللغة والمسؤولية	أصل الكتاب حوار بين تشومسكيوميتسورونات، نقله إلى الانجليزية جون فرتيل	/1977 1978	حسام البهنساوي	2005
اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير	نعوم تشومسكي	/	محمد الرحالي	2013

ثلاثة عوامل في تصميم اللغة/ (مقال) ضمن كتاب: دلالة اللغة وتصميمها	نعوم تشومسكي	1974	محمد الرحالي	2007
بنيان اللغة	نعوم تشومسكي	2000	إبراهيم الكلثم	2017

مكننا هذا الرصد الببليوغرافي من التعرُّف على عدد من الملاحظات؛ التي يمكن الوصول إليها بيسر وأخرى احتجنا فيها إلى العودة إلى هذه الترجمات ومقدمات مترجميها:

- **تأخر الترجمة**:عرف نقل وترجمة أعمال (تشومسكي) الأولى إلى الثقافة العربية تأخرا مقارنة بتواريخ إصدارها، حيث يتجاوز الفارق الزمني بين تاريخ تأليف وصدور أعمال تشومسكي وتاريخ ترجمتها عشرين سنة في بعض الأحيان، ويعود ذلك التأخر لأسباب منها:

– التطور السريع والكبير في هذه النظرية، حيث"لم تستطع المكتبة العربية أن تلاحق هذا التطور بإصدارات تعبر عنه وعن صوره ومراحله"[1]

– "الاختلاف الجوهري بين الأسلوب الذي تعود عليه القارئ أو المتلقي العربي في دراسته للنظرية اللغوية عند العرب (النحو العربي) والأسلوب الغربي لتحليل البنية اللغوية"[2] وفق النظرية التوليدية التحويلية.

- **طول الخطاب المُقدِماتي في هذه الترجمات**: تميزت بعض الترجمات بطول مقدمات المترجمين؛ حيث جاءت مقدمة ترجمة كتاب (آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن) في ثلاث وخمسين صفحة، ومقدمة ترجمة كتاب (المعرفة اللغوية– أصولها وطبيعتها واستخدامها) في أربع وثلاثين صفحة، ومقدمة ترجمة كتاب (جوانب من نظرية النحو) في واحد وعشرين صفحة، ومقدمة ترجمة كتاب (اللغة والمسؤولية) في عشر صفحات. إن هذا الحجم الطويل

[1] . نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية . طبيعتها وأصولها واستخداماتها، ترجمة محمد فتيح، ص 5.

[2] . نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ص06.

في مقدمات هذه الترجمات يجعلنا نتساءل عن سبب ذلك، حيث تجاوز المترجمون حدود تقديم الخطوط العريضة للكتاب إلى تقديم مفاهيم وحتى مناقشة قضايا تخص التلقي مثل (قضية تأثر تشومسكي بالنحو العربي)[1]، وإذا عدنا إلى السياق الزمني ومعطيات المكتبة اللسانية العربية في ذلك الوقت سنجد تفسيرا لهذه الحالة، إذ عرفت المكتبة اللسانية العربية فقرا في مجال النظرية التوليدية، وقد صرّح بهذا أغلب المترجمين.

- **عدم ترجمة كل كتب ومقالات تشومسكي**: إن ما ترجم من أعمال (تشومسكي) قليل[2]، مقارنة مع ما أُلِّف، حيث تم القفز على الكثير من الأعمال بعد أن توقفت الترجمات عند برنامج الربط والعمل، وهو النموذج الذي وافق ثمانينات القرن العشرين. لتتم ترجمة آخر مستجدات النظرية التوليدية ممثلا في البرنامج الأدنوي مع مطلع القرن الواحد والعشرين.

2 . 2 . 1 . 2/ ترجمة كتب أخرى :

تزامن مع ترجمةِ أعمال تشومسكي ترجمةُ أعمالٍ أخرى تتفاوت قيمتها بين التعريف بهذه النظرية أو ربطها بآخر تطوراتها في مجالات غير لغوية، وهي ترجمات "لا تغني عن الكتب الأصول التي وضعها تشومسكي ، وإنما قد تعين على ترجمة هذه الأصول".[3]

الكتاب/ المقال	المؤلف	سنة النشر	المترجم	سنة الترجمة
تشومسكي والثورة اللغوية / مقال	جون سيرل	1973	/	1979العددان 8 و9 من مجلة الفكر العربي
نظرية تشومسكي اللغوية	جون ليونز	/1970 1977طبعة مزيدة ومنقحة	حلمي خليل	1985
			محمد زياد كبة	1987

[1] . ينظر: نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ص 19 – 56.

[2] . ينظر: المرجع نفسه، ص57

[3] . جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1985، ص11.

في النحو التحويلي عرض للمنهجية التحويلية في أربعة أبحاث	موريس قراس		صالح الكشو	1989
علم اللغة النفسي تشومسكي وعلم النفس	جوديث جرين		مصطفى التوني	1993
فهم اللغة ـ نحو علم لغة لما بعد مرحلة جومسكي	تيرينس مور / كريستين كارلنغ	1982	حامد حسين الحجاج	1998
البنيات التركيبية والبنيات الدلالية ـ علاقة الشكل بالمعنى في اللغة	جوست زفارات		عبدالواحد خيري	2008
النظرية النحوية	جيفري بوول		مرتضى جواد باقر	2009

2 ـ 2 ـ 2/ الكتب التوليدية العربية:

ظهرت بدايةً من السبعينات كتابات لسانية عربية اتخذت من النظرية التوليدية التحويلية خلفية لها، لتحقيق مجموعة من الغايات:

- تقديم هذه النظرية إلى القارئ العربي
- تطبيق هذه النظرية على اللغة العربية.
- البحث عن أصول وقواسم مشتركة بين هذه النظرية وتراثنا اللغوي.

وقد أنتجت هذه الغايات ثلاثة أنماطٍ من الكتابة، (كتابات توليدية تمهيدية، كتابات توليدية تطبيقية، كتابات توليدية مقارنة).

2 . 2 . 2 . 1/ **الكتابات التوليدية التمهيدية**: وهي كتابات سعت إلى تقديم هذه النظرية إلى القارئ العربي، بعرض أصول هذه النظرية ومبادئها الأساسية، ويمكننا التمييز داخل هذا النمط من الكتابة بين نوعين:

كتابات تمهيدية تأريخية: وهي كتابات لبَّت حاجة القارئ العربي إلى تقديم أسسها ومنطلقاتها وعرض مختلف التطورات التي مرت بها، وبهذا تكون هذه الكتابات قد تجاوزت ما وقعت فيه أكثر الكتابات التمهيدية من "عدم مواكبة تطورات النظرية اللسانية"[1]. ويمكن التمثيل لهذا النمط من الكتابة بكتاب مرتضى جواد باقر (مقدمة في نظرية القواعد التوليدية 2002)، وهو كتاب "يتتبع خط التطور النظري والمنهجي في هذه المدرسة مبتدئا بعرض للأسس النظرية التي قامت عليها مدرسة القوالب التوليدية والأسئلة التي تثيرها لتحدد بذلك أهداف النظرية اللسانية وما يجب أن تحسب حسابه. ثم ينتقل بعد ذاك إلى رسم مراحل تطور هذه المقاربة"[2]، وكتاب مصطفى غلفان مع حافظ إسماعليي علوي ومحمد الملاخ (اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي . مفاهيم وأمثلة 2010)، وهو كتاب يهدف إلى" رصد التحولات النظرية التي عرفتها نظرية النحو التوليدي منذ نشأتها إلى آخر نموذج فيها وهو النموذج المعروف بالبرنامج الأدنوي، والوقوف على عوامل الانتقال وأسبابه ومظاهر التجاوز أو الاحتواء من نموذج إلى آخر"[3]

[1] . مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص116

[2] . مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، عمان، ط1، 2002، ص10

[3] . مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص 02.

كتابات تمهيدية تأسيسية: وهي كتابات قدم فيها أصحابها أسس وأصول هذه النظرية بشكل عام، أو عرضًا لأحد نماذج هذه النظرية، بشكل مبسط، وذلك مثل أعمال (ميشال زكريا) و(عادل فاخوري).

2 . 2 . 2 . 2الكتابات المقارنة: انقسم الدارسون إزاء التراث النحوي العربي إلى فريقين فريق تجاوزه وفريق أقبل عليه يقارنه ويقابله بالنظرية التوليدية التحويلية، حيث شكّلت التشابهات الموجودة في بعض الأفكار والمفاهيم بين النظريتين حافزا أساسيا إلى عقد تلك المقارنات والموازنات، وهي أيضا نوعان:

كتابات مقارنةٌ موضوعيةٌ التزمت حدود المقارنة الممكنة والمقبولة بين المناهج العلمية المختلفة تفاديا للوقوع في تعميمات خاطئة ونتائج غير دقيقة أو إسقاطٍ للحديث على القديم أو القديم على الحديث[1]. ينطلق أصحاب هذه الكتابات من فكرة أساسية مفادها أن لا علاقة بين النظرية النحوية العربية والنظرية التوليدية في غياب أدلة واضحة على الاتصال والالتقاء المباشر بينهما، وأن ما بينهما مجرد توارد خواطر وليس تأثيرا وتأثرا، "فالأنحاء على تعددها وتنوعها ليست إلا أوضاعا نمذجية مختلفة لـ (نظام عقلاني) واحد"[2]. ويمكن أن نمثِّل لهذه المقارنات بكتاب (الموازنة بين نحو سيبويه ونحو تشومسكي – دراسة في مكونات الترادف والتباين والتكامل)، وهو دراسة تنطلق من "افتراض أن الأنحاء التوليدية المعاصرة والنظرية النحوية العربية القديمة في صورتها السيبويهية قد تواردا على مواقع نظرية متشابهة ونظائر تصورية مترادفة هي التي استوجبت استمداد مفردات المعجم النظري لكل منهما دلالاتهما من فضاء استعاري مشترك"[3]. وكتاب سمية المكي (الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو

[1] . ينظر: مرتضى جواد باقر، مفهوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، عدد 34، 1990، ص24، 25/ وسمية المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009، ص 16.

[2] . رشيد بوزيان، الموازنة بين نحو سيبويه ونحوتشومسكي – دراسة في مكونات الترادف والتباين والتكامل، (د ت)، (د ط)، ص (هـ).

[3] . المرجع نفسه، ص (هـ)

التوليدي 2013)، الذي ترى فيه صاحبته أن "النحو العربي والتوليدي كلاهما يعكسان علاقة التفاعل المتجدد بين النظرية والواقع، لكن لكل واحد منهما طريقته في استيعاب هذا الواقع"[1].

كتابات مقارنة تراثية: وهي كتابات جمعت بين النحو العربي والنظرية التوليدية، دون أن تراعي حدود المقارنة المقبولة، مستغلة كون النظرية التوليدية نحوا كليا، فراحت تبحث عن جذور وأصول النظرية التوليدية في التراث العربي لإثبات أسبقية النحو العربي، ومن ثم القول بتأثر واستفادة تشومسكي من النحو العربي. وقد تميزت أغلب هذه الكتابات باجتزائها وتركيزها على بعض المفاهيم دون ربطها بجهازها المفاهيمي الكامل (النظرية أو النموذج) حيث حظيت مفاهيم من قبيل (التحويل، والبنية العميقة، والعامل، والربط) باهتمام هؤلاء الدارسين، ومن الكتب التي نحت هذا المنحى كتاب (من الأنماط التحويلية في النحو العربي 1990) لمحمد حماسة، وكتاب (من أصول التحويل في نحو اللغة العربية 1999) لممدرح الرمالي، وكتاب (أنظمة الربط في العربية – دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية 2003) لحسام البهنساوي.

2 . 2 . 2 . 3/ الكتابات التطبيقية: وهي كتابات سعى أصحابها إلى تطبيق النظرية التوليدية على اللغة العربية،وقد تميزت "بتفاوتها من حيث النماذج المؤطرة لها"[2]،إذحاول كل من داود عبده وميشال زكريا التطبيق للنموذج المعيار الموسع، ومحمد علي الخولي لنحو الأحوال لفيلمور، ومازن الوعر للدلالة التصنيفية لوالتر كوك، وعبدالقادر الفاسي الفهري لنموذج النحو المعجمي الوظيفي في كتابه اللسانيات واللغة العربية، ونموذج الربط والعمل في كتابه البناء الموازي[3].كماحاول حسام البهنساوي تطبيق نظرية الربط والعمل في كتابيه

[1] . سمية المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، ص16

[2] . مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 201/ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص262.

[3] . ينظر: المرجع نفسه، ص210 -222 .

(أنظمة الربط في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية 2003) و(النحو الكلي والتراكيب اللغوي العربية – دراسات تطبيقية 2004)، وسمية المكي في كتابها (التنوع المقياسي لنظرية الربط التوليدية . دراسات تطبيقية على العربية 2013)

وشهدت بداية القرن الواحد والعشرين تطبيقات لأحدث نماذج النظرية التوليدية (البرنامج الأدنوي) للسانيين مغاربة، مثل كتاب (تركيب اللغة العربية – مقاربة نظرية جديدة 2003) لمحمد الرحالي، وكتاب(المقولات الوظيفية في الجملة العربية . دراسة صرفية تركيبية 2005)للحسن السعيدي، وكتاب (ذرات اللغة العربية وهندستها– دراسة استكشافية أدنوية 2010) لعبدالقادر الفاسي الفهري.

2 . 2 . 2 . 4/ الكتابات العربية المنهجية التي تعرض للنظرية التوليدية:صاحبت الكتابات التوليدية السابقة كتابات لا تتصل بالعرض النظري لنماذج وأسس النظرية التوليدية كما أنها ليست تطبيقا لها على اللغة العربية،إنها كتابات تعرض للأصول العامة لهذه النظرية في دراستها للغة.

الدراسة	المؤلف	سنة النشر
الوضع الإبستيمولوجي للسانيات . الفرضيات والاستدلال/ مقال	صالح الكشو	1984
أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني/ مقال	عبدالقادر الفاسي الفهري	1986
مفهوم النموذج اللساني وشروط بنائه/ مقال	عزالدين البوشيخي	1992
بعض الخصائص الصورية للنمذجة اللسانية/ مقال	محمد الرحالي	1992

بعض مظاهر التحولات التيمية والبراديغماتية في اللسانيات المعاصرة/ مقال	محمد بلبول	2004
قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات / مقاربات إبستيمولوجية في اللسانيات التوليدية	حافظ اسماعيلي علوي/ امحمد الملاخ	2009

2 ـ 3/ تلقي الاتجاه التداولي الوظيفي في الثقافة العربية:

تعد التداولية اتجاها معرفيا جديدا أدى إلى ظهوره التركيز على البنية اللغوية وعزلها عن السياق، وتجاهل العملية التواصلية بكل أطرافها في النظريتين البنيوية والتوليدية، وقد كان كتاب أو ستين (كيف ننجز الأشياء بالكلام) النواة الأولى التي تنامى معها هذا الاتجاه في سبعينات القرن الماضي. يتميز هذا الاتجاه "بشدة اتساعه وتنوع روافده من حيث الاختصاصات العلمية والبلدان والثقافات المساهمة في تنميته واثرائه"[1]

انشد الكثير من اللسانيين العرب للتداولية بعد عرض مفاهيمها ومبادئها الأساسية عن طريق الترجمة لها منذ ثمانينات القرن العشرين، لتظهر بعد ذلك الكثير من الدراسات التي طبقت أحد اتجاهات التداولية في مدونات لغوية، كما حاول البعض الآخر دراسة الفكر التداولي في مدونات معرفية تراثية ككتب الأصوليين أو البلاغيين .

2 . 3 . 1/الكتب المترجمة إلى العربية في التداولية:

حملت مقدمات المترجمين في كتب التداولية المنقولة إلى العربية جملةً من المؤشرات التي يمكن أن تساعدنا في فهم تلقي التداولية في الثقافة العربية، حيث مكننا استقراؤنا للخطاب

[1] . جاك موشلر و أن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، المعهد التونسي للترجمة، تونس، (د ط)، 2010، ص07

المقدماتي للمترجمين في تلك الكتب من معرفة الأسباب الثاوية وراء اختيارهم لهذه الكتب في التداولية، فلم يكن ما قاموا به فعلا ترجميا لا يراعي واقع البحث اللساني في الثقافة العربية. بل كان محكوما بجملة من الأسباب من قبيل:

أهمية التداولية:تتجلى أهمية التداولية في دراسة اللغة بشكل يبعد عنها مظاهر الغموض واللبس وذلك من خلال دراسة المقاصد والمعنى في السياق وعدم الاكتفاء باللغة معزولة عن السياق.[1] كما أن هذه الأهمية تتجلى في استثمار التداولية في تحليل الخطاب، وفي هذا الشأن يصرّ مترجم كتاب (المقاربة التداولية) على "المطالبة بقراءة تداولية للأعمال الإبداعية "[2] وتفعيل ذلك في دراسة النص الأدبي لأن هذا الأخير "يمتلك كامل عناصر التداولية"[3].

واقع الدراسة التداولية في لثقافة العربية: حيث إن الدراسات اللغوية ذات المنحى التداولي كانت قليلة ونادرة في ثمانينيات القرن العشرين في الثقافة العربية ، وقد أشار مترجم كتاب (المقاربة التداولية) إلى "الاهتمام العربي الزائد كيفا ـ كما بالبنيوية والشكلانية، من جهة، وتجاهل المقاربات التيمية والتحليلية والتداولية من جهة أخرى"[4]. بالإضافة إلى محدودية الترجمات وعدم اضطلاع المختصين ببعضها[5]، فما ترجم إلى العربية من كتب في التداولية يُعدُّ على رؤوس الأصابع، وهو عدد قليل مقارنة بما ترجم في اللسانيات البنيوية والتوليدية.

---

[1] . ينظر: جيني توماس، المعنى في لغة الحوار. مدخل الى البراغماتية (التداولية)، تر:نارزك إبراهيم عبدالفتاح، دار الزهراء، الرياض، ط1، 2010 ص05.

[2] . فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، (د ط)، 1986، ص05.

[3] . المرجع نفسه، ص05.

[4] . المرجع نفسه، ص03.

[5] . ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2007، ص06.

مواكبة التطور اللساني وإغناء الرصيد المعرفي فيها[1]، حيث مالت الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة إلى دراسة اللغة في بعدها التواصلي (القدرة التواصلية)، وصارت دراسة بنية اللغة خاضعة للمواقف التواصلية.

اختيار الكتب المترجمة: اختار المترجمون هذه الكتب بالذات دون غيرها لغايات مختلفة، منها ما يتصل بالغاية التعليمية، فمثلا تم ترجمة كتاب (التداولية اليوم علم جديد في التواصل) تحقيقا لهذه الغاية، فهو كتاب كما يقول مترجماه "يأخذ بيد الباحث أستاذا كان أم طالبا إل بعض قضايا اللسانيات ومسائلها كما طرحتها توجهات حديثة في اللغة، تداولية وغيرها، ويعرضها ويناقشها ويحيل على أهم مواردها بعد أن رتّب مواقفها بإحكام بيداغوجي"[2]. ومثل كتاب (المعنى في لغة الحوار. مدخل الى البراغماتية التداولية)، الذي ترى مترجمته أن قراءته لا تتطلب دراية بالتداولية، كما أنه يلقي الضوء على المداخل السابقة لأوستن وغرايس وسورل[3].

الكتاب	المؤلف	السنة	المترجم	السنة
المقاربة التداولية	فرنسوازارمينكو	1985	سعيد علوش	1986
نظرية أفعال الكلام العامة . كيف ننجز الأشياء بالكلام	أوستن	1970	عبدالقادر القنيني	1991
مدخل إلى اللسانيات التداولية	الجيلالي دلاش		محمد يحياتن	1992
التداولية اليوم علم جديد	آن روبول ، جاك	1998	سيف الدين	2003

[1]. مولر ـ زليتمان ـ أوركيوني، في التداولية المعاصرة، فصول مختارة، تر: محمد نظيف، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د ط)، 2014، ص 05.

[2] . آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد السيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2003، ص07.

[3] . جيني توماس، المعنى في لغة الحوار، ص05.

في التواصل	موشلار		دغفوس ، محمد الشيباني	
فعل القول من الذاتية في اللغة	كاترين كيربراتأوريكيوني		محمد نظيف	2007
التداولية من اوستن الى غوفمان	فيليب بلانشيه	1995	صابر الحباشة	2007
المعنى في لغة الحوار. مدخل الى البراغماتية (التداولية)	جيني توماس	1997	نارزك ابراهيم عبدالفتاح	2010
التداولية Prqgmatics	جورج يول		قصي العتّابي	2010
مبادئ التداولية	جيوفريليتش	1982	عبدالقادر قنيني	2013
في التداولية المعاصرة والتواصل . فصول مختارة	أ.مولز/ ك.زيلتمان/ ك. أوركيوني	/1971 /1980 1986	محمد نظيف	2014

ما يمكن أن نلاحظه على هذه الكتب المترجمة في التداولية هو تنوعها؛ فهناك ما يعد من المصادر الأساسية في التداولية وكان له أثر كبير في نشأتها، مثل كتاب (نظرية أفعال الكلام) لأوستن، وهناك ما هو تاريخي حاول مواكبة التطورات الحاصلة في التداولية مثل كتاب (التداولية من أوستن إلى غوفمان)، وهناك ما هو تأسيسي تعليمي يحاول تقديم المبادئ والمفاهيم العامة للتداولية، وهناك ما هو تطبيقي كما في كتاب (المعنى في لغة الحوار. مدخل الى البراغماتية (التداولية)) . ولئن كانت هذه الكتب على تنوعها تشكِّل كلا متكاملا فإننا نجد من اختار ترجمة مجموعة من الفصول من كتب وجمعها في كتاب

واحد"لاشتمالها على مفاهيم وتحليلات من شأنها إثراء الرصيد المعرفي في المجال الذي تتناوله"[1]، وذلك مثل كتاب (في التداولية المعاصرة والتواصل).

2 ـ 3 ـ 2/ الكتب العربية في التداولية:

إن حال المؤلفات العربية في مجال التداولية مختلف عن النظريتين البنيوية والتوليدية إلى درجة يصعب معه إحصاء جميع الدراسات، خاصة في ظل تفرع نظريات واتجاهات جديدة كالحجاج والتواصل وأفعال الكلام والنحو الوظيفي عن التداولية.

3/ تلقي اللسانيات التطبيقية في الثقافة العربية:

انفتحت اللسانيات مع محيطها العلمي وأقامت علاقات بينية مع علوم أخرى إنسانية وطبيعية، وذلك بعد أن تم التخلي عن تلك النظرة البنيوية الضيقة، التي تقتضي "طرح كل ما هو غريب عن جهاز اللغة العضوي وعن نظامها "[2]، وذلك على إثر تمييز رائد اللسانيات (فرديناند دي سوسير) بين لسانياتٍ داخلية تهتم بدراسة النظام اللغوي ولسانيات خارجية تدرس العلاقة بين اللغة والتاريخ والمجتمع والجغرافيا...وغيرها من المواضيع، وتم بموجب هذا التمييز إبعاد اللسانيات الخارجية لأنها لا تؤثر في دراسة النظام اللغوي.

كان لهذا الانفتاح أثر كبير في ظهور اللسانيات التطبيقية وفروعها، لكن ذلك كان في وقت متأخر عن ظهور اللسانيات، حيث تعد سنة 1946 "تاريخ ظهور هذا المصطلح واتخاذه موضوعا مستقلا في معهد تعليم اللغات الأجنبية في جامعة ميتشجان"[3]. ينسحب هذاالتأخّر في ظهور اللسانيات التـطبيقية– مقارنة مع ظهور اللسانيات العامة –علىالثقافة العربية، فإذا كانت خمسينات القرن العشرين عهدًا لاتصال العرب باللسانيات وبدايةِ التأليف

[1] . مولز ـ زليتمان ـ أوركيوني، في التداولية المعاصرة، ص 05.

[2] . فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص44.

[3] . عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، 2004، ص14.

والترجمة فيها فإن اللسانيات التطبيقية لم تتشكل في الثقافة العربية إلا في نهاية الثمانينات من القرن العشرين.

قد يكون انشغال الدارسين العرب باللسانيات العامة وتلقيها سببا من أسباب تأخر اللسانيات التطبيقية في الثقافة العربية. لكن هذا السبب – رغم وجاهته – يرافقه سبب آخر يتعلق بعدم تحمس الدارسين العرب للسانيات التطبيقية وتوجسهم من الخوض فيها، وكلا السببين يفسران قلة الترجمات؛ فما ترجم إلى العربية في هذا التخصص[1] إلى يومنا هذا قليل جدا، وما أُلف لا يسلم من الانتقاء وعدم التجانس؛ إذ نجد كتبا تحت مسمى اللسانيات التطبيقية لكن مضامينها مختلفة؛ فيها من النظري والتطبيقي وفيها من الحديث والتراثي. وربما يكون لعدم تحمس الدارسين العرب وتوجسهم من الخوض المبكر في اللسانيات التطبيقية ما يبرره.

- **طبيعة اللسانيات التطبيقية:** إذ يسحب منه عدد من اللغويين خاصية العلم، ويرونه"ميدانا غائما وغير دقيق"[2]، بل "ليس له نظرية في ذاته"[3]؛ فهو يأخذ أساليبه وإجراءاته التحليلية من مصادر متعددة.
- **هوية اللسانيات التطبيقية:** اللسانيات التطبيقية ليست فرعا للسانيات العامة و"ليست تطبيقا لها"[4]، لكنها في الوقت ذاته دراسة لقضايا لغوية، كما يختلف الدارسون في هوية هذا

[1] . الكتب المترجمة إلى العربية في اللسانيات التطبيقية:

كتاب اللسانيات التطبيقية لـ شارل بوتون، ترجمة قاسم المقداد و رياض محمد المصري.

الفصل الأول من كتاب مدخل إلى اللغويات التطبيقية لـ س. بيت كوردر، ترجمة جمال صبري. نشر هذا الفصل بمجلة اللسان العربي التابعة لمكتب تنسيق التعريب بالرباط

[2] . ينظر: عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، ص17.

[3] . المرجع نفسه، ص18.

[4] . المرجع نفسه، ص18.

العلم "فهناك من يراه علما مستقلا في ذاته، وهناك من يراه علما وسيطا أو ميدانا تلتقي فيه علوم مختلفة تعالج النشاط اللغوي الإنساني"[1]

- **الاتساع المعرفي وعدم التجانس:** فاللسانيات التطبيقية عبارة عن مجموعة من الفروع والاهتمامات اللغوية التطبيقية التي استقل بعضها وصار علما، كاللسانيات النفسية واللسانيات الاجتماعية ...

3 . 1/ الكتابات اللسانية التطبيقية العامة في الثقافة العربية:

إن المطلع على ما أُلِف في اللسانيات التطبيقية في الثقافة العربية سينتبه إلى وجود نوعين من الكتابة: كتابات عامة وأخرى متخصصة في مجال أو فرع معين. أما الكتابات العامة فنقصد بها تلك المؤلفات التي تحمل مسمى (اللسانيات التطبيقية أو علم اللغة التطبيقي) وتعرض لمجموعة مختلفة من الاهتمامات والمجالات التطبيقية ذات الصلة باللغة، أو هي "الأبحاث التي تتخذ من الإجراءات اللسانية سبيلا لمعالجة القضايا الموصولة بالحياة اليومية والمهنية التي تحضر فيها اللغة"[2] وسنعرض مجموعة منها في الجدول الآتي مع تخصيص خانة لمدلول اللسانيات التطبيقية في كل واحد منها.

المؤلف	الكتاب	سنة النشر أو التأليف	مدلول اللسانيات التطبيقية

[1] . ينظر: عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية ، ص 17، 18.

[2] . محمد خاين، اللسانيات التطبيقية وسؤال التخصص، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبدالله ين عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، عدد08، 2018، ص180.

عبده الراجحي	علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية	1989	عدد من الإجراءات والأساليب التي لها دور في تعليم اللغات لأبنائها أو لغير لناطقين بها[1]
مازن الوعر	دراسات لسانية تطبيقية	1989	"تطبيق النظرية اللسانية الحديثة بمبادئها وتعقيداتها التي لا تنتمي الى عرق أوجنس بشري معين على الواقع الفيزيائي"[2]
ميشال زكريا	قضايا ألسنية تطبيقية . دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقاربة تراثية	1993	لم يحدد مفهوما معينا
حلمي خليل	دراسات في اللسانيات التطبيقية	1999	يمتاز بأساليب وجراءات عملية لحل مشكلات معينة ذت صلة باللغة[3]
أحمد حساني	دراسات في اللسانيات التطبيقية . حقل تعليمية اللغات	2000	ربطها بحقل تعليم اللغات
صالح بلعيد	دروس في اللسانيات التطبيقية	2000	يعمل على ترجمة العلاقة بين الجانب النظري والتطبيقي. ويتصل بمجالات الحياة المختلفة[4]
أحمد مصطفى ابو الخير	علم اللغة التطبيقي ،بحوث ودراسات	2006	علم لا يقتصر على النظريات اللغوية فقط، بل يحتاج في دراسة أي مشكلة تمت الى اللغة الى علم اخرى، علم النفس، علم الاجتماع، الجغرافيا، التاريخ...الخ. ومن

[1] . ينظر: عبدالراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، ص14.

[2] . مازن الوعر، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار طلاس، دمشق، 1989، ص 10.

[3] . حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية،القاهرة،2013، ص34.

[4] . صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2000، ص04.

			مجالاته تعليم اللغة ـ خاصة الاجنبية ـ، والترجمة، وصناعة المعاجم، خاصة الثنائية الثلاثية، التي تتضمن لغتين أو أكثر، أمراض التخاطب...إلخ"[1]
وليد العناتي	العربية في اللسانيات التطبيقية	2011	"استثمار الانظار اللسانية النظرية في وجوه تطبيقية مختلفة: تعليم اللغة لابنائها وللناطقين بغيرها، والترجمة، والتحليل التقابلي، ومعالجة امراض اللغة والكلام، واللسانيات الحاسوبية، وعلم تحليل الخطاب، واللسانيات الادبية...الخ"[2]

يظهر من هذا الجدول أن هناك تباينا في تحديد مفهوم اللسانيات التطبيقية عند الدارسين العرب، وهي تدور بين مفهومين:

- **مفهوم ضيق**: يجعل اللسانيات التطبيقية "ميدانا علميا تعليميا"[3] ، لأنه يُعنى بتعليم اللغات للناطقين بها ولغير الناطقين بها، مع تفاوت في النظر إلى الفئتين، إذ "تقصر الرؤية الأمريكية اللسانيات التطبيقية على تعليم اللغات الأجنبية، في حين يقصرها غيرهم من الأوربيين والعرب على تعليم اللغة لأبنائها ولغير الناطقين بها"[4].
- **مفهوم واسع**: يتجاوز الرؤية التعليمية السابقة، ويدعو إلى ضرورة استثمار معطيات اللسانيات العامة في حل ومعالجة مشاكل لغوية.

[1] . مصطفى أبو الخير، علم اللغة التطبيقي، بحوث ودراسات، دار الأصدقاء، القاهرة، 2006، ص06.

[2] وليد العناتي، العربية في اللسانيات التطبيقية، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2012، ص13.

[3] . عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي، ص 18.

[4] . ينظر: وليد العناتي، العربية في اللسانيات التطبيقية، ص13.

ومهما يكن هذا التباين في تحديد مدلول اللسانيات التطبيقية في هذه الكتابات العربية فإنها تتفق كلها على الجانب الوظيفي للسانيات التطبيقية ، حيث إن مهمة اللسانيات التطبيقية الأساسية هي " البحث عن حل لمشكلة لغوية ما"[1]، وليس تعليم اللغات هو المشكلة الوحيدة التي تصادف الباحثين، بل إن"معظم مجالات اللسانيات التطبيقية تدل على وجود مشكلة ما تتطلب حلا؛ فالتعدد اللغوي مشكلة، والتخطيط اللغوي مشكلة، وأمراض الكلام مشكلة، وتعليم اللغة مشكلة..."[2].

والملاحظة الأخرى التي يجب الإشارة إليها هي أن اللسانيات التطبيقية في الثقافة العربية لم تواكب التطورات المعاصرة لهذا العلم، حيث بقيت تدرس قضايا تقليدية وظلت "جوانب اللسانيات التطبيقية المعاصرة غائبة تماما عنها"[3]. ويعد كتاب صالح ناصر الشويرخ (قضايا معاصرة في اللسانيات التطبيقية 2017) الكتاب الوحيد الذي واكب التطورات الحاصلة في هذا المجال

3 . 2/ الكتابات اللسانية التطبيقية المتخصصة في الثقافة العربية: يهتم هذا النوع من الكتابة بأحد فروع اللسانيات التطبيقية مثل: اللسانيات الاجتماعية أو اللسانيات النفسية...وغيرها من الفروع، أو أحد اهتماماتها ومجالاتها التطبيقية كالسياسة اللغوية وصناعة المعاجم والترجمة وأمراض الكلام ...، وقد تميز هذا النوع من اللسانيات التطبيقية عن سابقه:

- بوجود إرهاصات للسانيات الاجتماعية، فقد ألف وترجم مجموعة من اللسانيين المصريين

[1]. عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي، ص17.

[2] . المرجع نفسه، ص15.

[3] . صالح ناصر الشويرخ، قضايا معاصرة في اللسانيات التطبيقية، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط1، 2017، ص06.

كتبا[1] في موضوع اللغة والمجتمع والعلاقة بينهما في وقت مبكر من تلقي اللسانيات في الثقافة العربية. وقد كان لهذه الكتب والترجمات أثر كبير في كثرة الكتب والترجمات التي تنتمي للسانيات الاجتماعية حقيقة.

- كثرة الترجمات فيه على عكس النوع الأول من الكتابات اللسانية التطبيقية.

ذكرنا آنفا أن الكتابات اللسانية التطبيقية تنقسم إلى قسمين: الأول (فروع أو مجالات اللسانيات التطبيقية) يضم مجموعة من الفروع البينية التي تربط فيها اللسانيات علاقاتٍ مع علوم أخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس، وقد استقلت هذه الفروع عن اللسانيات التطبيقية وصارت علوما قائمة بذاتها، مثل اللسانيات النفسية واللسانيات الاجتماعية. ويضم القسم الثاني (اهتمامات اللسانيات التطبيقية) مجموعة من الاهتمامات بعضها متفرع عن العلوم السابقة مثل السياسات والتخطيط اللغوي الذي يتصل باللسانيات الاجتماعية وأمراض الكلام والاضطرابات اللغوية التي تتصل باللسانيات النفسية، وبعضها الآخر مستقل عن تلك العلوم مثل الترجمة وتحليل الأخطاء وصناعة المعاجم

وسنركز فيما تبقى على أكثر فرعين للسانيات التطبيقية ترجمة وتأليفا في الثقافة العربية، وهما اللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية:

الكتاب	المؤلف	سنة النشر
علم اللغة النفسي	داود عبده	1984

[1] . من تلك المؤلفات والترجمات التي عالجت موضوع اللغة والمجتمع:

- كتاب اللغة والمجتمع لعبدالواحد وافي 1946
- كتاب اللغة بين الفرد والمجتمع لأوتو بسبرسن، ترجمة عبدالرحمان أيوب 1954
- كتاب اللغة والمجتمع . رأي ومنهج لمحمود السعران 1958
- كتاب اللغة في المجتمع لـ م . م. لويس، ترجمة تمام حسان 1959
- كتاب اللغة بين القومية والعالمية لإبراهيم أنيس 1970
- كتاب اللغة وعلوم المجتمع لعبده الراجحي 1977

علم اللغة الاجتماعي	هادي نهر	1988
علم اللغة الاجتماعي	كمال بشر	1992
قضايا ألسنية تطبيقية	ميشال زكريا	1993
دراسات في علم اللغة الاجتماعي	زايد علي جاسم	1993
علم النفس اللغوي	نوال عطية	1994
علم الاجتماع اللغوي	سيد عبدالفتاح عفيفي	1995
علم اللغة النفسي	جلال شمس الدين	2003
علم اللغة النفسي	عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي	2006
علم اللغة النفسي	صالح بلعيد	
مقاربات سوسيولوجية	نعمة دهشان	2016

- **الترجمات**

الكتاب	المؤلف	المترجم	سنة الترجمة
اللسانة الاجتماعية	جولييت غارمادي		1990
علم اللغة الاجتمااعي	د . هدسون		1990
سوسيولوجيا اللغة	بيار أشار		1996
علم اللغة الاجتماعي للمجتمع	رالف فاسولد		2000
اللغة وسلوك الانسان	ديريك بيكرتون		2001
علم اللغة النفسي	توماس سكوفل		2004
علم الاجتماع اللغوي	لويس جان كالفي		2006

يبدو أن هذه الكتابات لا زالت لم تعرف استقرار معرفيا بعد، وذلك راجع لجملة من الأسباب:

- **عدم الفصل بين ما هو لساني وما هو غير لساني**، ودليل ذلك عناوين هذه الدراسات التي توحي بانتمائها إلى مجال علم النفس أو علم الاجتماع الذين يوجد تحتهما فرعان يتقاطعان مع اللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية هما علم الاجتماع اللغوي وعلم النفس اللغوي.
- **تداخل الفروع:** بتوسيع الدراسة أو تضييقها، حيث يؤدي ذلك في بعض الأحيان إلى إقحام فروع مستقلة مثل إقحام اللسانيات الثقافية واللسانيات الأنثروبولوجية واللسانيات الجغرافية في اللسانيات الاجتماعية لأنها تدرس كل ما يمس التغيرَ اللغوي في المجتمع.
- **البحث عن أصول تراثية لهذه الفروع في الثقافة العربية:** حيث شكل تراث الجاحظ مادة دسمة لذلك، حيث وجد فيه بعضهم لسانيات اجتماعية و وجد فيه آخر لسانيات بيولوجية.

الفصل الثاني:

تلقي الأسس النظرية للسانيات في أعمال تمام حسان

1/ الجهاز الواصف للخطاب اللساني في أعمال تمام حسان:

يتميز الجهاز الواصف الذي انتظم الخطاب اللساني في أعمال تمام حسان باستخدامه توصيف النظرية والنموذج. فهل يصلحان للغاية التي استخدمهما لأجلهما تمام حسان وينطبق وصف أعماله بهما أم أنهما يتعارضان مع ذلك؟ إن المتعارف عليه إبستيمولوجيا أن كل خطاب يروم هذا التوصيف ينبغي أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط والخصائص، وهذا ما سأسعى إليه فيما سيأتي.

1 . 1/ توصيف النظرية Théorie في أعمال تمام حسان:

يصف تمام حسان في عدد من المواضع ما قدمه في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها 1973) بالنظرية[1] دون أن يطلق عليها اسما معينا، بل إنه كثيرا ما أحال عليها بكتابه سابق الذكر؛ فهو يقول: "ومن شاء أن يرى أبعاد هذه النظرية فليقرأ كتاب: (اللغة العربية معناها ومبناها)"[2]. وإذالم يفعل ذلك عبّر عنها بنسبتها إلي شخصه؛ (...وبالنسبة لنظريتي...)[3]. وإذا فصّل الحديث عنها نلفيه يعطيها تحديدا خاصا بوصف اللغة العربية، إذ يقول في مقدمة كتابه (الخلاصة النحوية 2006): "كان موضوع كتابي: (اللغة العربية معناها ومبناها) دراسةَ نظريةٍ قوامُها منهج لتناول نظام اللغة العربية في صورته الشاملة من طريق وصف فروعه الصوتية والصرفية والنحوية وصفا يكشف عن تفاصيلها وتكافلها وعطاء كل منها في سبيل الكشف عن المعنى النحوي للوصول إلى الإفادة"[4].

أخذت أفكار(نظرية) تمام حسان بُعدا جديدا بعد أن طبّقها ودافع عنها عدد من تلاميذه وزملائه المعاصرين له في مصر – وتحديدا في كلية دار العلوم – وخارجها، إذ ظهرت

---

[1]. ينظر: تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006،ص81، 103، 104/ وتمام حسان، الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب . النحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، 2000، ص09.

[2] . المرجع نفسه، ج1، ص104.

[3] . المرجع نفسه، ج1، ص104.

[4] . تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000، ص7.

الكثير من الدراسات الجامعية التي تؤصل لهذه النظرية وجهازها المفاهيمي وأطلقوا عليها تسمية (نظرية القرائن النحوية، ونظرية تضافر القرائن)[1]. سنعتمد هذه التسمية، لأن سكوت تمام حسان على إطلاق هذه التسمية من طرف هؤلاء يعدُّ إقرارا بها.

وقبل الوقوف على مفهوم النظرية وشروط صياغتها وبنائها من وجهة إبستيمولوجية والحكم على مدى صلاحية إطلاق لفظ النظرية على ما قام به تمام حسان، لا بد من الإجابة على جملة من الأسئلة:

- هل تعبر أفكار تمام حسان عن نظرية لسانية؟
- هل ما قام به تمام حسان نظريةٌ لسانيةٌ أم تطبيقٌ لنظريةٍ لسانية على اللغة العربية؟
- هل ما قام به تمام حسان تطبيقٌ لنظريةٍ لسانية أم تطبيقٌ نحوي؟
- هل ما قام به تمام حسان نظريةٌ لسانية عامة أم نظرية دلالية؟

1 . 1 . 1/ موضوعُ نظريةِ تمام حسان:

شكّل تحديد موضوع الدراسة أحد المرتكزات المعرفية التي أقام عليها (دي سوسير) اللسانيات، بل إن هذا المرتكز قد أسهم بشكل فعّال في تطور اللسانيات؛ فعلى سبيل المثال لم يكن الانتقال من اللغة إلى القدرة النحوية في النظرية التوليدية التحويلية مجرد اختلاف اصطلاحي بل تحولا في الموضوع؛ من موضوع خارجي إلى آخر داخلي ذهني. وينسحب الأمر كذلك على الانتقال من القدرة النحوية إلى القدرة التواصلية في النحو الوظيفي؛ فهو تحولٌ من موضوع صوري إلى موضوع وظيفي. وإذا كان للموضوع دور كبير على مستوى التأسيس لأية نظرية، فكذلك الأمر بالنسبة لتلقيها، إذ يعدُّ تحديد المتلقي لموضوع خطاب

[1] . ينظر: مصطفى حميدة، نظام الربط والارتباط، الشركة المصرية العالمية للنشر ومكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، بيروت، ط1، 1997.

لساني معين أحد المؤشرات التي تحيل على الإطار النظري الذي ينتمي إليه هذا الخطاب اللساني أو غيره.

لا نقف في أولِ كتبِ تمام حسان (مناهج البحث في اللغة 1955) على موضوع محدد، فقد كان صاحبه "يأخذ أمثلته ووسائل إيضاحه من الفصحى حينا ومن العاميات حينا آخر ومن لغات أجنبية حينا ثالثا، فلم يكن بحثه خالصا للفصحى بقدر ما كان عرضا للمنهج الوصفي"[1]. أما بالنسبة لكتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) فقد بدا صاحبه مدركا لأهمية تحديد الموضوع في خطابه اللساني، إذصرّح في تقديمه للكتاب بذلك قائلا:"مجالُ هذا البحث هو اللغة العربية الفصحى بفروع دراستها المختلفة"[2]. بل إن عنوان الكتاب يشير صراحةً إلى موضوع هذه النظرية فالكتاب كما يقول (محمد صلاح الدين الشريف) "موضوعه في عنوانه. فالعربية محوره"[3].

و إذا نحن وافقنا تمام حسان فيما جاء به وأنَّ ما جاء به نظريةٌ لسانية وأن موضوعها هو اللغة العربية الفصحى، فإنّ تخصيصَه اللغة العربية الفصحى موضوعا للدراسة في نظريته يطرح إشكالا ، إذ المتعارف عليه أنّ أية نظريةٍ وفي أي مجال معرفي لا بد أن تكون شاملةً يعمُّ وصفُها وتفسيرها الظاهرةَ المدروسة وينطبق على كل أفراد جنسها متى ما تمّ حدوثها وعلى هذا فالظاهرة اللغوية أو اللغة البشرية دون تخصيص هي موضوع الدراسة لا اللغة العربية أو الفرنسية أو الانجليزية.

لا شك أن هناك خلطا في الموضوع بين مستويي النظرية والتطبيق، فالموضوع الذي ارتضاه تمام حسان ـ وهو اللغة العربية الفصحى ـ لا يصلحُ أن يكون موضوعا لنظرية لسانية

[1] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص07.

[2] . المرجع نفسه، ص09.

[3] . محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، عدد17، 1979، ص195.

لأنه يتناقض مع شرط الشمولية، بل يصلح أن يكون تطبيقا للنظرية اللسانية البنيوية الوصفية التي تقوم على دراسة لغة معينة في زمان ومكان معينين. وقد نفى (حلمي خليل) صفة النظرية عما أنجزه تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)، فعدّه "تطبيقا للنظرية اللغوية الحديثة على اللغة العربية، دون أن يقلل من قيمة هذا الكتاب؛ فهو "التطبيق الوحيد للنظرية البنيوية الوصفية على اللغة العربية"[1]. وربما صدر عن (تمام حسان) ما يطابق هذا الموقف، فقد سمى عمله تطبيقا أثناء تقديمه لكتابه سابق الذكر بقوله: "وهذا التطبيق الجديد للنظرة الوصفية في هذا الكتاب يعتبر أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سيبويه وعبدالقاهر"[2]

ويضعنا صاحب الكتاب في مغامرة التأويل لأنه يُوظِّف ويجمع بين مصطلحين للدلالة على الموضوع هما: (المجال والموضوع)، وذلك في قوله من مقدمة كتاب(اللغة العربية معناها ومبناها): "وإذا كان مجال هذا الكتاب هو الفروع المختلفة لدراسة اللغة العربية الفصحى فلا بد أن يكون المعنى هو الموضوع الأخص لهذا الكتاب"[3]،مما يجعلنا نعيد النظر فيما تقدم، فهل يقصد بهذين المصطلحين ما ذكره (دي سوسير) من تمييز بين المادة والموضوع، ويكون المجالُ الذي أشار إليه في قوله الأول مادةً لا موضوعا؟ خاصة أن هناك من الدارسين من يستخدم مصطلح المجال مرادفا للمادة[4].

لا شك أن تمام حسان لم يقصد ذلك لأنه يتكلم على لغة معينة هي اللغة العربية الفصحى بينما المادة عند دي سوسير مفهومٌ مختلف. كما أن قوله: (الموضوع الأخص) يقف قرينةً تمنع المعنى السابق؛ إذ يشير قوله (الموضوع الأخص) إلى استلزام معنى آخر وهو

[1] . ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص219.

[2] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د ت)، ص10.

[3] . المرجع نفسه ص09.

[4] . ينظر: مبارك حنون، مدخل إلى لسانيات سوسير، ص16.

أن هناك موضوعين؛ موضوعا أعم وأوسع هو اللغة العربية الفصحى وموضوعا أخص هو المعنى.

ولو تجاوزنا الفصل بين مصطلحي (المجال والموضوع) عند تمام حسان، لأن مدلولهما واحد فإن الإشكال الذي سيظهر أمامنا هو الحديث عن موضوعين هما (اللغة العربية الفصحى/ والمعنى). وهذا التمييز لا يعني الفصل التام بين الموضوعين، لأن أحدهما يخدم الآخر؛ فالكشف عن المعنى في مختلف الفروع اللسانية هو غاية الدراسة اللغوية، ولأن ارتباط المعنى بأشكال التعبير المختلفة (الصوت والصرف والنحو والمعجم) هو "ارتباطٌ بين الشكل والوظيفة وهو اللغة والعرف وهو صلة المبنى بالمعنى"[1].

لقد غلب الموضوع الأخص في هذا الكتاب على الموضوع الأعم، فهناك تركيزٌ كبير على المعنى، إذ يرى صاحب الكتاب أنّ "كل دراسة لغوية ـ لا في الفصحى فقط بل في كل لغة من لغات العالم ـ لا بد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة"[2]. وقد تجسّد هذا التركيز على المعنى في متن الكتاب، فإذا استثنينا المقدمة والفصل الأول فسنجد أن "تحليل المعنى على المستويات المختلفة يشغل ما يتلو ذلك من صفحات هذا الكتاب"[3]، حيث جرى تقسيم الكتاب بحسب أنواع المعنى اللغوي (أو المعنى الدلالي). إلى معنى وظيفي يشمل ثلاثة فصول من الكتاب تتعلق بالمستويات الصوتي والصرفي والنحوي، ومعنى معجمي يتعلق بدراسة المستوى المعجمي ومعنى اجتماعي يتعلق بدراسة المستوى الدلالي في الكتاب.

أجدني عند هذا الحد متسائلا: هل يجوز تسمية ما أنجزه تمام حسان نظريةً لسانية دلالية؟ طبعا، لا يمكن التسليم لتمام حسان بأصالة هذه النظرية اللسانية الدلالية لأنّ فكرة

[1] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص09

[2] . المرجع نفسه، ص09

[3] . المرجع نفسه، ص42، 43.

تشقيق المعنى ـ سابقة الذكرـ ليست من إبداعه،فهو ينسبها إلى الدراسات اللغوية الحديثة دون أن يحيلها على نظرية محددة أو على لسانٍ معين[1]. وعلى هذا الوجه يكون الأنسبُ تسميةُ منجزِ تمام حسان تحليلا للغة العربية على ضوء المعنى. وقد تكون هذه الدراسة التحليلية للغة العربية أحد إسقاطات نظريةٍ دلالية. ربما هي النظرية السياقية والمرجح أن تكون هي. وسنؤجل إثبات صحة هذا الافتراض إلى الحديث عن فكرة تشقيق المعنى ضمن المصادر والأسس النظرية التي اعتمدها تمام حسان.

1. 1 . 2 / منهج نظرية تمام حسان:

يتردد المنهج الوصفي في أعمال تمام حسان كثيرا، وذلك لأن صاحبه قد تبنَّاه منهجا لوصف اللغة العربية ونقدِ وقراءة التفكير النحوي العربي القديم، لكن إذا دققنا قليلا سنجد أن هذا المنهج لم يكن المنهج الوحيد، بل سنجد أن هذه النظرية تستأنس بمنهج آخر ربما كان سببَ تسميتها به.إنه منهجٌ يعتمد على (القرينة) بشكل أساسي في الوصول إلى الغايةِ المبتغاة، التي لم تكن وصف اللغة العربية، بل غايةَ الكشف عن المعنى و(المعنى النحوي) بشكل أساسي ومن ثم أمن اللبس. "فالقرائن كلها مسئولة عن أمن اللَّبس وعن وضوح المعنى ولا تستعمل واحدة منها بمفردها للدلالة على معنى ما وإنما تجتمع متضافرة لتدل على المعنى النحوي"[2].

يبدو أنّ هذا المنهج الذي استعان به تمام حسان منهج دلاليٌ استدلاليٌ، لأن المعنى فيه "لا يتعين إلا بقرينة"[3]، وهي – أي القرينة –كل ما يُستعان به من أمور حاضرة للوصول إلى الحقيقة المجهولة ،كأن تدل مثلا آثار النار في مكان قفر على وجود إنسان به أو مروره به، والقرينة في مجال اللغة بصفة عامة وبصفة خاصة في نظرية القرائن النحوية هي "كل

[1] . ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص28.

[2] . المرجع نفسه، ص232.

[3] – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص39

وسيلة مؤثِّرة في فهم المعنى النحوي وإفهامه"[1]، سواءً بدلالة العبارة مباشرة أو بما يشير أو يومئ أو يقتضيه معنى لم يرد عنه تعبير صريح.

وكلا الغايتين (الكشف عن المعنى ـ المعنى النحوي، وأمن اللَّبس) تدلان على معنى واحد، حيث إن المقصود باللَّبس" تعددُ احتمالات المعنى دون مرجحٍ. إذ لا يستطيع من يتلقى الكلام أن يقطع بأن المقصود واحد بعينه من هذه المعاني المحتملة"[2]، وأمن اللبس تحديدٌ (ترجيح) لمعنى واحدٍ من بين المعاني المحتملة بواسطة القرائن. تتصل كلا الغايتين اتصالا مباشرا بتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد؛"فالمبنى الواحد متعدد المعنى ومحتملُ كل معنى مما نُسب إليه وهو خارج السياق. أما إذا تحقق المبنى بعلامة في السياق فإن العلامة لا تفيد إلا معنى واحدا تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية"[3]. وما قيل على المعنى الوظيفي ينسحب أيضا على المعنى المعجمي، فهو الآخر "متعدد ومحتمل"[4].

1 . 1 . 3/ الغاية في نظرية تمام حسان:

إن الغاية التي من أجلها وضع تمام حسان نظريته متعددة متشعبة، فهي تأخذ في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) عدة أبعاد، وذلك انطلاقا مما ذكره في مقدمة الكتاب ومتنه. فمما جاء في المقدمة قوله: "والغاية التي أسعى وراءها بهذا البحث أن ألقي ضوءا جديدا كاشفا على التراث اللغوي كله منبعثا من المنهج الوصفي في دراسة اللغة". إذ يحتمل هذا القول معنيين؛ أما الأول فأن تكون الغاية (إعادة وصف اللغة العربية لسانيا على ضوء معطيات المنهج الوصفي)، ويكون المقصود بالتراث اللغوي هو اللغة العربية الفصحى لا الكتب التي دَرست هذا الموضوع، وتتولد عن هذا المعنى غايةٌ لسانية محضة. وأما الثاني فهو

[1] – محمد محمد يونس علي، المعنى وضلال المعنى– أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الاسلامي، بيروت، ط2، 2007، ص320.

[2] . تمام حسان، اجتهادات نحوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006، ص185.

[3] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص163، 165، 191،

[4] . ينظر: المرجع نفسه، ص323.

(قراءة التراث اللغوي على ضوء مستجدات اللسانيات والمنهج الوصفي)، ويكون المقصود بالتراث اللغوي هو المدلول الحقيقي له، أي كتب النحاة واللغويين القدامى لا اللغة العربية الفصحى في حد ذاتها، وتتولد عن هذا المعنى غاية غير لسانية، يمكن تسميتها ـ إن صحت التسمية – غايةً ما وراء لسانية، يتم فيها تجاوزُ وصف اللغة إلى قراءة أو إعادة قراءة الخطاب الواصف لها في دراسات النحاة العرب القدامى.

يرجِّح عدد من الدارسين[1] الغاية الأولى في نظرية تمام حسان ويعدّون ما جاء به عملا لسانيا وصفيا، وفي هذا الصدد يصف (مصطفى غلفان) ما قام به تمام حسان بأنه "عمل لساني رائد، وإنّه من أهم ما قيم به في إطار الاتجاه الوصفي العربي في تحليل بنيات اللغة العربية"[2]، وقد اكتسبت هذه النظرية هذا الوصفَ من عدة جوانب، لعل أهمها على الإطلاق السعي إلى دراسة ووصف النظام اللغوي، فالكتاب كما جاء على لسان صاحبه "كشَفَ عن أنظمة اللغة العربية، وبيَّن كيف ينبني كل نظام منها"[3]. ويذهب أحد اللسانيين إلى تصنيف نظرية تمام حسان ضمن الغاية الثانية فلا يراها دراسة لسانيةً وصفيةً، "لأن المنهج الوصفي ليس من مهامه الأساسية إعادة النظر في نماذج وصفية أو تحليلية أخرى وإنما يقوم على دراسة اللغة المنطوقة والمستعملة فعلا"[4]، وهذا ما جعل كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) يُصنَّف ضمن لسانيات التراث. ومما يُعاب على هذا النمط من الكتابة اللسانية العربية "تعاليها على موضوعها الأصلي لينصب اهتمامها حول التراث اللغوي. فهي لا تصف ولا تفسر الظواهر اللغوية"[5] بقدرِ ما هي شرحٌ وتأويلات للنصوص اللغوية والنحوية القديمة بشكل يتقارب مع مضامين اللسانيات الحديثة. لتصبح الغاية من نظرية تمام حسان

[1] . ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في الجملة، ص05.

[2]. ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، صص178، 187

[3] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص09.

[4] . حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، 220

[5] . مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص155، 156.

بهذه الوظيفة الشارحة غايةً فيلولوجيةً بامتياز "فالقارئ في مجال التراث العربي ليس إلا شارحا وفيلولوجيا"[1]، مع اختلاف في المادة وطبيعة العمل، حيث يدرس الفيلولوجي نصوصا قديمة مكتوبة بلغة ميتة غير مفهومة في الغالب، في حين أن قارئ التراث يدرس نصوصا قديمة في مجال معرفي معين ـ التراث اللغوي العربي ـ مكتوبةً بلغة حية مستعملة (اللغة العربية الفصحى)، وعليه، يكون الشرحُ رصدا للمعنى الذي أراده قائله وفقط، أما عند الثاني فهو رصدٌ للمعنى الذي يريده القارئ.

ولا يتوقف تمام حسان عند هذه الحد، بل نلفيه يجعل الغاية اللسانية المتمثلة في وصف اللغة تمهيدا لغاية دلالية، فهو يقول عن نظريته أنها:"نظرية قوامها منهج لتناول نظام اللغة العربية في صورته الشاملة من طريق وصف فروعها الصوتية والصرفية والنحوية وصفا يكشف عن تفاصيلها وتكافلها وعطاء كل منها في سبيل الكشف عن المعنى النحوي للوصول إلى الإفادة"[2].

وإذا كان الكشفُ عن المعنى النحوي للوصول إلى الإفادة هي الغايةُ من الدراسة في هذه النظرية، فإنها غايةٌ تختلف عن وصف اللغة العربية؛ إذ إن الوصف غاية يقوم بها الباحث اللساني، أما غاية الإفادة أو الفهم والإفهام كما يسميها في موضع آخر فهي غاية يقوم بها المتكلم، لأنها تواكب جوهر اللغة وتلامس العملية التواصلية بشكل مباشر، فاللغة العربية ـ وكل لغة أخرى في الوجود ـ تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للفهم والإفهام, وقد خُلِقت اللغات أساسا للإفهام والفهم"[3].

[1] . مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة ، ص156.

[2] . تمام حسان، الخلاصة النحوية، ص7.

[3] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص233.

1 . 1 . 4/ شروط النظرية:

لم يشر تمام حسان صراحة إلى شروط صياغة النظريات وكل ما يمكن أن يرتبط بالموضوع هو أربعة خصائص ينسبها إلى المحدثين؛ يميزون بها بين العلم المضبوط وغير المضبوط، وهي الموضوعية والشمول والتماسك والبساطة[1]. وهذه الخصائص نفسها يسميها شروطا في موضوع آخر وعلى أساسها يقيس ويحكم على كفاءة نموذج نحوي معين من بين نماذج أخرى[2]. وسأركز على شرطين اثنين، لما كان فيهما من خلل ظاه في أعمال تمام حسان.

1 . 1 . 4 . 1/ الانسجام:

تحلى تمام حسان بسمة جد إيجابية قلّ نظيرها بين أترابه من الوصفيين العرب، وهي سمة أسهمت في تطور العلم الحديث، ألا وهي المراجعة، ولا نعني بالمراجعة هنا مراجعة ما أنجزه غيره بل مراجعةَ منجزه الشخصي. وما كان يقوم به في هذه الحالة شبيه بعمل (تشومسكي) ،غير أن عمل الثاني ترتّب عنه صياغة نماذج لسانية متعددة ومتعاقبة.

وقد شبّه (تمام حسان) نفسه وهو يراجع أعماله السابقة بحال "من ينظر في مرآة حياته العقلية، فيرى وجهه فيها واضحا لا زيف فيه، فيرضى عن بعض ملامحه أحيانا ويحمد الله أن هيأ له القدرة على الوصول إلى الصواب. أو ما لا يزال يرى أنه الصواب، وقد ينكر بعضا أخر من ملامحه، فيقول: إنه كان أولى بهذه الفكرة أن تكون كذا، أو كان أولى بهذه العبارة أن تكون على نحو آخر"[3]

---

[1]. ينظر: تمام حسان، الأصول، ص15. 20.

[2]. ينظر: تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006، ص236.

[3]. المرجع نفسه، ج1، ص05.

لقد تولّد عن مراجعة تمام حسان لعدد من المفاهيم حدوث تغيُّرٍ جذري في كثير من مبادئ ومنطلقات نظريته، ما من شأنه أن ينسف النظرية التي دعا إليها ويهز أركانها. وقد تجلى هذا التغيُّر في صورة العدول – وليس التعديل – عن مفاهيم سابقة أغلبها ورد في كتبه الثلاثة الأولى، ولئن كان تمام حسان يستصغر هذه الصور العدولية ويختزلها في عدول واحد يتمثل في العدول عن مبدأ (الإعراب فرع المعنى الوظيفي) ليصبح (الإعراب فرع المعنى الدلالي)[1]، إلا أنني قد وقفت على عدولات أخرى حوتها مجموعة من المقالات المنشورة في بعد نشر كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها). ومن تلك المواضع التي وقع فيها عدول وتغيير ما يلي:

- **نظامية المعجم**: يتفرع النظام اللغوي عند تمام حسان إلى ثلاثة أنظمة فرعية، هي النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي، أما المعجم فليس نظاما، لأنه لا يتوفر على شروط النظام من علاقات عضوية تجعلها صالحة للجدولة أفقيا وعموديا، وتمنع دخول وحدات أو عناصر غريبة[2]. تغيرت هذه النظرة للمعجم ليصبح نظاما بعد "الاطلاع على تطورات النظرية النحوية التوليدية ومداومة التأمل في طبيعة المعجم"[3].فالمعجم ليس قائمة من كلمات المفردة المعزول بعضها عن بعض، بل إن المعجم نظام لما يشتمل عليه من "حقول معجمية تقوم على العلاقات بنوعيها بين المفردات"[4] لكن هذه النظرة الجديدة للمعجم ليست متعلقة به لوحده بل إنّ لها أثارا على التنظير النحوي والعلاقة بين النحو والمعجم. حيث انبنى على ذلك العدول عدولٌ عن دور المعنى الوظيفي لوحده في الإعراب ليصبح للمعنى المعجمي أيضا دور في ذلك.

[1] . تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب ، ج1، ص08.
[2]. ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص311 – 315.
[3]. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص137.
[4]. المرجع نفسه، ج2، ص97 . 100.

- **مفهوم التوارد:** تخطى تمام حسان مفهوم التوارد في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)، ولم يجعل له دورا في دراسة العلاقات النحوية، لأنه قد ربطه بالجوانب الأسلوبية البلاغية، إذ فهمه على أنه "الطرق الممكنة في رصف جملة ما من تقديم وتأخيرا ووصل وفصل وهلم جرا"[1]. ولأنه "مرتبط بالمفردات والمعاني المفردة، منحازٌ إلى المعجم لا إلى النحو"[2]. لكن مراجعة النظر في نظامية المعجم والاطلاع على المصطلح اللساني التوليدي (قيود التوارد أو الانتقاء Selection restrictions)، قد جعلا تمام حسان يُعدِّل هذا المفهوم، ليصبح مفهوما نحويا، يُنظَر إليه من خلال العلاقات المعجمية بين مفردات الجملة التي يسميها تمام حسان (المناسبة المعجمية) أو (المفارقة المعجمية) التي تمنع تركيب كلمتين لا مناسبة بينهما معجميا.
- **دور المعنى الوظيفي في الإعراب:** توصل تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) إلى صياغة مقولة النحاة العرب القدامى (الإعراب فرع المعنى) صياغةً جديدة تتماشى مع توجهه التيسيري؛ حيث رأى أن المعنى الوظيفي – بما يشتمل عليه من قواعد صوتية وصرفية ونحوية –كفيلٌ لوحده بإنجاح الإعراب والتحليل النحوي، ليصبح (الإعراب فرعا للمعنى الوظيفي). لكن هذه الصياغة سرعان ما أصبحت غير صالحة[3] لأنها تتعارض مع النظرة الجديدة للمعجم وإدخاله في التحليل النحوي، وللدور الجديد الذي صار يؤديه مفهوم التوارد والعلاقات المعجمية بين مفردات الجملة، فالجمل العشوائية التي لا تحمل معنى لم تعد صالحة للإعراب والتحليل النحوي كما كان يظن تمام حسان في كتابه سابق الذكر.
- **تأثر النحو العربي بالمنطق:** شكّل نقد التراث النحو العربي منطلقا لأعمال الوصفيين العرب، ودافعا لدعواتهم إلى إعادة قراءة التراث اللغوي العربي وتيسير النحو. ويعد تمام حسان من أبرز أولئك الوصفيين العرب الذين قالوا بتأثر النحو العربي بالمنطق، حيث صرح بذلك في عدة مواضع من كتابيه (مناهج البحث في اللغة) و(اللغة بين المعيارية والوصفية)، لكن هذا

[1]. تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها، ص216، 217.
[2]. ينظر: تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص136.
[3]. ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص136 . 145.

الموقف يجعله متناقضا مع ما ذهب إليه في كتابه (الأصول 2000) بعد أن لاحظ ذلك التشابه بين منهج الفقهاء ومنهج النحاة، إذ يقول: "هل لنا أن نقول أن طائفتي الفقهاء والنحاة كلتاهما تغترف من معين واحد يمكن أن نطلق عليه المنهج الإسلامي ونجعل ذلك ردا على الذين يحلو لهم أن يذيعوا باتهام النحاة بالأخذ عن اليونان؟"[1]. والعجيب في الأمر أن تمام حسان يتبرأ مما سبق له أن تبناه من مواقف ويدفع به لغيره، فهل هذا الموقف الذي صدر من تمام حسان تصحيحٌ لموقفه السابق، أم لأنه تصادف مع غرض تأليفي يتعلق بأصول النحو العربي فلم يرد أن يتعارض معه.

- **نظام الكتابة الأبجدية:** يرى عدد من اللسانيين العرب أن نظام الكتابة العربية قاصر عن استيعاب كل أصوات العربية وأخذوا في البحث عن حلول لذلك، ومن الحلول التي اقترحها تمام حسان "الأخذ باشتقاق رموز عربية من الأبجديتين الإغريقية واللاتينية"[2]، لكنه يتناقض مع نفسه، عندما يقرُّ أن "العلاقة بين الرمز الكتابي وبين مدلوله علاقة عرفية، وأنه لو فرضنا أن العرف تغيّر في الكتابة، وتوخى المجتمع رموزا أخرى تكتب في اتجاه معاكس فلن يغيِّر ذلك من وضوح المعنى"[3].

1 . 1 . 4 . 2/ معيار القابلية للدحض والإبطال:

لم تعد النظرية بمفهومها الحديث تلك النظرية القابلة للإثبات والتحقق بالبحث عما يعززها ويؤيدها من أدلة فقط، بل إنها تلك النظرية التي تحوي فرضيات قابلة للنقد والإبطال. وبناء على ذلك فإن كل الصور العدولية السابقة تعدُّ عملا نظريا صحيحا، كان من الممكن لها أن تستوعب صياغة جديدة لنظرية تمام حسان، لكن ذلك لم يحدث لأن ذلك العدول عن مفاهيم سابقة كان مبثوثا في عدد من المقالات التي لا يجمعها رابط نظري، وأكثر من

[1]. تمام حسان، الأصول، ص189.

[2]. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص145

[3]. المرجع نفسه، ص126.

ذلك موقف تمام حسان الرافضُ لفكرة التعديل؛ حيث يرى أن"العملَ على تعديل بعض هذه الأفكار عند الحاجة نوع من التزوير لا يليق بالأمانة العلمية وفاعل ذلك كمن يبدي للقارئ رأيين متعارضين"[1]. وهو موقف يجمّد الصور العدولية السابقة وما يترتب عنه من تطور للنظرية.

ولئن بدت دعوتُه الدارسين إلى إثارة الاهتمام بكتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) – ومن ثم نظريته– بتناولها بالنقد البناء لمعرفة مدى صوابها وخطئها[2] تفعيلا لشرط أو معيار القابلية للنقد والإبطال فإن ذلك النقد الذي بدأت تظهر بشائره بعد السنين الطوال لم تكن غايته تطهير النظرية من الخطأ وتعديلها أو تطويرها بل كان عكس ذلك، حيث يجعل غاية ذلك النقد إعلامية لا تطويرية، إذ يقول: "وحمدت لكل من تناول الدراسة بالنقد إسهامَهُ في إذاعة أمرها والعناية بها"[3].

1 ـ 2/ توصيف النموذج Modèle في أعمال تمام حسان:

لم يكن مصطلح (النظرية) هو اللفظ الوحيد الذي استخدمه تمام حسان للتعبير عن خطابه اللساني المضمَّن في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)، بل إنه قد استخدم مصطلح (نموذج) كذلك في عدة مواضع، إذ يرى أن كتابه السابق "يبني نموذجا جديدا للغة العربية غير ما أَلِفَه الناس من قبل"[4]، وإنّه "أضاف نموذجا آخر إلى نماذج النحو العربي"[5] في إشارة صريحة إلى النموذجين البصري والكوفي. وكلا المصطلحين (النظرية والنموذج) لم يردا في كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها)، وإنما ورد ذكرهما في ما نشره وألفه تمام حسان من مقالات

[1] . تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص08.

[2] . ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص10/ تمام حسان، الخلاصة النحوية، ص08.

[3] . تمام حسان، الخلاصة النحوية، ص08.

[4]. تمام حسان،التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، سلسلة دراسات في تعليم اللغة العربية، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (د ط)، 1984، ص08.

[5]. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص236.

وكتب بعد ذلك أي بعد سنة 1973، إذ يحتمل أن تكون الاستعانة بأسلوب النمذجة أحد آثار اطلاعه المتأخر على النظرية التوليدية أثناء فترة تدريسه وإقامته بالمغرب الأقصى .

إنّ هذا النموذج النحوي الذي وضعه تمام حسان لا يختلف عن النظرية، فكلاهما جاء مقيدا بكتاب (اللغة العربية معناها ومبناها)؛ إذ يعبر عنه واضعه بـ (نموذج كتاب اللغة العربية 1973)[1]. وقد ورد ذكره في عملين لتمام حسان هما: مقالٌ بعنوان (وحدة البنية واختلاف النماذج) سنة 1983 وكتاب (التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها) 1984، وتمّ استخدامه في هذين الموضعين من غير تسميةٍ، وهو في هذه الحالة مثل النظرية تماما، إذ لم يضع لهما اسما وقيَّدهما بكتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)، غير أن وَضْعَ النظرية قد تغيَّر بعد ذلك فقد أعطى تلاميذ وزملاء تمام حسان للنظريته اسم (نظرية القرائن النحوية/ نظرية تضافر القرائن) في حين أُهمِل النموذج وبقي على حاله. ربما يدل ترك النموذج بلا تسميةٍ على عدم اطلاع اللسانيين الوصفيين العرب على هذه التقنية وعدم مواكبتهم لها. وربما يعود ذلك لعدم تعدُّدِ نماذج تمام حسان داخل نظريته؛ فتعدد النماذج يستدعي تسميتها للتمييز بينها، ويمكن التمثيل في هذا الجانب بالنظريتين التوليدية والنحو الوظيفي اللتين اعتمدتا أسلوب النمذجة وتعددت في إطارهما النماذج، إذ أطلقت في البداية على هذه النماذج تسميات تدل على فكرة التطور والتعديل الحاصلين من قبيل النموذج ما قبل المعيار والنموذج المعيار والنموذج المعيار الموسع، وكل هذه النماذج اللسانية كانت ترد مقرونة بأسماء أصحابها والسنة التي وضعت فيها على الشكل الآتي: النموذج ما قبل المعيار (تشومسكي 1957)، النموذج المعيار (تشومسكي 1965)، النموذج المعيار الموسع (تشومسكي 1973)في النظرية التوليدية. والنموذج ما قبل المعيار(سيمون ديك 1978)، والنموذج المعيار(ديك 1997)، والنموذج ما بعد المعيار (ماكنزي 1998/ المتوكل 2003

[1] . تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص237، 236، 247، 252، 257، 267

و2004/ وهنغفلد 2004) بالنسبة لنظرية النحو الوظيفي. كما أعطيت تسميات أخرى تتعلق بالنماذج في حد ذاتها مثل نموذج الربط والعمل والبرنامج الأدنوي في النظرية التوليدية

قد يكون مصطلح النموذج عند تمام حسان لفظا عربيا وبالتالي يصبح مدلوله مختلفا عن النموذج بالمفهوم الذي كنا نتحدث عنه سابقا، وفي هذه الحالة يصبح النموذج لفظا دالا على حالةٍ مثالية لقواعد اللغة العربية. ويعزز هذا التصور ورودُ مصطلح النموذج في المصدرين سابقي الذكر مفردا من غير إشارة إلى كونه ترجمةً لمصطلح أجنبيٍ. لكن استقراءً لأعمال تمام حسان مكننا من الوقوف على استخدام المقابل الأجنبي (الانجليزي) الذي يضع تمام حسان بإزائه النموذج وهو Model[1]،

يرتضي أغلب المشتغلين في حقل الإبستمولوجيا وإبستمولوجيا اللسانيات تحديدا في الثقافة العربية هذه الترجمة ويستعملونها في أعمالهم[2]. وهناك من اللسانيين العرب – والتونسيين تحديدا – من يوظف مصطلح (**المنوال**) مثل (عزالدين المجدوب) في كتابه (المنوال النحوي)، والمنصف عاشور وسمية المكي...

يمكننا القول إنّ توظيفَ مصطلح النموذج عند تمام حسان توظيفٌ واعٍ ليصبح التساؤل عن مدى موافقة مفهوم النموذج عنده لمفهوم النموذج وشروط بنائه المعمول بها في الأعمال الإبستيمولوجية بشكل عام وفي الأعمال اللسانية الحديثة مشروعا. لا يمكننا الإجابة عن التساؤل السابق قبل تحديد مفهوم النموذج ووظيفته وشروطه

[1]. ينظر: تمام حسان، أصول النحو وأصول النحاة. مجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، عدد10، 1977، ص80.

[2] . ينظر: حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ، قضايا ابستيمولوجية في اللسانيات ، ص78/ محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية، ص44./ مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص29، 56.

1 . 2 . 1/ مفهوم النموذج وأسلوب النمذجة:

عرف مسار العلم المعـاصر تطورات متسارعة في بنيته وطريقة تشكُّله ومنطق تطوره إذ سمح انفتاح العلوم على بعضها البعض والتخلي عن النظرة النهائية اليقينية للمعرفة بظهور مصطلحات جديدة تعبِّر عن منظومة العلوم، على غرار النموذج الذي نحن بصدد الحديث عنه. وقد تبنَّت الكثير من العلوم أسلوب النمذجة فصارت "(بلورة النماذج) جزءا لا يتجزأ من هندسة النظريات العلمية"[1]، وذلك من أجل "التمثيل لخصائص الظواهر المدروسة ولصياغة التعميمات ولوصف اشتغال مكونات النظرية"[2]. لقد اتسمت استراتيجية البحث العلمي بطابع تدرجي يقوم على أساس:

ـ وضع برامج علمية.

ـ بناء نظريات تفسيرية تندرج في إطار برنامج علمي واضح.

ـ إقامة نماذج تمثيلية داخل هذه النظريات.[3]

يُساوِقُ النموذجُ النظريةَ في هذه العلوم ولا تنفك عنه "لتجاوز المشكل العام الذي يعاني منه بناء النظريات، وهو مشكل العلاقة بين النظرية والواقع"[4]، ولحل هذا المشكل يتوسطُ النموذج النظريةَ والواقعَ بتأديته دورَ "التوفيق بين النظرية ككيان مجرد وبين الواقع

[1] . حافظ إسماعيلي علوي واحمد الملاخ، قضايا ابستيمولوجية في اللسانيات ، ص81

[2]. المرجع نفسه، ص83.

[3] . عزالدين البوشيخي، مفهوم النموذج اللساني وشروط بنائه، ضمن: اللسانيات واللغة العربية بين النظرية والتطبيق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، سلسلة ندوات، 1992، ص91، 96

[4] . محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية، ص44.

ككيانات تجريبية"[1]. إن هذا الدور الذي يلعبه النموذج خوَّله لأن يكون"تمثيلا مبسطا لتفاعلات العناصر والمكونات المفترضة في الإطار النظري"[2].

1 .2. 2/ النموذج وأسلوب النمذجة في اللسانيات:

تجاوبت اللسانيات كغيرها من العلوم مع أسلوب النمذجة، فنحت صوب بناء نماذج لسانية، رغم "قِصَر تاريخ اتصال اللسانيات بتقنية النمذجة إذا قيس بتاريخ اتصال علوم أخرى"[3]. وتعدُّ النظرية التوليدية أولَ النظريات اللسانية توظيفا لهذا الأسلوب وذلك لدراستها موضوعا ذهني؛ حيث لاقت هذه النظرية صعوبةً في "دراسة اللغة بيولوجيا وتشريحيا كما تجري في ذهن الإنسان، كما أن ملاحظة المعرفة اللغوية الداخلية لا تتم بصفة مباشرة مما استدعى بناء نماذج تحاكي مظاهر العقل البشري"[4]. وبناء على ذلك يعد النموذج اللساني "أداةً لمحاكاة الوظائف الذهنية للغة وبلورةِ فرضيات تفسيرية حول خصائصها ومكوناتها"[5]

إن ارتباط أسلوب النمذجة باللسانيات التوليدية سيلغي كل التعميمات والاستعمالات الأخرى لمصطلح النموذج في مراحل قديمة، لأن بناء نموذجٍ لساني مرهون بتوفر مجموعة من الخصائص ـ والشروط ـ الصورية والتمثيلية والتجريبية التي أدى خلو الأنحاء التقليدية ـ بما فيها النحو العربي ـ منها إلى فقدها صفة النموذج وامتناع أي وجه لإجراء المقارنة بين النحو العربي القديم والنماذج النحوية[6]. ولربما ينسحب هذا الحكم حتى على اللسانيات البنيوية.

---

[1] . محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية ، ص59.

[2]. حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، ص83.

[3] . محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية، ص45.

[4]. ينظر: حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، ص81، 84.

[5] . المرجع نفسه، ص 82.

[6] . ينظر: عزالدين البوشيخي، مفهوم النموذج اللساني وشروط بنائه، ص96.

1 . 2 . 3/: نموذج كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) 1973:

يستعمل تمام حسان مصطلح النموذج النحوي للتخصيص، إذ تفيد الإضافة هنا انتماء النموذج للدراسة اللغوية، حيث ينزِلُ بناءَ النموذج في مرحلة وسطى تلي عملية الاستقراء وتتلو عملية تطبيقه، "فإذا تمّ الاستقراء وصل النحوي أو النحويون إلى بناء نموذج للغة يمثِّل فكر النحوي بالنسبة لنظام اللغة"[1] وعندما يكتمل النموذج تُختبَر طاقته التوليدية وذلك بتطبيقه على عبارات جديدة غير مسموعة من قبل. يبدو أن النموذج النحوي وفق هذا التصور مشابهٌ لمفهوم النحو عند النحاة العرب الأوائل، كما يظهر لنا أيضا أنّ النموذج النحوي لا يختلف عن التصور البنيوي الحديث للغة لأنه يتصل بالنـــــظام اللغوي، فهو في نظر تمام حسان "تصورٌ لنظام اللغة يختلف باختلاف الباحثين فيها وليس هو اللغة نفسها"[2].

وبالعودة إلى مفهوم النموذج إبستيمولوجيا ولسانيا اتضح لنا أن هناك تقاربا مع مفهوم النموذج عند (تمام حسان)، فهو يستخدمه للدلالة على "صياغةِ هيكلٍ بنيويٍ ذي عناصر ومكونات يتكامل بعضها مع بعض"[3]. كما يعدُّه وسيلةً"يعرض الباحثون من خلاله نظام اللغة"[4]. يتطابق مفهوم النموذج اللساني عند (تمام حسان) بهذا التصور معناه الصوري ، الذي يُعَدّ بمقتضاه أداةً صورية للتمثيل لخصائص اللغات الطبيعية[5]. لكنه لم يواكب معنى النموذج في اللسانيات التوليدية الذي "يجمع بين الخصائص الوظيفية والبنيوية للغة كما تجري في الدماغ"[6]

---

[1] . تمام حسان، أصول النحو وأصول النحاة، ص80.

[2]. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص 268.

[3]. تمام حسان، التمهيد في اكتساب اللغة العربية، ص08.

[4]. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص235.

[5] . حافظ إسماعيلي علوي واحمد الملاخ، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، ص82

[6] . المرجع نفسه، ص82.

ونرى أن تمام حسان يتفق مع عدد من اللسانيين العرب حول مفهوم النموذج بمعناه الصوري،إذ نلحظ تشابها بين تعريف تمام حسان للنموذج على أنه هيكل بنيوي وبين تعريف أحمد المتوكل له على أنه"عمليةُ بناء الجهاز الواصف وتنظيم مكوناته بحيث يَكفُل التمثيل للظاهرة أو الظواهر المروم رصدها، ويتم بناء الجهاز الواصف (أو النموذج) انطلاقا من المبادئ المنهجية المتضمنة في النظرية التي تخلفه[1]. وشبيه به أيضا ما جاء في المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات من أن النموذج "بنية منطقية أو رياضية تستعمل لدراسة سيرورة من الظواهر تربطها علائق محددة" [2].

لقد أدرك تمام حسان جانب تنظيم الدراسة في بناءٍ محكم سماه هيكلا بنيويا تتكامل عناصره ومكوناته. ويتحقق هذا الجانب في الخضوع لشرط الانسجام أو "قيد التناسق الذي يضمن إرضاؤه عدم التناقض بين منطلقات النظرية وعملية النمذجة (أو النموذج المصوغ)"[3] وبموجب هذا الشرط لا بد أن يستجيب النموذج لجملة من مبادئ ومنطلقات النظرية. يبدو أنإدراك تمام حسان للجانب الهيكلي كان منقوصا، حيث لم يتم تجسيد وتحقيق النموذج في مكونات أوقوالب تربط بينها علاقات معينة، فهذان الشرطان يكملان بعضهما ؛ إذ "يحكم شرط الانسجام صياغة الجهاز الواصف (النموذج) في جانبين أساسيين اثنين: عدد القوالب (أو المكونات) والعلاقات القائمة بينها"[4].

ففي نظرية النحو الوظيفي مثلا تم صياغة مجموعة من النماذج التي خصصت للجوانب التداولية في اللغة مكونا خاصا، وأنزلته منزلة يكون فيها متحكما في المكونات اللغوية الأخرى. إنّ "النموذج الذي يمكن أن يُعدَّ نموذجا وظيفيا هو النموذج الذي يتضمن

[1]. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية . مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط2، 2010، ص99، 100.

[2] . مجموعة من الباحثين، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . مكتب تنسيق التعريب، الدار البيضاء، 2003، ص93.

[3] . أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية . قضايا ومقاربات، مطبعة الكرامة، الرباط، ط1، 2005، ص53.

[4] . أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي الفكر اللغوي العربي . الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006، ص40.

مستوى قائمَ الذات يتكفل بالتمثيل للخصائص التداولية على أساس اعتبارها خصائصَ تسهم في تحديد البنية التركيبية الصرفية للجملة"[1].

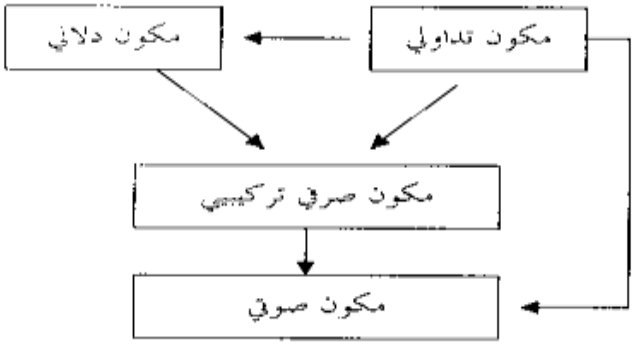

الشكل: النموذج النمطي لكل نظرية وظيفية[2]

1 . 2 . 3 . 1/ بنية نموذج تمام حسان: يمتاز نموذج تمام حسان النحوي عن ماجاء به النحاة بما يلي[3]:

1/ تصنيف جديد للكلم

2/ إبراز دور القرائن

3/ الكشف عن قيمة تضافر القرائن لبيان المعنى النحوي

4/ القول بالترخص وإدخاله في البناء النظري للنحو

5/ بناء نظام زمني مفصل للصيغ العربية

6/ بيان مكان الظواهر السياقية أو الموقعية في بناء الهيكل النحوي

[1] . أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص101.

[2] . ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص41.

[3] ينظر: تمام حسان، الأصول، ص 09./ تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص 247 . 268

1 . 2 . 3 . 2/ نموذج كتاب اللغة العربية 1973 والنماذج الأخرى:

يقرن تمام حسان وصفه لنموذجه بنماذج أخرى منها ما هو عربي ومنها ما هو غربي فيتكلم عن نموذج بصري ونموذج كوفي ونموذج تحويلي دون أن يوضح غرضه من هذا الجمع لهذه النماذج النحوية المختلفة نظريا ومنهجيا. ثم يذكر أنه سيعرض لثلاثة نماذج هي النموذج البصري الذي أنشأه النحاة ولخصه كتاب سيبويه، ونموذجه المضمَّن في كتابه للغة العربية 1973، ثم يعرض تطبيقا لنموذج النحو التحويلي على اللغة العربية مأخوذا من كتاب تشومسكي أوجه النظرية النحوية 1965. مبررا هذا العرض **بإعادة وصف اللغة العربية في ضوء اللسانيات**[1].

وتتضح هذه الغاية من مقارنته بين تلك النماذج والمتمثلة في إعادة وصف اللغة العربية لسانيا بعقده تشبيها بين هذه النماذج وثلاثة رجال يريدون الكشف عن ضاحية صغيرة من مدينة تتكون من ثلاث مجموعات من المباني، حيث شبَّه عمل البصري بوصف الرجل الأول لتلك الضاحية بعد أن ركب طائرة عمودية توقفت به في الجو فوق هذه الضاحية بمسافة قليلة فلم يرى منها إلا تلك الكتل الثلاث، وشبَّه عمله بوصف الرجل الثاني الذي قصد تلك الكتل ماشيا، فدخلها واحدة بعد الأخرى فوجد كل كتلة منها مكونة من بنايات متلاصقة، وشبَّه عمل تشومسكي بوصف الرجل الثالث للضاحية بعد أن حلَّق في أجواء الفضاء ليرى المدينة كلها بضواحيها[2].

إن فكرة تعدد النماذج النحوية عند تمام حسان تتعارض مع نظيراتها في اللسانيات الحديثة من عدة أوجه:

[1] . تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، 237.

[2] . ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 247، 248، 269.

● **التعدد بين النماذج:** تبدو المقارنة التي عقدها تمام حسان بين هذه النماذج غير صائبة وغير محكمة لأنها لا تعبر عن فكرة تعدد النماذج داخل النظرية الواحدة، إذ جمعت – كما سبق أن قلنا – بين نماذج لا رابط بينها. وإذا كان الهدف من المقارنة بين نماذج متعددة هو البحث عن النموذج الأفضل فإن ذلك "لا يعني تقويم نموذج بعين نموذج آخر لا يجمعه بالأول نفس الإطار النظري"[1]. فالنموذج البصري ينتمي لنظرية نحوية تقوم على فكرة العامل، بينما يلغي نموذج تمام حسان هذه الفكرة ويبدلها بالسياق وفكرة القرائن، في حين يقوم النموذج التوليدي (1965) على فكرة دراسة تلك القدرة الذهنية التي تمكن المتكلم المستمع من إنتاج وفهم ما لا حصر له من الجمل.

إنّ نموذج تمام حسان المفرد يلغي كل تعددٍ للنماذج داخل نظريته كما هو الشأن في النظرية التوليدية التي تعد أبرز مثال لهذا الأسلوب. ومع هذا يُسمَح بالتعدد من خارج النظرية اللسانية الواحدة، "فهناك مجالان لتعدد النماذج النحوية: مجال النظريات اللسانية المختلفة ومجال النظرية اللسانية الواحدة"[2]. ففي المجال الأول يسمح بتعدد النماذج التي تنتمي لنظريات لسانية مختلفة شرط أن تشترك في نفس المقاربة للغة. فمثلا يمكن الجمع بين نموذجي(البراغمانتكس والتركيبات الوظيفية) من النظرية التوليدية ونماذج النحو الوظيفي لأنها تشترك كلها في كون الوظيفة الأساس للغة هي التواصل وأن هذه الوظيفة تتحكم في بنية اللغة.[3]

● **التعدد وأسبابه:** تلعب الكفاية التفسيرية دورا هاما في العلوم الحديثة، فهي الغاية الأساسية التي تسعى كل العلوم إلى تحقيقها. وتظهر أهميتها في تأثيرها على النظريات والنماذج العلمية، إذ يؤدي عجزها عن بلوغ هذه الكفاية إلى الاستعاضة عنها بأخرى، لكن هذه

[1] . عزالدين البوشيخي، مفهوم النموذج وشروط بنائه، ص95.
[2] . المرجع نفسه، ص95
[3] . ينظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص99، 100.

الحالة ليست سلبية بالكامل بل هي حالةٌ إيجابية، لأن ذلك التجاوز لتلك النظريات أو النماذج سيؤدي إلى بلوغ الغاية المنشودة وهي الكفاية التفسيرية ومن ثم تطورها.لم تعد الكفاية التفسيرية سببا وفقط لتعدد النماذج بل أصبحت معيارا أساسيا للمفاضلة بين النماذج وتقويمها، ذلك أن "النموذج يكون ذا كفاية تفسيرية إذا استطاع أن يفسر وقائع تجريبية لم تستطع النماذج الأخرى تفسيرها"[1]

لا يبدو أن تمام حسان قد لامس السبب الحقيقي لتعدد النماذج النحوية، فهو يتحدث عن سبب أكثر تعميما وأكثر صلةً بالنظرية من النموذج، إنّه يرُجِع تعدد النماذج النحوية إلى اختلاف الأسس النظرية وتحديد موضوع الدراسة وطبيعته، إذ يقـول في ذلك: "إنما أتى تعدد النماذج من قبل الأسس النظرية التي يبني عليها الباحثون أعمالهم فمنهم من ينطلق من بداية فلسفية فيرى اللغة كيانا فلسفيا ومنهم من يبدأ من المنطق فيراها فكرا منطقيا ومنهم من يخضعها للدين فيسخرها له ومنهم من يراها كائنا طبيعيا ينمو ويضمحل ومنهم من يراها مظهرا لتصورات ذهنية"[2]

- **تعدد النماذج والغاية منه:** يتصل هذا الوجه بالوجه السابق، إذ إن العجز عن بلوغ الكفاية التفسيرية هو المصوغ الأساسي لتعدد وتراكم النماذج النحوية. ومع تعدد النماذج صار موضوع المفاضلة بين النماذج من أهم المواضيع في أسلوب النمذجة، وفي هذا الشأن يرى (محمد محمد العمري) أنّ الاشتغال بالأمور التاريخية المتمثلة في البحث عن مدى الأخذ بتقنية النمذجة أو عدم الأخذ بها أمر لا قيمة له من الناحية المعرفية لدراسة الأنساق

[1] . محمد محمد العمري، ابستمولوجيا النظرية اللسانية، ص58.

[2] . تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص235.

اللسانية. إن المهم لديه هو "معرفة التفاضل بين النماذج اللسانية وهو أمر له قيمة معرفية ويقتضي القيام به الاستعانة بما توفره الإبستمولوجيا من أدوات استراتيجية"[1]

1 . 2 . 4/ مدى توفر شروط النموذج في أعمال تمام حسان:

لا يختلف النموذج كثيرا عن النظرية من ناحية الشروط أو الخصائص فهما من هذه الناحية متشابهان، إذ"يشاطرُ النموذجُ النظريةَ خصائصَها[2]، كالصورنة والتجريد والتعميم والبساطة والترييض والقابلية للدحض والتفسير والتنبؤ. وتصل العلاقة بينهما حد التماهي؛ إذ "ينبغي أن تكون هناك علاقة شفافية بينهما"[3]. إن الفارق الوحيد هو في اقتراب النموذج من الواقع أكثر.

إنّ أغلب هذه الشروط والخصائص غير متوفرة في نموذج (تمام حسان) ولا النحو العربي القديم، لكن تمام حسان يتجوّز ويتوسع في استعمال المصطلح ، فيطلقه على النحو العربي عند البصريين والكوفيين مشيرا إلى نموذجين (بصري وكوفي). وفي هذا الصدد يرى (حافظ إسماعيلي علوي) أن جزءا مهما من سياق اللسانيات غير الظاهر يتم تغييبه، مما يجعل تلقي اللسانيات في الثقافة العربية تلقيا مبتورا وذلك بسبب عدم استحضار الكثير من الأصول الرياضية والمنطقية للنماذج اللسانية[4]. وهو يقصد بهذه الأصول الرياضية والمنطقية الشروط التي كنا نتحدث عنها قبل قليل.

لكن هذا لا يعني أن(تمام حسان) قد أصاب في بعض الجوانب المتعلقة ببناء نموذجه النحوي وفشل في كثير منها، وزاد الأمر تعقيدا إعادته نشر المقال سالفِ الذكر بعَناوين مختلفة؛ إذ حمل المقال عنوان (وحدة البنية واختلاف النماذج) أول مرة سنة 1983، تم نُشر

[1] . محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية، ص45.

[2] . حافيظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، ص80

[3] . عزالدين البوشيخي، مفهوم النموذج وشروط بنائه، ص94.

[4] . حافيظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، ص309.

المقال بعد سنتين في مجلة مجمع اللغة العربية بعنوان جديد (وحدة البنية واختلاف الأنظمة)[1]، ونُشر المقال بعنوان آخر (وحدة البنية واختلاف المقاربات)[2].

إن هذا التعدُّد في العنوان دليل على تردُّد صاحبه، وربما يكون اضطرابا معرفيا اختلطت فيه هذه المفاهيم، فتولَّد عند صاحبها إحساسٌ بعدم مناسبة مصطلح النموذج، فعدل عنه إلى مصطلحي (النظام أوالمقاربة) للدلالة على ذلك الهيكل البنيوي الذي وُضِع للغة العربية، ويكون ذلك العُدول عن مصطلح النموذج إلى النظام ثم المقاربة عدولا واعيا يدلُّ على استدراك صاحبه للخطأ الذي وقع فيه،حيث ترجّح كل التحليلات السابقة أن يكون مصطلح المقاربة أنسب المصطلحات للتعبير عن منجزه.

وربما يكون ما وقع من عدول وقع سهوا ونسيانا، بخاصة أن التغيير مس العنوان فقط في حين بقي مصطلح النموذج مستخدما بلفظه في متن المقالات الثلاث. فتمام حسان نفسه يُقرُّ أنه"امرؤ لا يحسن تسجيل ماضيه ولا يهتم لهذا التسجيل"[3]، وربما يكون قوله الآتي تفسيرا لذلك: "...لربما خططت المقال في نسخة وحيدة ثم دفعت بها إلى النشر دون أن أحتفظ لنفسي بنسخة أخرى ثم يظهر المقال منشورا فلا أعُنى باقتنائه مطبوعا، فإذا مرت السنون لم أذكر المقال ولا المجلة التي نشرته، ويتكرر مني هذا فأنساه ولربما أنكرته إن ذكّرني بعض الناس به"[4].

2/ مصادر ومرجعيات الخطاب اللساني في أعمال تمام حسان:

يستهين البعض بدور الإحالة على المصادر ومراجع البحث، فلا يرون فيها إلا خطوة من خطوات إعداد وانجاز البحوث العلمية، ويسندون لها دورا توثيقيا يترتب عنه وصف

[1] . نقلا عن: حسين رفعت حسين ، الموقعية في النحو العربي – دراسة سياقية،عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2005، ص345.

[2]. ينظر: تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ص /وتمام حسان، اجتهادات لغوية، ص77.

[3] . تمام حسان، المرجع نفسه، ج1، ص05.

[4] . تمام حسان، المرجع نفسه، ج1، ص 05، 06.

لسلوك وأخلاق الباحث، فالإحالة المضبوطة انعكاس لأمانة وتواضع الباحث في الاعتراف بما لغيره "[1]. كما أن من شأن الإحالة على المصادر أن تقلل من مشكل السرقات العلمية.

إن الدور الحقيقي للمصادر والإحالة عليها ليست عملا تقنيا شكليا يتعلق بتقنيات التوثيق أو التهميش أو الاقتباس وغيرها من التقنيات كما يتوهم البعض، إنها فعلٌ يتصل بالمعرفة العلمية في حد ذاتها، بل إنها أصبحت أحد المداخل المهمة التي تُباشَر من خلالها الممارسة الإبستيمولوجية والتحليل النقدي للعلوم. لأن أية إحالة على مصدر معين تعني التواصل والتحاور معه في موضوع البحث إما موافقةً أو نقدا. بل إن هذا الجانب يجعلنا على تماس مع قضية الإبداع في كتابة لسانية معينة، فبناءً على متابعتنا للمصادر المحال عليها يمكننا الحكم على كتابة لسانية معينة بأنها مجرد نقل وإعادة أو أنها كتابة قدمت الإضافة وأتت بالجديد.

وقد لا تكون هناك ضرورة تستدعي التصريح بالمصادر طالما أن صاحب الكتابة اللسانية واع بمصادره ومدرك لمسارها، بخاصة أن من طبيعة الخلفية أن تكون مضمرة، وفي هذا الشأن يرى (محمد محمد العمري) أن "عدم التصريح بالأسس المعرفية التي تقف وراء علم من العلوم هو الذي يمنح الشرعية ويقدم التبرير لقيام العمل الإبستيمولوجي"[2]، الذي يتمثل أساسا في الكشف عن تلك الأسس المعرفية والمصادر والخلفيات المضمرة

لكن هذا الإضمار وعدم التحديد للمصادر يؤثر على تلقيه للخطاب اللساني، إذ تصبح وظيفته المرجعية الإحالية هشةً، لا دور لها في استقطاب واستمالة القارئ/ المتلقي ومن ثم التأثير فيه، فهذه الخاصية لها تأثير نفسي على المتلقي لأن الأعمال التي تتحلى بها

[1] . مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص70

[2] . محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية، ص8

"تكسب ثقة المتلقي وتستدرجه إلى خبايا الكتاب، فمراجع الكتاب ومصادره تكسب الكتاب مصداقية أكبر عند القارئ"[1]

كما أن عدم تحديد المصادر والإطار النظري الذي تنتمي إليه هذه الدراسة أو تلك يجعل المتلقي في حيرة وتيهٍ معرفي، نظرا "لتعدد الخطاب العلمي ونسبيته وخصوصيته وظرفيته واختلاف وضعه فضاءً وزمنا ، لهذا صارت موضعة الخطاب أو الإشكال ضرورة ملحة، وذلك برسم الحدود التي تسمح بتميُّز كل خطابٍ عن الخطابات المزامنة والسابقة له (أفقيا وعموديا)"[2].

2 . 1/ تعريف المصدر: يقسم (مصطفى غلفان) مفهوم المصدر إلى قسمين باختلاف المدلول وأثره في البحث العلمي

– هو الأصول الفكرية والمبادئ المنهجية التي ترتكز عليها نظرية لسانية معينة. كما تشمل مجمل المبادئ الأسس التي تقترحها النظريات اللسانية الحديثة مثل الأدوات الإجرائية التي تقارب بها التيارات موضوع الدراسة [3].

– هو المصادر التي يعتمدها باحث معين في دراسة موضوع محدد. ويندرج في هذا السياق إحالات الباحث إلى غيره من الباحثين المشتغلين بنفس القضية أو العاملين معه في نفس الحقل[4].

ويميز (محمد محمد العمري) داخل المصدر بين مفهومين بناءً على فكرة التصريح والإضمار هما:

[1] . حافيظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص113

[2] . ينظر: عبدالقادر الفاسي الفهري، أساسيات الخطاب العلمي، ضمن: المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2001. ص44.

[3] . ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص65،66.

[4] . ينظر: المرجع نفسه، ص65،66.

- المرجع أو الإطار المرجعي: وهو مفهوم عادة ما يصرح به
- الخلفية: وهو مفهوم لا يصرح به على العموم وعلى الباحث الكشف عنه وتعريته[1].

2 . 2/ مصادر تمام حسان:

من المتعارف عليه أن يحمل الخطاب المقدماتي الخطوط العريضة للدراسة من إشكالية وأهداف ومنهج وذكر للمصادر التي اعتمدت عليها الدراسة سواء كانت دراسات سابقة أو مراجع تمت الاستعانة بها، وما يهمنا من كل هذه النقاط هو المصادر.

ترِد بعض العبارات في مقدمات تمام حسان مشيرة إلى هذه النقطة، من ذلك قوله في كتابه (مناهج البحث في اللغة) : "لا أستطيع أن أغمط حق النظرية التي بَنيت عليها هذه الدراسة، وهي نظرية جاءت نتيجة تجارب القرون في الغرب فهيكلها غربي وتطبيقها على اللغة العربية هو القسط الذي أنا مسؤول عنه في هذا الكتاب"[2].

وجاء في مقدمة كتابه(اللغة العربية بين المعيارية والوصفية 1958) قوله: "فكرت في أمر الدراسات العربية القديمة من حيث المنهج لا من حيث التفاصيل، وجعلت تفكيري في أمرها مستضيئا بمناهج الدراسات اللغوية الحديثة"[3]

وجاء في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) ما نصه: "والغاية التي أسعى وراءها بهذا البحث أن ألقي ضوءا جديدا كاشفا على التراث اللغوي كله منبعثا من المنهج الوصفي في دراسة اللغة"[4]

[1] . ينظر:محمد محمد العمري، الأسس الإبستيمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، ص7،8.
[2] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص05.
[3] . تمام حسان، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية ، ص11.
[4] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص10.

ويذكر في مقدمة كتابه (الأصول) أن موضوع كتابه موضوع قديم يعود إلى الصلة التي ربطت بينه ـ أي تمام حسان ـ وبين كتب التراث النحوي التي أعطاها من اهتمامه قسطا يعادل أو يفوق اهتمامه بالدراسات اللغوية الحديثة كما تعرضها الكتب الأوربية والأمريكية[1].

إن التدقيق في هذه العبارات جعلنا نسجل الملاحظتين الآتيتين:

– ذكرُ المصادر جاء مجملا وعاما؛ فالعبارات التي استخدمها من قبيل (نظرية جاءت نتيجة تجارب القرون في الغرب، الدراسات العربية القديمة، الدراسات اللغوية الحديثة، التراث اللغوي العربي، المنهج الوصفي، التراث النحوي) لم تُحِل بشكل دقيق على مصادر محددة وتجاهلت التنوع والتعدد والاختلاف الحاصل في تلك المصادر التي ذكرها.

– انقسام مصادر تمام حسان إلى قسمين؛ مصادر لغوية عربية تراثية ومصادر لسانية حديثة.

2 . 2 . 1/ المصادر التراثية: فهو يقول أن "الفكر النحوي العربي كان إحدى دعامتين قام عليها كتابي الذي ظهر في 1973 (اللغة العربية معناها ومبناها)"[2]. ويُعدُّ هذا النوع من المصادر الأكثر إحالة عليها في أعمال (تمام حسان) من مقابله من المصادر اللسانية، ويمكن أن نثبت ذلك بالإحالات الواردة في كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) المثبتة في الجدول الآتي:

المصدر	الموضع
السيوطي	267 /184/15/14
عبدالقاهر الجرجاني	319 /195/188/186/185/18
دي سوسير	318 /40
سيبويه	63 - 49
ابن عصفور	63

[1] . تمام حسان، الأصول، ص12

[2] . المرجع نفسه، ص12.

طه حسين	71
الأشعري	317 /73
الأشموني	/131/115/100/98/89 /224 /221 /215 /202/198
برترند راسل	111
ابن عصفور	130 /128/115
ابن مالك	136
الزمخشري	350 /149
أحمد بن محمد الحملاوي	162
ابن هشام	ص164
ابن مضاء	185
إبراهيم مصطفى	185
عثمان أمين	193
أحمد أمين	338

2 . 2 . 1 . 1/ أنواع المصادر التراثية في أعمال تمام حسان:

لا يمكن أن نجمع المصادر التي استعان بها تمام حسان في خانة واحدة، فهي تنقسم إلى نوعين:

مصادر لغوية تراثية رئيسية معترَفٌ ومصرَحٌ بها: يعدُّ (سيبويه) و(عبدالقاهر لجرجاني) أهم مصدرين لغويين تراثيين في أعمال تمام حسان، وذلك باعترافه، لأن ما قدماه للغة العربية في كتبهما "قام على الوصف في الكثير من أبوابها، ولم يقع في المعيارية حين وقع فيها إلا من قبيل التوسع في التعبير"[1] .

[1] . تمام حسان، للغة بين المعيارية والوصفية، ص12.

مصادر لغوية تراثية مساعدة: استعان تمام حسان في بناء نظريته أو في تقديم بعض المفاهيم اللسانية بجملة من الكتب التي تتباين وظائفها ونِسبُ حضورها في أعماله. وأغلب هذه الكتب كانت لنحاة متأخرين، ويمكن تقسم مصادر هذه الفئة إلى ما يلي:

– كتب الغرض منها الاستشهاد والتدعيم: يستشهد (تمام حسان) كثيرا بألفية ابن مالك وشروحها خاصة شرح الأشموني. ويذهب تمام حسان في هذا الاستشهاد أبعد من اقتباس الأفكار إلى استعمال الشواهد والأمثلة.

– كتب الغرض منها نقدي: ويمثَّل لهذا النوع بكتاب ابن مضاء (الرد على النحاة) الذي يجعل (تمام حسان) موقفَه من الإعراب وفكرة العامل[1] منطلقا لبناء موقفِه الرافض لفكرة العامل.

. – كتب الغرض منها تأصيلي: انتفع (تمام حسان) بكتب الخلاف ومعاني الحروف، وفد انتفع بها في معرفة قواعد التوجيه وتحقيق فكرتي الأصل والفرع وما يتصل بهما. ويذكر من هذه الكتب ثلاثة (الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، والجنى الداني للمرادي، ومغني اللبيب لابن هشام)[2].

2 . 2 . 1. 2/ الإحالات على الكتب التراثية:

لقد جاءت إحالات تمام حسان على مصادره التراثية ضعيفةً، فيها تساهلٌ وعدم تحكُّمٍ وضبطٍ لمنهجية البحث العلمي خاصة في شقِّها التوثيقي، ما ترتب عنه خلطٌ واضطراب في إحالاته. وربما كان هذا المظهر أحد أسباب نعت (عبدالقادر الفاسي الفهري) اللسانيات في الأقطار العربية بالتسيب المرجعي، إذ يرى أنّ أبسط شروط التأليف العلمي لا

[1] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص206، 207./ وتمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص185/و تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 55 . 58.

[2] . ينظر تمام حسان، الأصول، ص11.

تتوفر فيما يتكاثر من كتب ومقالات على رفوف المكتبات، وأن كثيرا من الأعمال لا تتقيد بالتوثيق الكافي ولا تهدف إلى خلق تراكم معرفي[1]. وقد وقفنا على جملة من المآخذ في إحالات تمام حسان على مصادره، وهي مآخذ قد تؤثر على مصداقية الكتاب وتهز ثقة القارئ اتجاهه. بل حتى تعيق عملية قراءته وتقبُّله.

– عدم توثيق بعض الاقتباسات في الهامش: يستشهد تمام حسان بأبيات من ألفية ابن مالك في أكثر من عشرين موضعا من كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) لكنه لا يوثقها في الهامش إلا في موضع واحد دون ذكرٍ لعلومات دار النشر والطبعة والصفحة. قد تكون الطبيعة الشعرية لهذا المصدر مبررا لعدم توثيق الاقتباس؛ فقد يكون ما ورد من استشهادات حفظا لا اقتباسا. لكن هذا المظهر لا يتوقف عند ألفية ابن مالك بل يمتد إلى حالات أخرى، فمثلا في الصفحة من 87 من كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) يورد تعريفات النحاة لأقسام الكلم لكنه لا يذكر صاحب التعريف لا في المتن ولا في الهامش وكأن هذا التعريف موحد عند جميع النحاة، وفي الصفحة 318 من الكتاب نفسه يورد رأيا لدي سوسير ولا يحيل عليه في الهامش.

– عدم اتباع منهجية محددة في التهميش: لا يلتزم تمام حسان منهجية واحدة في توثيق إحالاته في الهامش، فمرة يذكر المؤلِف والصفحة، ومرة يذكر المؤلف والباب الذي وردت فيه المعلومة دون ذكر للصفحة. ومرة يذكر المؤلِف والكتاب ولا يذكر الصفحة. ومرة يذكر

[1] . عبدالقادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للأفاق، ضمن: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991، صص12، 14/ وينظر: محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والوظيفة – من خلال كتاب تمام حسان (اللغة العربية معناها ومبناها)، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، عدد17، 1979 ص198، 199.

الكتاب بمفرده[1]. وفي أحد المواضع لا يذكر المؤلف ولا كتابه ولا صفحة الاقتباس بل يذكر المحقق لوحده في الهامش[2].

– عدم الإحالة على المعلومة بشكل دقيق، فهو يستشهد بمثال أو عبارة – ليست في شكل بيت شعري – لابن مالك لكنه لا يذكر المصدر لا في المتن ولا في الهامش. خاصة إذا علمنا أن ابن مالك لم يؤلف الألفية فقط بل له كتب أخرى[3]

– خلو كتبه من فهارس ببليوغرافية: لا يتوقف الأمر هنا على فهرس المصادر والمراجع فقط فليس هناك في كتاب (اللغة العربية) فهارس للأعلام والمصطلحات والشواهد كما هو معمول به، إذ لكل هذه الفهارس دورها في تحديد المصادر المعتمدة والإحالة عليها. وقد وقع الاستثناء في كتاب (مناهج البحث في اللغة) و(التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها) اللذين أثبت فيهما فهرسين للمراجع العربية والغربية.

– خلو أغلب كتبه من خاتمة باستثناء كتاب (مناهج البحث في اللغة) و(التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها1984)، إذ المعمول به أن للخاتمة دورا في الوقوف على النتائج المحصل عليها.

2 . 2 . 2/المصادر اللسانية الغربية:

إن وضعَ المصادر اللسانية عند تمام حسان ليس أحســـن حالا من مقابلاتها التراثية، فقد وردت أكثر إجمالا في عبارات وألفاظ لا تُبين عن تيار أو نظرية لسانية معينة وذلك من قبيل (نظرية جاءت نتيجة تجارب القرون في الغرب، الدراسات اللغوية الحديثة، النظرية اللغوية الحديثة، المنهج الوصفي، الوصفية...). إنّ عدم تحديد الإطار النظري الذي

[1] . ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 130.

[2] . ينظر: المرجع نفسه، ص224.

[3] . المرجع نقسه، ص115، 216.

تنضوي تحته الدراسة بدقة واستخدام ألفاظ وعبارات عامة قد جعلت بعضهم يشكِّك في كيفية تَقبُّل تمام حسان لعلم اللسانيات وتَمثُّلِه إياها؛ إذ "توهِم الألفاظ والعبارات السابقة أن اللسانيات رغم تعدد أعلامها واختلاف المجتمعات التي ازدهرت فيها تمثِّل وحدة متجانسة متماثلة وهي دعوى غير صحيحة"[1].

ولئن ظهر اسما (سيبويه وعبدالقاهر الجرجاني) بعدِّهما مصدرين تراثيين رئيسيين لأعمال (تمام حسان) مع الإحالة إلى بعض المصادر التراثية الأخرى، فإن الأمر مختلف بالنسبة للمصادر اللسانية، إذ لا يذكر (تمام حسان) أسماء لسانيين غربيين ذكرا صريحا ـ كما فعل مع سيبويه والجرجاني ـ يوحي بتبني أفكارهم أو الإعجاب بها. إن هذا الوضع في التعامل مع المصادر اللسانية وضعٌ عام تقريبا اتسمت به أغلب الكتابات اللسانية العربية الوصفية، فهي تتميز "بعدم تحديد المصادر والأسس النظرية والمنهجية توضيحا كافيا"[2]. ولم تنتف هذه السمة/ العيب عن أعمال (تمام حسان)، بل إن (مصطفى غلفان) يذهب أبعد من ذلك إذ يَعدُّ كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) أبرز مثال على هذه السمة/ العيب لأن صاحبها لا يشير إلى مصادر دراسته[3]. ولربما قصده أيضا (عبدالقادر الفاسي الفهري) في حديثه عما أسماه التسيُّب المرجعي عندما يقول:"إن التسيُّب المرجعي قد يبلغ ببعضهم إلى حدِّ أن لا يذكر أي مصدرٍ أو مرجعٍ في تأليفه وكأنه المرجعُ الأول والأخير في الموضوع الذي يخوض فيه" [4].

تدفعنا الطريقةُ التي تَعامَل بها (تمام حسان) مع المصادر اللسانية إلى الإحساس بتعمُّد عدمِ ذكر هذه المصادر، وعدّها نتيجة من نتائج التقصير في التوثيق؛ فكثيرا ما "يجهل أو

[1] . عزالدين المجدوب، المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، كلية الآداب (سوسة)، تونس، (د ط)، 1998، ص42.

[2]. غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص177.

[3]. ينظر: المرجع نفسه، صص 66، 178.

[4] . عبدالقادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية ـ نماذج للحصيلة ونماذج للأفاق، ص12.

يتجاهل الشخص ما يكتبه مواطِنٌ له من نفس البلد، ويجهل أو يتجاهل العالِم في العالم العربي ما يكتبه العالم اللساني في الغرب"[1]. قد يكون تعمُّد تَجاهُل المصادر اللسانية عند تمام حسان بدافع إبراز النظرية التي وضعها وكرَّس جهده من أجلها، ولربما بدا له أن الإفصاح عن المصادر اللسانية لنظريته قد تكون مدعاةً لاتهام البعض لأعماله بأنها مجرد تطبيق لنظرية أخرى ومن ثم نفيِ صفة النظرية عنها.

ومما دفعنا إلى القول بتعمُّد (تمام حسان) عدم ذكر المصادر اللسانية وتجاهله إياها توظيفه الكثير من المفاهيم اللسانية دون الإحالة على مصادرها، وذلك من قبيل: النظام والعلاقة والقيم الخلافية والتوزيع. بل إننا نجده يبني الكثير من المعطيات على التفريق بين اللغة والكلام في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) دون الإحالة على هذا المبدأ اللساني لواضعه الأول (دي سوسير)، ولا يذكره إلا في موضعين أو ثلاثة من الكتاب، وفي أحد تلك المواضع يحيل عليه بعبارة توحي بالتقليل من قيمته: "...حيث عبَّر عنها أحد العلماء بقوله..."[2]، وفي الحالة التي يوثّق هذه الإحالة في الهامش لا يذكر عنوان الكتاب ولا معلوماته ولا الصفحة: (انظر كتاب دي سوسير)[3]. لا يفعل (تمام حسان) هذا مع (دي سوسير) فقط بل هو ملمحٌ عام في كتابه سالف الذكر، حتى أن شخصيةً مثل أستاذه (فيرث) كان لها تأثير كبير على أفكاره لا يَرِدُ لها ذكر في هذا الكتاب.

إن عدم ذكر تمام حسان لمصادر أعماله لا يعني أن تمام حسان لم يستعن بها بتاتا بل العكس هو الصحيح، إلا أنها مصادرُ مضمرة في خطابه اللساني، ويستطيع "المتتبع المتمكن من أصول اللسانيات البنيوية في مختلف اتجاهاتها أن يقف على المصادر التي امتح منها "[4].

[1] . عبدالقادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية . نماذج للحصيلة ونماذج للأفاق ، ص15.

[2] . تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص40.

[3] . ينظر: المرجع نفسه، ص 40.

[4] . مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 66

يذهب بعض الدارسين[1] إلى ترجيح أن تكون أفكار (فيرث) أو المدرسة الانجليزية هي الإطار النظري الذي استقى منه (تمام حسان) الكثير من مفاهيمه وأدواته الإجرائية في نظريته رغم عدم ذكره اسمه في كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها)، وحتى إذا ذُكِر في الكتب الأخرى فإنها إحالةٌ غير مؤثرةٍ، لأنها إحالات لم تلامس المبادئ الأساسية[2]. ينطلق هؤلاء الدارسون من مجموعة من القرائن والمعطيات التاريخية والمعرفية، في مقدمتها الصلة المباشرة بين (تمام حسان) و(فيرث) وهي علاقة الطالب بأستاذه، وهي علاقة يقرُّ بها تمام حسان في أحد أعماله: "يقول أستاذي فيرث..."[3]. بالإضافة إلى منهج الدراسة الذي كان يركّز على المعنى ويعتمد على السياق في تحديده. لكن هذه القرائن ليست كافية، إذ لا تعني علاقة الأستاذية تبني الأفكار فكم من تلميذٍ ناهض وانتقد أستاذه، بالإضافة إلى ذلك نجد أن الاهتمام بالمعنى ودراسته سياقيا تتقاسمه نظريات حديثة كالتداولية والنحو الوظيفي. ويبقى السؤال مطروحا: هل كانت أفكار (فيرث) ومدرسة لندن هي المصدر الوحيد؟

قد تكون أفكار فيرث هي المصدر الأساسي في أعمال تمام حسان،لأن فترة ابتعاث تمام حسان إلى جامعة لندن وتعلمه فيها "فترةٌ نضج فيها علم اللسانيات واكتملت صياغة أهم الفرضيات المحددة لموضوعه المرتبة لوجهات النظر فيه الضابطة لمجالاته"[4]، لكن هذا لا يعني أنها المصدر الوحيد والنهائي في أعمال تمام حسان، وربما كان كلام (سعدعيدالعزيز مصلوح) أدق إشارة إلى مصادر تمام حسان، حيث يقول: "وعلى يد فيرث وتلامذته في مصر بدأ التيار اللساني الأساسي، يمدُّه رافدٌ يتسلل على استحياء من اللسانيات الفرنسية. واتخذت اللسانيات الأمريكية سبيلها بآخرة من الزمان من خلال المتابعة والجهد الذاتي

---

[1]. ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص220/ ومحمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي، ص201./ سعدعبدالعزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات، ص20.

[2]. ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص217، 251، 262،265

[3]. المرجع نفسه، ص217.

[4]. عزالدين المجدوب، المنوال النحوي، ص37.

لتلامذة فيرث"[1]. فهذا الكلام إشارة إلى مصادرَ متنوعة، تشكل النظرية السياقية المصدر الرئيس مع مصادر لسانية أخرى. ومع ذلك يبقى كلام (سعد مصلوح عبدالعزيز) مجملا أيضا، لأنه يحيل على تيارات لسانية جغرافيا، ففي اللسانيات الأمريكية توجد نظريتان شهيرتان هما التوزيعية والتوليدية، فهل يعني قوله اللسانيات الأمريكية أنه أخذ عن كلا النظريتين؟

سأنطلق من كلام (سعد مصلوح عبدالعزيز)، وأفترض أن مصادر (تمام حسان) تأخذ من النظرية اللسانية البنيوية بمختلف اتجاهاتها ومصادرها بما فيها النظرية التوليدية التحويلية، لكن هذا الافتراض يبقى مؤقتا حتى نؤكد على ذلك، وسيكون لنا في الأسس النظرية والمصطلح اللساني والوسائل الإيضاحية والأسس المنهجية كلها عونٌ على ذلك.

3 / الأسس النظرية في أعمال تمام حسان:

استند (تمام) حسان في صياغة نظريته التي دعا إليها على جملة من الأسس النظرية،وهي تتلخص في أربعة أسس رئيسية:

3-1/التفريق بين اللغة والكلام:

أخذ مبدأ التفريق بين اللغة والكلام حيزا كبيرا من اهتمام (تمام حسان)، فقد خصّص له حوالي سبع وعشرين صفحة من كتابه (مناهج البحث في اللغة)، كما اشتملت مقدمة وتمهيد كتاب (اللغة بين المعيارية والوصفية) على تفريق بين موقف المتكلم وموقف اللغوي الباحث، وخصص فصلا كاملا – الفصل الأول – من كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) لهذا الموضوع وعنونه به (الكلام واللغة).

[1] . سعد عبدالعزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة ، ص20.

وقد لخص هذا التفريق في قوله: "الكلام عمل واللغة حدود هذا العمل . والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط والكلام حركة واللغو نظام هذه الحركة والكلام يحس بالسمع نطقا والبصر كتابة واللغة تفهم بالتأمل في الكلام"[1]. وقد كان هذا التفريق من زاويتين:

- زاوية منهجية تتعلق بطريقة دراسة كل منهما[2]، وقد عرضها في كتابيه (مناهج البحث في اللغة) و(اللغة بين المعيارية والوصفية) .
- زاوية معرفية تتعلق بطبيعة كل منهما وتكوينه[3]، وقد عرضها في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها).

إن هذا المبدأ لم يكن من إبداع (تمام حسان)، فالمتعارف عليه أن أصول التفريق والتمييز بين مفهومي اللغة والكلام تعود إلى فرديناند (دي سوسير) في سياق تحديده لموضوع اللسانيات، إذ ميز بين ثلاث ظواهر: اللسان واللغة والكلام . في شكل ثنائيتين: (لسان – لغة/ لغة – كلام)[4]. لكن المتأمل في أعمال (تمام حسان) سيلاحظ أن (دي سوسير) لم يكن المصدر الوحيد لهذا الأساس النظري، بل إنه قد طعَّم هذا المبدأ بأفكار لسانيين ولغويين غربيين وعرب، هم (شارل بالي، ألان جاردنر، أوتويسبرسن، وهارولد بالمر، وبلومفيلد، وفندريس، وم. م. لويس،وسابير، والسيوطي، وابن جني)[5] .

شكّلت مواقف أولئك اللسانيين واللغويين رافدا لبلورة تصور (تمام حسان) في التفريق بين اللغة والكلام، فهو لم يكن راضيا عن تصور (دي سوسير) الذي عدَّه "نظرة خاضعة تمام

[1]. نفس سعد عبدالعزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة، ص32.
[2]. اللغة العربية، ص32
[3]. المرجع نفسه، ص32.
[4]. ينظر: فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص27 . 36.
[5]. ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 37 . 56.

الخضوع لأفكار (دوكايم) في دراسة الاجتماع، وأنها إن صلحت للتفريق بينهما لغرض دراسي فهي غير صالحة لشرح حقيقتهما شرحا صحيحا"[1]. وقد لخّص فائدة هذا التفريق في غاية دراسية تتمثل في "إعانة طالب اللغة على تناول جهاتها الدراسية دون خلط بينها ودون تأرجح في التفكير وفي استعمال الاصطلاحات"[2].

لم يكن (تمام حسان) مختلفا مع دي سوسير حول مبدأ التفريق بين اللغة والكلام في حد ذاته، بل إنه كان يرى ضرورة ذلك[3]. إن موضع الاختلاف وسبب نقد (دي سوسير)كان منصبا على مفهوم الكلام وطبيعته؛ فإذا كان الكلام عند (دي سوسير) "فرديا عرضيا ثانويا"[4]، فإنه عند (تمام حسان) "عمل اجتماعي لأنه يتطلب شخصين أو أكثر على الأقل"[5]. وقد استبدل تفريق (دي سوسير) بين ما هو اجتماعي وما هو فردي بين اللغة والكلام بما "هو جمعي وما هو اجتماعي"[6]؛ فاللغة نشاط جمعي تتفق عليها وتستخدمها في جماعات أما الكلام فنشاط اجتماعي لأنه يستدعي أكثر من شخص.

تتفق هذه النظرة التي دعا إليها (تمام حسان) في إعطاء طابع اجتماعي للكلام مع نظرة أستاذه (فيرث) الذي يرى أن "لا وجه للتفريق البتة، وإذا كان لنا أن نفرق فتكون هذه التفرقة في الكم لا في الكيف. فيجوز لنا أن نتكلم عن لغة الجماعة ولغة الفرد. ولغة الفرد هذه مثلٌ من أمثلة لغة الجماعة وهي بذلك جديرة بالنظر والدراسة"[7]

---

[1]. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص36

[2]. المرجع نفسه، ص37

[3]. المرجع نفسه ، ص35.

[4]. دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص34.

[5]. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص38

[6]. المرجع نفسه ، ص38.

[7]. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص153.

سيظهر لنا مما سبق أن تمام حسان في تفريقه بين اللغة والكلام قد أخذ عن دي سوسير ضرورة التفريق بين اللغة والكلام، وأخذ عن فيرث الطابع الاجتماعي للكلام فتصوره يجمع بين هذا وذاك، وأيا كانت مصادر هذا المبدأ فإن تمام حسان قد استفاد منه نظريا ومنهجيا، حيث بنى عليه مجموعة من المفاهيم الأخرى في أعماله :-

- مفهوم النظام اللغوي: حيث جعل النظام جزءا من اللغة لا الكلام[1].

- تقسيم المستويات وتحديد وحدات كل مستوى: مثل التفريق بين علم الأصوات (فونيتيك) وعلم الأصوات الوظيفي التشكيلي (فونولوجيا)؛ حيث ينتمي الأول إلى الكلام والثاني إلى اللغة[2]. أو التفريق بين الكلمة واللفظ؛ حيث تنتمي الأولى إلى اللغة وينتمي الثاني إلى الكلام[3].

- التمييز بين الوصفية والمعيارية بناء على التمييز بين نشاط المتكلم ونشاط اللغوي، حيث إن الاستعمال اللغوي وظيفة المتكلم والبحث اللغوي وظيفة الباحث، وإن من أوضح وسائل الاستعمال المعيار ومن أوضح وسائل البحث الوصف"[4]

- التفريق بين اللهجة واللغة، حيث يعد تمام حسان اللهجة طريقة من طرق الأداء اللغوي (الكلام)، لأنها "ظاهرة ديناميكية واللغة أستاتيكية، ولأن اللهجة تنفيذ واللغة أسس" [5].

لقد أدى تحكم هذا الأساس في جزء كبير من كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) إلى ظهور تقسيمات جديدة بسبب تعارض التقسيم القديمة عند غيره من اللغويين واللسانيين مع مبدأ التفريق بين اللغة والكلام، فمثلا أخرج (تمام حسان) مجموعة من الظواهر السياقية

[1]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص262.

[2]. ينظر: المرجع نفسه، ص 66.

[3]. ينظر: المرجع نفسه ، ص317

[4]. ينظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص12.

[5]. ينظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص179

(الموقعية) من موقعها الأصلي وهو علم الأصوات التشكيلي الوظيفي (الفونولوجيا) وخصص لها جزءا مستقلا من الكتاب لأنها تتأثر بالسياق ومن ثم فهي جزء من الكلام، بينما تعد الدراسة الفونولوجية جزءا من اللغة.

3-2/ النظام اللغوي وتعدد النظم:

يتردد مصطلح (النّظام) بشكل لافت وفي عدد كبير من المواضع في كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها)، حتى إنّه يمكن عدُّ الكتاب تطبيقا لهذا المبدأ على اللغة العربية لوصفها. ولا نكون مبالغين إن قلنا إن (تمام حسان) من أكثر اللسانيين العرب الذين عرضوا وقدموا وطبّقوا هذا المفهوم في الثقافة العربية. وقد انعكس هذا المفهوم على أعمال (تمام حسان)، ولعل الأثر الكبير له كان في تحديد وتعريف اللغة، فهي عنده "منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع، وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة"[1].

يحمل هذا التعريف إشارة صريحة إلى الطابع النظامي للغة بين مكونات اللغة ، أي العلامات اللغوية. لا يختلف هذا التعريف كثيرا عن تعريف (دي سوسير) للغة، فاللغة عند هذا الأخير "نظام من الدلائل[العلامات] ليس فيه من جوهري سوى اقتران المعنى بالصورة الأكوستيكية"[2].

بل إن (دي سوسير) يعد المصدر الأول لهذا المبدأ، حيث حظي مفهوم النظام Systeme بمكانة مركزية في محاضراته، وكان أحد مبدأين ارتكزت عليهما لسانياته،كما كان لهما دور في صياغة "أنموذج غيّر به (دي سوسير) أنموذجا سابقا عليه [اللسانيات

[1]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص34.

[2]. فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص36.

*. المقصود بالمحايثة استقلالية الدراسة اللسانية وعدم تداخل علوم أخرى فيها

التاريخية المقارنة]، فكان أن خلق بذلك نظرية متماسكة صاغت موضوع هذا العلم ومنهجه. ويتمثل الأنموذج السوسيري في المحايثة* والنسقية"[1] أو النظامية.

أثّر هذا المبدأ في الاتجاهات اللسانيات بعد (دي سوسير) واتفقت جميعا على هذا المبدأ، فأطلق عليها مصطلح اللسانيات البنيوية، وأصبحت اللسانيات في هذا التيار "علما للنسق"[2]أو النظام، ولم يبق موضوعها اللغة على إطلاقها بل صار "نسقَ أو نظام اللغة"[3] وصارت الإشارة أو العلامة اللغوية "الموضوع الأولي للبحث"[4] فيه. وقد جعل (دي سوسير) من هذا المبدأ غاية رئيسية من الدراسة اللسانية؛ حيث تكون "مهمة الألسني هي أن يحدد ما يجعل من اللغة نظاما خاصا ضمن مجموع الظواهر الدلائلية"[5]

تَطعَّم مبدأ النظام بمبدأ آخر متفرع عنه في أعمال (تمام حسان)، فالتعريف السابق لا يحمل إشارة للطابع النظامي للغة فقط، بل إن هناك إشارة إلى مبدأ آخر متفرع عن نظامية اللغة، وهو تعدد النُّظم داخل النظام اللغوي. فما المقصود بذلك وما هو مصدره؟ يصف (تمام حسان) اللغة بأنها متعددة النظم Polysystematic ، أي"بمعنى أن فيها نظاما أصواتيا إلى جانب نظام صرفي وآخر نحوي وهلم جرا. وهذه النظم المتعددة متماسكة متضافرة تتعاون جميعا في خلق المنظمة الاجتماعية الكبرى (اللغة المعينة)"[6]. وكل نظام من الأنظمة السابقة "يشتمل على أنظمة فرعية. فالنظام الصوتي مكون من فروع تنظيمية منها نظام الصحاح والعلل ونظام المقاطع ونظام النبر ونظام التنغيم، وكذلك يتسم النظام الصرفي بدرجية في أنظمته الفرعية، ولنظام النحو درجية أيضا. وما يزال هذا التفريع يتصاعد حتى

---

[1]. مبارك حنون، مدخل إلى لسانيات سوسير، ص09.

[2]. روجيه فان دي فيلد، اللسانيات البنيوية بوصفها علما، تر: منذر عياشي، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، دمشق، عدد369، 1994، ص50

[3]. المرجع نفسه، ص 51

[4]. المرجع نفسه، ص 53

[5]. فرديناند دي سوسير ، دروس في الألسنية العامة، ص37

[6]. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص34.

تصبح المسألة الواحدة نظاما أصغر[1]. ويطلق تمام حسان على هذا التفريع في النظام اللغوي مصطلح درجية التنظيم اللغوي[2]. أي التدرج في تفريع النظام اللغوي إلى أنظمة لغوية أصغر.

تتكرر هذه الفكرة في عدة مواضع من الكتب الأولى لتمام حسان دون إحالة إلى مصدرها، باستثناء إحالة واحدة يقول فيها: "فهي ـ أي اللغة ـ منظمة من النظم على حد تعبير بعضهم"[3]. لكن هذه الإحالة لم تحدد مصدرا معينا لهذا المبدأ بقدر ما حملت اعترافا بعدم نسبة الفكرة إليه وعدم اختراعه لها.

لم يرد هذا المبدأ في محاضرات (دي سوسير)، لكنني وجدت إشارة ترجع هذا المبدأ إلى النظرية السياقية الإنجليزية، حيث يذكر (جيفري سامسون*Samson Jeffrey*) في كتابه (مدارس اللسانيات – التسابق والتطور) أن "تعدد الأنظمة Polysystematic من السمات الرئيسية في معالجة فيرث للصوتيات الوظيفية وفي التحليل اللغوي في مستويات أخرى"[4]، وقد تبلور هذا المبدأ بشكل واضح عند أبرز تلاميذ فيرث (هاليداي Michael *Halliday*) عندما طور أفكار أستاذه في إطار نظري عُرِف بعلم اللغة النظامي SystemicLinguistics أو النحـــــو النظامي SystemicGrammar حيث إن التحليل النحوي عنده "يقوم على مجموعة من الأنظمة تتظافر كلها مكونة شبكات من الأنظمة، وهذه الشبكات من الأنظمة هي اللغة، فاللغة عنده هي نظام أنظمة System of Systems"[5].

[1]. ينظر تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص111 . 115/ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 58.

[2]. المرجع نفسه، ص116.

[3]. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص58.

[4]. جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض، (د ط)، 1997، ص228.

[5]. محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي . مدخل إلى اللغوية عند هاليداي، دار ملتقى الفكر، القاهرة، ط2، 2001، ص56.

لقد تولد عن هذا المبدأ النظري (تعدد النظم) مبدأ منهجيٌ استخدمه (تمام حسان) في الكشف عن المعنى، إنه ما يسميه (تضافر القرائن)*، بل إن هذا المبدأ كان مصدرا لعمل القرائن النحوية، حيث تجتمع مجموعة من الظواهر اللغوية – أو ما يسميها (القرائن النحوية) – الصوتية والصرفية والنحوية والحالية للكشف عن المعنى، و"لا يمكن لظاهرة واحدة أن تدل بمفردها على معنى بعينه"[1] إن مبدأ تعدد النظم ليس مبدأ تحليليا ولا يعني انفصال كل نظام عن الآخر. بل إن تلك "النظم المتعددة متماسكة متضافرة تتعاون جميعا في خلق هذه المنظمة الكبرى – اللغة المعينة"[2].

3-3/ المعنى وتشقيقه:

أولى (تمام حسان) دراسة المعنى أهمية كبيرة، فجعله "الموضوع الأخص لكتابه اللغة العربية معناها ومبناها"[3]، منطلقا في ذلك من مبدأ عام مفاده أن "كل دراسة لغوية لا بد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة"[4]. لكن هذه النظرة التي تولي اهتماما للمعنى تتعارض مع اللسانيات البنيوية الشكلية التي أبعدت المعنى وركزت على النظام اللغوي المجرد. وما يزيد الطين بلة أن (تمام حسان) وهو يحيل على مصادر هذا المبدأ لا يحددها بدقة، إذ يقول في هذا الصدد: "وللدراسات اللغوية الحديثة اهتمامٌ خاص بدراسة المعنى"[5]. فما المقصود بالدراسات اللغوية الحديث؟

ستصبح مهمة تحديد مصدر هذه الفكرة صعبة في غياب مؤشرات صريحة تحيل عليها، لهذا سنلجأ إلى اختزال وتقليص الدراسات اللسانية الحديثة بالاعتماد على التقسيم

[1]. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص193.

[2]. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص34.

[3]. تمام حسان، اللغة العربية معناه ومبناها، ص 09.

[4]. المرجع نفسه، ص09.

[5]. تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها، ص28.

الذي يجريه (أحمد المتوكل) على النظريات اللسانية باعتبار تصورها لوظيفة اللغة إلى مجموعتين اثنتين: "نظريات لسانية صورية ونظريات لسانية وظيفية أو تداولية"[1]. حيث يؤدي التدقيق في هذا التقسيم إلى إبعاد النظريات اللسانية الصورية لأنها تدرس اللغات كبنيات مجردة بمعزل عن السياق مقصيةً كل الظروف المحيطة بالعملية التواصلية، لتبقى أمامنا النظريات اللسانية الوظيفية التي تُخضِع اللغات في دراستها للسياق وللوظيفة التواصلية، ويندرج ضمن هذه المجموعة عدد من النظريات إلا أن أقربها إلى هذا المبدأ وإلى تمام حسان هي نظرية فيرث السياقية

يزول ذلك التعميم وتلك الضبابية مباشرة بعد إكمال قوله الذي يحدد اتجاها معينا من تلك الدراسات اللغوية الحديثة، حيث يُفهَم من قوله: "إن المعنى في نظر هذه الدراسات صدى من أصداء الاعتراف باللغة كظاهرة اجتماعية ونتيجة لتشابك العوامل المختلفة في إطار سياق الثقافة الشعبية"[2] أن النظرية السياقية الانجليزية هي الاتجاه اللساني المقصود و هي مصدر تركيزه على المعنى، وذلك لاهتمامها بالسياق والبعد الاجتماعي للغة. ويزداد وضوح الإحالة على مرجعية النظرية السياقية في الاهتمام بالمعنى في دراسة اللغة، بجعل المعنى وظيفة العناصر اللغوية في السياق وذلك من خلال مبدأ آخر سماه (تشقيق المعنى)

جعل (تمام حسان) من كتابه(اللغة العربية معناها ومبناها) تطبيقا لمبدأ تشقيق المعنى[3] وهو مبدأٌ يسنده إلى الدراسات اللغوية الحديثة دون أن يحيل على مصدره، حيث يقول: "قد دعت الحاجة المنهجية إلى تشقيق المعنى إلى ثلاثة معان فرعية. وهذا التشقيق هو ما أسهمت به الدراسات اللغوية الحديثة في محاولة الكشف عن المعنى اللغوي"[4]. والأمر ذاته يحدث في

[1]. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص08.

[2]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 23.

[3]. ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، صص 29، 43.

[4]. المرجع نفسه ، ص28، 29.

أحد مقالاته؛ إذ يحيل على اللغويين دون تصريح بهم ولا ذكر لأسمائهم وكأن هذه الفكرة مشتركة موحدة عند الجميع؛ "إن اللغويين قد شققوا المعنى إلى ما يسمى معنى الوظيفة ومعنى المعجم والمعنى الاجتماعي"[1].

يستخدم (تمام حسان) ما يسميه "الطرق التحليلية التي تقدمها فروع الدراسة اللغوية المختلفة"[2] للوصول إلى المعنى في صورته الشاملة، لهذا كان هذا المبدأ "منبنيا على تشقيق اللغة نفسها وعلى النظر إلى كل شق منها باعتباره فرعا من فروع البحث في المعنى"[3]. اتضح بعد العودة إلى المراجع التي عرضت نظرة(جون روبرت فيرث) رائد النظرية السياقية في دراسة المعنى أن ما يسميه تمام حسان (تشقيق المعنى) مبدأ مستمد من عند أستاذه فيرث، حيث إن المعنى عند هذا الأخير "مجموعة من الخصائص والمميزات اللغوية، التي لا يقوى على دراستها فرع واحد من فروع اللغة. وإن معنى أي كلمة أو عبارة لغوية يقتضي تحليلا لغويا كاملا على مستويات التحليل اللغوي، صوتيا وصرفيا ونحويا ومعجميا ودلاليا"[4]

ينطلق تشقيق المعنى عند تمام حسان من فكرة كون "المعنى مركبا من مزيج من المستويات الدلالية بعضها أصواتي وبعضها تشكيلي وبعضها صرفي والبعض نحوي أو معجمي أودلالي"[5] ، ثم اختزالها في ثلاثة معان رئيسية هي :

– المعنى الوظيفي: وتكون في معانٍ توجد في المستويات أو الأنظمة الثلاثة (الصوتي والصرفي والنحوي)، وهي" وظائف تؤديها المباني التي تشتمل عليها وتبنى منها تلك

[1]. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص330.

[2]. تمام حسان، اللغة العربية ص 340.

[3]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 42.

[4]. ينظر: كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، (د ط)، 2005، ص149

[5]. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص117.

الأنظمة"[1]، فللأصوات وظائف تؤديها في التركيب ومن ثم معان، وللصيغ الصرفية وظائف ومن ثم معان، وللأبواب النحوية وظائف ومن ثم معان.

– المعنى المعجمي: هو معنى الكلمات مفردة، أو هو "المعنى العرفي الذي أعطي للكلمات بالوضع"[2]، والمعنى في هذا الفرع ليس بوظيفة إنما هو "علاقة عرفية اعتباطية بين الكلمات ومعانيها"[3].

– المعنى الاجتماعي: معنى المقام الذي يتم استنتاجه من مجموع الظروف.

يبدو أن الغرض الثاوي وراء استخدام مبدأ تشقيق المعنى عند (تمام حسان) كان إثبات التمييز بين المستويات اللغوية بإسناد معنى لكل مستوى،ودليل ذلك أن التشقيق الذي دعا إليه يمكن أن يختزل في شقين فقط هما المعنى المقالي الذي يشمل المعنى الوظيفي بأنواعه الثلاثة (الصوتي والصرفي والنحوي)والمعنى المعجمي، والمعنى المقامي الاجتماعي، وقد أشار هو نفسه إلى هذا التقسيم المختزل في عدة مواضع[4] .

كما أن الغرض الآخر لتوظيف هذا المبدأ كان تعزيز مبدأ تظافر القرائن، فكل معنى من أنواع المعنى اللغوي أو الدلالي كما يسميه (تمام حسان)، يزود النوع الآخر وصولا إلى المعنى الدلالي، فالمعنى الوظيفي يزود المعنى المعجمي بمجموعة من المعلومات كالتحديد الصرفي والتهجية. وهما معا يشكلان معنى المقال الذي يبقى في حاجة إلى المقام والمعنى الاجتماعي ليزيل ما يحمله من تعدد واحتمال.

3-4/ السياق:

[1]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص39.

[2]. تمام حسان، مقالات في اللغة، ج1، ص334.

[3]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص341

[4]. ينظر: المرجع نفسه، ص 41، 339.

ارتكز (تمام حسان) في دراسته للغة أيضا على مفهوم السياق Context، ويقصد به: "توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب، وتوالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي"[1]، وهو بهذا يشمل السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي. وهذا المدلول للسياق يجعله نتيجة من نتائج الكلام خلافا للنظام الذي هو جزء من اللغة[2].

استخدم (تمام حسان) هذا المبدأ في الكشف عن المعنى اللغوي الدلالي في كتابه (اللغة العربية معناها ومناها)، وجعله يتحرك في مسار مواز لمسار اشتغال مبدأ تشقيق المعنى حيث إن السياق اللغوي مسؤول عن تحديد المعنى المقالي الذي يشمل المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي، ويتكفل السياق غير اللغوي أو (المقام) بتحديد المعنى الاجتماعي. وقد قسّم (تمام حسان) القرائن النحوية بناءً على هذين النوعين من السياق، حيث يشكل السياق اللغوي مصدرا للقرائن اللفظية والمعنوية معا (القرائن المقالية)، ويشكل المقام مصدر للقرائن الحالية .

إن مفهوم السياق على هذا الوضع ليس من بنات أفكار (تمام حسان)، بل إن مرجعية النظرية السياقية واضحة فيه، حيث إن (فيرث) كان يصرُّ على هذا المبدأ، فالكلام عنده "ليس ضربا من الضوضاء يلقى في فراغ، وأن مدار فهمه والقدرة على تحليله إنما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي معين "[3]. وقد كان تأثير النظرة الاجتماعية للغة "سببا في اعتبار المقال عنصرا واحدا من عناصر الدلالة لا يكشف إلا عن جزء من المعنى الدلالي وينقصه أن يستعين بالمقام الاجتماعي الذي ورد فيه المقال"[4]

لم يتوقف استخدم مفهوم السياق عند تمام حسان لتحديد المعنى فقط. بل استخدِم أيضا "لحل مشاكل التطبيق التي يخرج فيها الكلام عن مطالب النظام والاطراد، وتكون في

[1]. ينظر:تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج2، ص65.

[2]ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص262، 263.

[3]. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص154.

[4]. تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها، ص28.

مجموعة من الظواهر الصوتية كالإعلال والإبدال والوقف، وهي التي يسمها (الظواهر الموقعية أو السياقية)[1]. كما كان لهذا المبدأ أيضا دورٌ في تحديد دلالة الزمن والتمييز بين الزمن الصرفي والزمن النحوي؛ ذلك أن الزمن الصرفي "هو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق أما الزمن النحوي فهو وظيفة في السياق يؤديها الفعل أو الصفة أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم كالمصادر والخوالف"[2]

4 / اللغة الواصفة للخطاب اللساني في أعمال تمام حسان: استخدم تمام حسان في عرض الأطر العامة لنظريته جملة من الوسائل التي تشكل لغة واصفة للخطاب اللساني عنده ومن ذلك المصطلح والوسائل الإيضاحية من جداول ومشجرات وأمثلة وصور تمثيلية.

4 – 1/ المصطلح اللساني عند تمام حسان:

حفلت أعمال تمام حسان بعدد لا يستهان به من المصطلحات الأساسية والأولية في الدراسة اللسانية، خاصة في كتابيه (مناهج البحث في اللغة) و(اللغة العربية معناها ومبناها) وترجمته لكتاب (النص والخطاب والإجراء)، إذ اجتهد في وضع وترجمة الكثير من المصطلحات اللسانية. وقبل الحديث عن مدى دقة وصلاحية تلك المصطلحات لا بد من الإشارة إلى أن تمام حسان كان بالموازاةمع عمله هذا كان لديه اهتمامٌ بالبحث المصطلحي بشكل عام، إذ نجد له إشارات اصطلاحية تمتد لصفحات في كتابه اللغة بين الوصفية والمعيارية[3]، وله أيضا ثلاث مقالات متخصصة في هذا المجال[4]:

- وضع المصطلح العربي في النحو والصرف
- المصطلح النقدي بين العرفية والارتجال

---

[1]. المرجع نفسه، ص262.

[2]. ينظر: المرجع نفسه، ص248.

[3]. ينظر: تمام حسان، اللغة بين الوصفية والمعيارية، ص157.154

[4]– تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب،ج2، ص101 .181.

- المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة

كما أن متابعته للمصطلحات الصوتية عند سيبويه في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها[1] تندرج ضمن هذا الاهتمام.

لكن هذا الوعي الاصطلاحي لم يكن خيرا كله، فمنهجية (تمام حسان) في وضع وترجمة المصطلح اللساني لم تخلُ من بعض الإشكالات التي تعيق تلقيَ أعماله، ومن تلك الإشكالات ما يلي:

- **تعدد الترجمات لمصطلح واحد:** لم يثبت (تمام حسان) في ترجمته لبعض المصطلحات على مصطلح واحد، فقد كان يذكر في كتاب من كتبه مصطلحا ثم يعدل عنه ويستبدله بآخر في كتاب ثانٍ. يمكن عد هذا الأسلوب صورة أخرى من صور التردد والتعديل والاضطراب التي عرفها الخطاب اللساني عند تمام حسان. ومن تلك المصطلحات المقابل العربي لمصطلح الفونولوجيا؛ إذ وضع له مصطلح علم التشكيل الصوتي[2] في كتابه مناهج البحث في اللغة، ومصطلحعلم الصوتيات[3] في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها. واستخدم مصطلح الماجريات[4] مقابلا عربيا للمصطلح الأجنبي Of SituationContext في كتابيه (مناهج البحث في اللغة) و(اللغة بين المعيارية والوصفية) ، ومصطلح المقام[5] في كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها). واستخدم مصطلحي العلاقات الجدولية والسياقية[6] في كتابه (مناهج

[1]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص60. 63.

[2]. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص111.

[3]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص65.

[4]. ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص251/ وتمام حسان اللغة بين المعيارية والوصفية، ص90.

[5]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص20.

[6]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص195.

البحث في اللغة)، ومصصطلحي العلاقات التتابعية والاستبدالية[1] في ترجمته لكتاب (النص والخطاب والإجراء).

- **المزاوجة بين الترجمة والتعريب:** امتدت ميزة التردد لتشمل توظيف بعض المصطلحات مترجمة في مواضع ومعرّبة في أخرى، مثل استخدامه مصطلحي السينتاجماتية البراديغماتية معربين ومترجمين(سياقية وجدولية) في موضع واحد[2].واستخدامه مصطلح الفونيم معربا في بضعة مواضع من كتابه (مناهج البحث في اللغة)[3]،ومترجما (الحرف) في كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها). واستخدام المصطلحين الدالين على فرعي الدراسة الصوتية معربين(الفونولوجيا والفونيتيك) ومترجمين (علم الأصوات والصوتيات أو علم التشكيل الصوتي) في موضع واحد[4].

- **استخدام مصطلحات عربية تراثية كمقابلات لمصطلحات أجنبية** ، مثل استخدامه مصطلح الحرف مقابلا للمصطلح Phoneme[5]، ومصطلح المقام مقابلا للمصطلح الأجنبي Context Of Situation ومصطلح المقال مقابلا للمصطلح الأجنبي Speech event، ومصطلح التّضام مقابلا للمصطلح الأجنبي Collocation[6]. وتتجلى خطورة توظيف مثل هذه المصطلحات التراثية في انفصال المصطلحات التراثية عن مقابلاتها الأجنبية واستعمالهما بشكل مزدوج، من ذلك مثلا أن (تمام حسان) يستعمل مصطلح الحرف عندما يريد وصف أصوات اللغة العربية ومصطلح الفونيم عندما يتحدث عن نظريات هذا المفهوم في كتاب واحد[7].

---

[1]. ينظر: روبرت دي بو جراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص10.

[2]ينظر: تمام حسان مناهج البحث في اللغة، ص195.

[3]. ينظر: المرجع نفسه، ص125 – 131.

[4]. بنظر: المرجع نفسه، صص59، 111.

[5]. تماما حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص57 ، 78.

[6]. المرجع نفسه، ص20.

[7]. ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص114 . 131.

- **عدم ضبط عدد من المصطلحات الحديثة بمقابلاتها الأجنبية:** لم يثبت (تمام حسان) على منهج واحد في التعامل مع المصطلح اللساني، فهو يضبط المصطلحات العربية بمقابلاتها الأجنبية أو العكس، وفي مرات أخرى لا يفعل ذلك ويكتفى بالتعريف وتحديد الجانب المفهومي،وذلك مثل مصطلحات المقطع،والنبر،والتنغيم[1].ومن شأن هذا الأسلوب أن يوهم القارئ المبتدئ أن هذه المصطلحات عربية أصيلة.
- **الجمع بين مصطلحات متعددة ومتنوعة من مصادر لسانية مختلفة:** انسحب تنوع وتعدد المصادر اللسانية في أعمال (تمام حسان) على مصطلحاته، فقد جاءت متنوعة متعددة من اتجاهات لسانية مختلفة، منها ما ينتمي إلى المدرسة السياقية الانجليزية ومنها ما ينتمي إلى حلقة براغ ومنها ما ينتمي إلى اللسانيات الأمريكية، ومنها ما ينتمي إلى النظرية التوليدية التحويلية[2]. قد يبدو هذا التنوع صفة إيجابية لكنه يتحول إلى عكس ذلك عندما يتم الجمع بين مصطلحات مختلفة، كما حدث عند تمام حسان في استخدامه المصطلحالتوليدي (قيود التوارد أو الانتقاء Selection restrictions) جزءا أو تفريعا لمصطلح التضامCollocationالسياقي.

4 – 2/ الوسائل الإيضاحية:

استعمل (تمام حسان) جملة من الوسائل الإيضاحية التي تساعده على تقريب وتيسير أفكاره للمتلقي، والحديث عن توظيف هذه الوسائل الإيضاحية في الخطاب اللساني عند (تمام حسان) جعل هذه الدراسة تنطلق من موقفٍ لعزالدين المجدوب يرى فيه أن "اللسانيات لم تكن المرجع النظري المؤثر ولا الفاعل. إن المرجع الفاعل في تفكير تمام حسان

[1]. بنظر: المرجع نفسه، ص 138، 160، 164/ وتمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص69، 170، 304، 308.

[2]. ينظر: عبدالرحمان حسن عارف، المصطلح النحوي عند تمام حسان، مجلة علوم اللغة، دار غريب ، القاهرة، مج 10، عدد01، 2007، ص36.

عند نقده للتراث، هو صاحب إحياء النحو ومن تبعه واقتدى به"[1]. وهو مصدر عربي يجمع بين ما هو لساني وما هو عربي غايته التيسير، حيث إن "تمام حسان كان مواصلة لمدرسة التيسير وتثبيتا لغاياتها أكثر مما كان قطعا معها وانتسابا للسانيات عند نقد التراث النحوي"[2].

إن هذا المصدر العربي التيسيري لا يختلف كثيرا عن مصادر (تمام حسان) اللسانية، فهو أقل حضور وأكثر إضمارا، وقد حاولت أن أثبت ما ذهب إليه (عزالدين المجدوب) من خلال الإشارة إلى الوسائل الإيضاحية التي استخدمها تمام حسان.

4 –1/ الجداول والمشجرات:

تميل اللغة التي قدّم بها تمام حسان أعماله إلى البساطة والوضوح، لأن صاحبها قد "لجأ إلى نوع جديد من عرض حقائق النحو عن طريق الأشكال الإيضاحية"[3]، من قبيل الجداول والمشجرات.يكثر هذا النوع من الوسائل الإيضاحية في كتب تمام حسان، ويعدُّ كتاب(الخلاصة النحوية) أكثرَ تلك الأعمال توظيفا لتلك الأشكال؛ إذ لخص الأبواب النحوية والصرفية في جداول ومشجرات،"وليس أدعى للإحاطة بالقاعدة من أن تراها ماثلة أمامك في صورة جدول تتضح به علاقات الأنماط"[4]. وربما كانت دعوته إلى "صلاحية نظريته لبناء متونٍ في النحو عليها، وأنها أصلح من غيرها مما سبق: سواء النحو العربي التقليدي، أو الأفكار الغربية المستوردة"[5] أكبرَ دليل على هذا التوجه التعليمي التيسيري. وفي

[1]. عزالدين المجدوب، المنوال النحوي، ص43.

[2]. المرجع نفسه، ص43.

[3]. تمام حسان، الخلاصة النحوية، ص 09.

[4]. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص116.

[5]. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب ، ج1، ص81

كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) توظيف أيضا لتلك الأشكال الإيضاحية، حيث حوى حوالي خمسة وأربعسن شكلا إيضاحيا بين جدول ومشجر وهو رقم لا يستهان به.

4 – 2/ الشواهد والأمثلة:

عُدَّت الشواهد اللغوية مادةً أساسية في التقعيد استخدمها النحاة في تعزيز مواقفهم ووثقوها في مؤلفاتهم النحوية. واستخدمها المعلمون قديما وحديثا لتقريب مادتهم العلمية إلى المتعلمين. لكن طبيعة هذا الشاهد ووظيفته تختلف من فئة لأخرى؛ "فالشاهد يُساق للمتخصص الذي يتطلب الدليل على صحة القاعدة، أما المثال ـ ويكون من صياغة واضع الكتاب ـ فهو أحد وسائل الإيضاح لا أكثر"[1].

تتفاوت أعمال (تمام حسان) في استخدام هذه الوسيلة الإيضاحية، ففي كتاب (مناهج البحث في اللغة) لم يلتزم منهجا معينا، إذ " أمثلته من الفصحى حينا ومن العاميات حينا ومن لغات أجنبية حينا ثالثا"[2]، في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) زاوج بين الشواهد والأمثلة، فيما خلا كتابه (الخلاصة النحوية) من الشواهد إلا في أضيق الحدود. وإذا طرحنا الشواهد جانبا لأن أغلبها كان قرآنيا، مع توظيف عدد قليل من الشواهد الشعرية، فإن توظيف الأمثلة مختلفٌ، إذ تميز بـ:

- **استخدام أمثلة بسيطة واضحة**: أكثر أمثلةِ تمام حسان بسيطةٌ واضحة، "اشتملت على لفظ (زيد) و(عمرو) في معظم الحالات، موازيا لما في علوم الرياضيات من رمزي (س) و(ص) فالمهم هو المثال أما أناقة العبارة فتُلتمَسُ في الشواهد لا في الأمثلة"[3]. وتظهر تلك البساطة

[1]. المرجع نفسه، ج1، ص106.

[2]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص07.

[3]. تمام حسان، الخلاصة النحوية، ص09.

والوضوح في عدة مواضع من كتاب اللغة العربية معناها ومبناها، جمعنا جزءا منها في الجدول الآتي:

المثال	الاستخدام	الصفحة
قِفا	العلامات المنطوقة والمكتوبة (الألف)	180
قام زيد	العلامات المنطوقة والمكتوبة (خصوص اللفظ زيد)	180
ما أحسنَ زيدا	العلامات المنطوقة والمكتوبة (خصوص اللفظ ما)	180
ضربَ زيدُ عمرا	تضافر القرائن في إعراب الجملة	181، 186، 192
ضَربَ زيد عمرا/ يضرب / زيد يضرب عمرا/ زيد ضرب/ زيد ضارب عمرا/ أضارب زيد عمرا/ فليضرب زيدا عمرا/ اضرب عمرا/ ضربا عمرا	قرينة التخصيص	195
ضرب زيد عمرا	قرينة التعدية	195
أتيت رغبة في لقائك، كي ألقاك، لقائك...	قرينة الغائية	195
أنا آت رغبة في لقائك/ أنا آتي رغبة في لقائك، سآتي رغبة في لقائك، أ آت أنا رغبة في لقائك...	قرينة الغائية	196
لا تأكلْ السمك وتشربَ اللبن	قرينة المعية	196
صحوت إذ تطلع الشمس/ أصحو متى	قرينة الظرفية	197

تطلع الشمس/ صحوت وقت طلوع الشمس...		
جاء زيد راكبا/ جاء زيد وهو يركب	قرينة الملابسة	198
طاب محمد نفسا/ زرعت الأرض شجرا/ اشتريت مترين حريرا	قرينة التفسير	199
جاء القوم إلا زيدا	قرينة الاخراج	199
نحن العربُ نكرم الضيف ـــ نحن العربَ نكرم الضيف	قرينة المخالفة	200
جلس زيد على الكرسي	التعلق في حروف الجر	202
ضَربَ زيد عمرا/ ضَربَ موسى عيسى/ أخي صديقي	قرينة الرتبة	209 /208
هذا الذي أعرفه	عود مباشر للضمير العائد	
هذا الذي أعرف رجلا يعرفه	عود سببي للضمير العائد	215
الذي يبكي فيضحك الناس منه هو الممثل	عود عطفي للضمير	
هذا الذي قام	استتار الضمير العائد	
إنْ رجلا منهم كلّمك فكلِّمه	الربط بالفاء الواقعة في جواب الشرط	
الشرق شرق والغرب غرب لا يلتقيان	الربط بإعادة اللفظ	216
بيت شعري من وضع المؤلف: يهيم بهند وهند...	الربط بإعادة اللفظ	
شعاري لا إله إلا الله/ ديدني لا نجاح بلا تعب/ محمد شفيعي نبي الله	الربط بإعادة معنى اللفظ	216
زيد نعم الرجل/ أعطيت سائلا فما قنع السائل	الربط بالعهد الذكري	216

زيد رأيته/ يا زيد بشراك/ نحن العربَ نكرم الضيف	عود الضمير وحالاته (الغائب) والمخاطب في النداء والمتكلم في التخصيص	216
صليت بالجامع	حذف الموصوف (التضام)	218
ما هذا الذي صنعت	حذف الضمير العائد (التضام)	218
زيدا ظننت قائما	حذف العائد (التضام	219

تعرَّض (تمام حسان) لنقد شديد لاستخدامه هذه الأمثلة البسيطة من طرف بعض الدارسين، لأن "التحليل النحوي ينحصر ميدانه في التعبيرين الأدبي والعلمي، أي الكلام الذي فيه مقاصد إبداعية أو معلومات دقيقة ويفضي إلى مستويات معقدة، أما الأقوال اليومية العابرة فهي غنية عن هذه العمليات لما تبنى عليه من البساطة أو العامية الهجينة"[1]

- **استخدام أمثلة هرائية:** تميز (تمام حسان) أيضا باستخدام عدد من الجمل التي أطلق عليها جملا هرائية، وهي جمل احترم فيها المعنى الوظيفي (الصوتي الصرفي النحوي) لكنها كانت خالية من المعنى المعجمي والاجتماعي. وذلك مثل:

– حنكف المستعص بسقاحته في الكمظفعنَّذ التّران تعنيذاخسيلا فلما اصطقفّ التران وتحنكف شقله المستعصّ بحشله فانحكز سُحَيلا سُحيلا حتى خزب.[2]

– حنكف المحنكف بسقاحته في الكمظ، فحزب الخسيل حزبا فليضا.[3]

– سقحت حوكفة المسدوق على مراصنه[4]

– بيت شعري من وضع تمام حسان:

[1]. ينظر: فخرالدين قباوة، التحليل النحوي – أصوله وأدلته، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط1، 2002، ص14، 15، 113

[2]. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص192.

[3]. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص61.

[4]. تمام حسان، المرجع نفسه، ج1، ص135.

قَاصَ التَّجينُ شِحالَه بتَريسِه ال فاخِي فلم يستفِ بطاسِية البَرَن[1]

إن الغاية من استخدام (تمام حسان) لهذه الجمل غايةٌ تيسيرية، فالاستدلال على إمكانية إعراب هذه الجمل سيكون له أثر في "التخفيف من ذلك الإحساس بصعوبة الإعراب وفهم العلاقات السياقية بين مكونات الجمل"[2]، إذ يرى أنه "إذا اتضح المعنى الوظيفي أمكن إعراب الجملة دون حاجة إلى المعجم أو المقام وذلك لأن وضوح المعنى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي) هو الثمرة الطبيعية لنجاح التعليق"[3]. وقد ترتب على هذا التصور إجراء تعديل لقول النحاة (الإعراب فرع المعنى) لتصبح بعد تقييد المعنى "الإعراب فرع المعنى الوظيفي"[4]وليس فرع المعنى الدلالي الذي يشمل المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي والمعنى المقامي الاجتماعي.

كما استخدم (تمام حسان) جملة أخرى تتفق مع الجمل السابقة في كونها جملة هرائية لأنها رُكِّبَت تركيبا عشوائيا، وتختلف عن الجمل الأولى في كون كلماتها تحمل معان معجمية بالإضافة إلى المعاني الوظيفية؛ فالجملة"قرأ الحجر دم النخلة"[5] جملةٌ احتُرِمت فيها قواعد اللغة العربية الصوتية والصرفية والنحوية ولكلماتها معاني معجمية، لكنها تفتقر إلى ما يسميه تمام حسان المناسبة المعجمية بين عناصر الجملة؛ حيث إن هناك "مفارقة معجمية بين (قرأ) و(الحجر) وبين (قرأ) و(الدم) وبين (الدم) و(النخلة). فلا الحجر يقرأ ولا هو يقرأ الدم ولا الدم مما يخضع للقراءة ولا النخلة من ذوات الدماء"[6].

---

[1]. تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها، ص 183.

[2]. ينظر: المرجع نفسه، ص 182.

[3]. المركع نفسه، ص182.

[4]. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص135، 136.

[5]. تمام حسان، الخلاصة النحوية، ص 81.

[6]. تمام حسان، الخلاصة النحوية ، ص81.

وتوظيف هذه الجمل الهرائية يشبه إلى حد بعيد مثال (نعوم تشومسكي) "الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة"[1]، فهذه الجملة حسب (تشومسكي) نحويةٌ Gramaticalité رغم أنه لا معنى لها، وذلك لأنها احترمت قواعد اللغة العربية التركيبية وقد حذا هذا المثال وغيره بتشومسكي في نموذجه الأول (البنى النحوية 1957) إلى التمييز بين مفهوم النحوية الذي يتعلق بالقواعد الصوتية والصرفية والتركيبية للغة ومفهوم الصحة الدلالية Sémanticté التي هي الحكم على كلام معين بأنه صادق أو كاذب[2].

ودليل هذا التشابه أن إحدى جمل (تمام حسان) الهرائية قد وُظِّفت في إحدى الكتابات التوليدية العربية التي عرضت لمفهوم النحوية، فجملة (حنكف المحنكف بسقاحته في الكمظ، فحزب الخسيل حزبا فليضا) نحويةٌ، لأنها "تسير وفق قواعد تركيب الجملة في اللغة العربية، فهي تتضمن فعلين (حنكف/ حززب) وفاعلين (المحنكف/الخسيل) وصفة (فليضا) ومركبين حرفيين (بسقاحته/ في الكمظ) وهكذا"[3].

3 –3/ **أسلوب التمثيل**: استعان تمام حسان بأسلوب التمثيل في عرض نظريته ، حيث كان يمثِّل ويشبّه اللغة أو أحد مفاهيمها بأشياء أخرى مادية، لتقريب تلك المفاهيم إلى متلقي خطابه اللساني. وقد جمعنا بعض المواضع التي وقع فيها هذا الأسلوب في الجدول الآتي:

المثال	المفهوم اللساني	الموضع
الجهاز العضوي للكائن الحي	طريقة عمل النظام وتكامل	اللغة العربية معناها

[1]. نوم تشومسكي، البنى النحوية، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987، ص19.
[2]. ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص39.
[3]. المرجع نفسه، ص33.

	الأنظمة اللغوية الفرعية	ومبناها/ ص 40
وصف حادث مرور من خلال التفريق بين حيثيات الحادث وإدخال قواعد المرور في وصف الحادث.	التفريق بين الملاحظة الحسية للأصوات والتقعيد لها/ التفريق بين علم الأصوات وعلم الصوتيات	اللغة العربية معناها ومبناها/ص47
الفرق بين الطالب والصف	الفرق بين الحرف والصوت	اللغة العربية معناها ومبناها/ ص74
الفرق بين نظام المرور ومشكلة من مشاكل تطبيقه كأن يكون الممر مشغولا	الفرق بين مطالب النظام ومشاكل التطبيق أو السياق	اللغة العربية معناها ومبناها/ص262
لعبة الشطرنج	النظام اللغوي بعلاقاته وكلماته	اللغة العربية معناها ومبناها/ ص315، 316
نغمات السمفونية	أصوات اللغة	اللغة بين المعيارية والوصفية/ ص115، 116
نظام الحكم في الدولة وما يتفرع عنه من	النظام اللغوي وما يتفرع عنه من أنظمة أصغر	مقالات في اللغة والأدب/ ج2، ص87
الفرق بين السيمفونية والعازف	الفرق بين اللغة والمتكلم	مناهج البحث في اللغة/ ص35

يتشابه هذا الأسلوب عند تمام حسان مع أسلوب دي سوسير في محاضراته، بل إن تمام حسان يستعمل بعض الصور التمثيلية التي استعملها دي سوسير مثل لعبة الشطرنج والسيمفونية. ويزداد التشابه بينهما أكثر عندما نعلم أن دي سوسير قد استخدم هذا الأسلوب التمثيلي في محاضراته لغرض تعليمي أيضا؛ "فقد فاه بتلك الصورِ مدفوعا بحيرة

بيداغوجية وهو يلقي دروسه على مدارج جامعة جنيف، ومدفوعا بوازع التيسير والاستدراج نحو تصورات ماكانت مستساغة في تلك المرحلة من تاريخ المعارف اللغوية"[1]

[1]. عبدالسلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص69.

الفصل الثالث:

تلقي الأسس المنهجية للسانيات في أعمال تمام حسان

1/الدراسة الوصفية للغة عند تمام حسان:

بدأ الحس المنهجي مبكرا في كتابات تمام حسان، وربما كان عنوانُ مقدمةِ كتابه مناهج البحث في اللغة (الحاجةُ إلى منهج للغة) أكبر دليلٍ على هذا الحس، إذ دعا إلى"بناء الدراسات اللغوية على منهج له فلسفته وتجاربه إرضاءً للروح العلمية الخالصة من جهة وتوفيرا لجهود عشاق اللغة من جهة أخرى"[1]. كما يدل هذا العنوان أيضا على عدم رضا تمام حسان عن المناهج التقليدية، خاصة منهج النحو العربي.

وقد سمحت فترة ابتعاث تمام حسان إلى انجلترا ومكوثه بجامعة لندن بين سنوات (1946 . 1952) من الاطلاع على اللسانيات ومبادئها، وبدا له حينها أن المنهج الوصفي مناسبٌ ليكون خلفية يتبعها في إنجازه لبحثين ذوي منحى لساني حاز بهما على شهادتي الماجستير والدكتوراه؛ الأول "دراسة صوتية للهجة الكرنك في صعيد مصر"، والثاني "دراسة صوتية وفونولوجية للهجة عدن في جنوب بلاد العرب". وبعد عودته إلى مصر انشغل بتقديم وعرض المنهج الوصفي في دراسة اللغة من خلال التدريس والتأليف، حيث"يتكامل كتاباه (مناهج البحث في اللغة) و(اللغة بين الوصفية والمعيارية) في تناول الأصول المنهجية والمبادئ النظرية للوصفية"[2].

لاقى تمام حسان وغيره من الوصفيين العرب معارضة شديدة لأفكارهم الجديدة في دراسة اللغة في الجامعات المصرية وبين أوساط اللغويين، فقد كان "الاتجاه العام بين أساتذة كلية دار العلوم بالقاهرة في ذلك الحين هو إلى التشكيك في قيمة الدراسات اللغوية الحديثة ولا سيما عند تطبيق منهجها على دراسة اللغة الفصحى، وكان هؤلاء يرون المنهج الوصفي إن صادف أي قدر من القبول في نفوسهم فما كان لهذا أن يتعدى تطبيق هذا المنهج على

[1]. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص04.

[2]. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص199.

اللهجات العامية"[1]. أدت تلك المعارضة إلى تأخير تطبيق المنهج الوصفي اللساني، حيث "آثر تمام حسان الابتعاد بأفكار المنهج الوصفي عن طلبة السنوات الأربع التي تنتهي بالدرجة الجامعية الأولى"[2]، وأبقى على وجودها بالنسبة لطلبة الدراسات العليا.

وفي بداية السبعينات عرف الخطاب اللساني عند تمام حسان تحولا من مجرد تقديم وعرض اللسانيات الوصفية في الثقافة العربية والتعريف بمبادئها إلى تبني وتطبيق المنهج اللساني الوصفي على اللغة العربية وتراثها لاقتناعه بجدواه في الدراسة والتحليل. اتخذ تمام حسان من هذا المنهج مصدرا ونموذجا يقيِّم وينقدُ على ضوءه التراث اللغوي العربي. حيث أورد ذلك في مقدمة كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) بقوله: "والغاية التي أسعى وراءها بهذا البحث أن ألقي ضوءا جديدا كاشفا على التراث اللغوي العربي كله منبعثا من المنهج الوصفي في دراسة اللغة"[3]. بل إن مظاهر تبني المنهج الوصفي بلغت مرتبة مبالغا فيها فقد ورد عن تمام حسان أنه "لم يقبل الإشراف عن طالب من طلبة الدراسات العليا لا يتناول فكرة منهجية نقدية ترمي إلى تطعيم أفكار النحاة القدماء بأفكار المنهج الوصفي الحديث"[4].

لقد شكّل المنهج الوصفي خيارا منهجيا لدى تمام حسان في دراسته اللغوية بالنظر إلى خصائصه ومردوديته المنهجية، فهو منهج يتميز على رأي تمام حسان بـ:

- موضوعيته: فالمنهج الوصفي كما يرى تمام حسان يضمن للدراسة الموضوعية التامة[5]
- جديته وإنتاجيته[6]

[1]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص07.
[2]. المرجع نفسه، ص 08.
[3]. المرجع نفسه، ص10.
[4]. المرجع نفسه، ص 08.
[5]. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص31.
[6]. المرجع نفسه، ، ص23.

– مناسبته للطابع العضوي للغة: فاللغة عند تمام حسان "موضوع من موضوعات الوصف كالتشريح لا مجموعة من القواعد كالقانون[1].

– مناسبته للطابع الاجتماعي للغة: "فإذا كان كل نشاط اجتماعي تتم دراسته عن طريق الملاحظة والوصف، فلاشك أن اللغة وهي نشاط اجتماعي أن تدرس كذلك بالملاحظة والوصف"[2]

وبناء على هذه الخصائص اتخذ تمام حسان من الوصف منهجا لدراسة اللغة العربية لسانيا ووسيلةٌ لقراءة التراث اللغوي بالوقوف على مواطن النقص والقصور فيه ومعالجتها. لكن هذا الخيار المنهجي لم يكن متاحا بحُرية مطلقة، فقد يكون تمام حسان – ومعه أقرانه من جيل الرواد في مصر – مدُفوعا إليه دفعا في ظل "انغلاق البداية على اتجاه بعينه هو مدرسة لندن اللسانية"[3]، حيث لم تكن أمام تمام حسان بدائل منهجية أخرى ينحو إليها ليجد نفسه محصورا في المنهج الوصفي ممثلا في مدرسة لندن وجهود أستاذها فيرث، ويعود هذا الانغلاق لأسباب نذكر منها:

- **حداثة المنهج الوصفي**: ويتجسد ذلك في الإشادة بهذا المنهج، بل والمبالغة في ذلك حيث يقول: "إن المنهج الوصفي هو جوهر الدراسات اللغوية في العصر الحاضر"[4]. ويقول أيضا: " المنهج الوصفي أساس الدراسات اللغوية"[5].
- **تقدم فترة الابتعاث تاريخيا على النظريات اللسانية الكبرى كالتوليدية والتداولية:** فالتوليدية التحويلية كان أول ظهور لها سنة 1957 والتداولية في النصف الثاني من القرن العشرين.

[1] . تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص24.
[2] . المرجع نفسه، ، ص22، 23.
[3]. سعد مصلوح،في اللسانيات العربية المعاصرة، ص21.
[4]. تمام حسان، اللغة العربية بين الوصفية والمعيارية، ص32..
[5]. المرجع نفسه، ص28.

- **عدم توفر فرص الاطلاع وتأخرها**، إذ صرَّح تمام حسان في إحدى مقالاته بأن "اسم تشومسكي لم يكن قد طرق سمعه قبل ظهور كتابه اللغة العربية معناها ومبناها في عام 1973، ولم يقرأ له إلا في أثناء إقامته بالمغرب"[1] التي كانت بين سنوات (1973 . 1979).

1 . 1/ تعريف الدراسة الوصفية للغة عند تمام حسان:

شكَّل كتابا تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) و(اللغة بين المعيارية والوصفية) نواةً انطلق منها في دراساته اللاحقة، وقد استوعب في هذين الكتابين جملة من خصائص الدراسة الوصفية، كما حاول أن يتمثَّل جملة من الأسس المنهجية لهذا النوع من الدراسة وهو يصف اللغة العربية ويقرأ التراث اللغوي العربي. ويمكن الوقوف على هذه الأمور في تحديده للدراسة الوصفية وخطواتها وأدواتها الإجرائية

يُعرِّف تمام حسان الدراسة الوصفية للغة على أنّها "نوع من الدراسة اللغوية يعمد إلى اللغة فيتخذها مادة للملاحظة، والاستقراء، والوصف، ويجعل نواحي الشركة فيما وقع عليه الاستقراء قواعد، لا ينظر إليها باعتبارها معايير يجب اتباعها وإنما تُفهَم باعتبارها تعبيرات عن الوظائف اللغوية التي تؤديها الوحدات اللغوية التي وقع عليها الاستقراء، سواءً كانت هذه الوحدات صوتية، أم صرفية، أم نحوية، أم معجمية"[2]. لامس هذا التعريف جوهر الوصف اللساني من خلال اتباعه مجموعة من الخطوات، بدءا بالملاحظة والاستقراء ووصولا إلى القاعدة، فالوصف عند تمام حسان يتم بإتباع أربع خطوات متتالية هي الاستقراء والتقسيم والتجريد والتقعيد[3]. وتتناسق هذه الخطوات من أجل تحقيق هدف الوصف اللساني المتمثل

[1]. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص79.
[2]. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص30، 31.
[3]. ينظر: المرجع نفسه، ص149.

في "تنظيم المعطيات اللغوية المتوافرة برد الجوانب اللغوية التي تبدو متغيرة ومتباينة إلى ما يماثلها من عناصر أولية ثابتة"[1].

لقد وافق تعريف الوصفية عند تمام حسان ما هو معمول به لسانيا، وذلك لأنها تشكِّل عملية ضبط النواحي المشتركة في اللغة العمليةَ الأساسية في الوصف اللساني، حيث يمكّن الوصولُ إليها من الوصولِ إلى القاعدة، فهي تمثل "الاطرادات والمماثلة القائمة بين الظواهر اللغوية المدروسة والتي تظهر في شكل مظاهر عامة مكررة ومعادة"[2]. وقد عبّر تمام حسان عن ذلك بقوله إن "الدراسة الوصفية تتخذ النواحي المشتركة بين المفردات الداخلة في هذا الاستقراء وتسميها قواعد. والقاعدة في الدراسة الوصفية ليست معيارا، وإنما هي جهة اشتراك بين حالات الاستعمال الفعلية"[3].

ولا يتوقف تمام حسان عند حدِّ الخطوات الواجب اتباعها لوصف اللغة، بل نراه يضيف شروطا أخرى، "فالدراسة الوصفية تختار مرحلة بعينها، من لغة بعينها، لتصفها وصفا استقرائيا"[4] . وقد أدى به هذان الشرطان بالذات إلى نقد النحو العربي من جانبين[5]:

- اشتمال دراستهم للغة العربية على مراحل متعاقبة تقارب ثلاثة قرون، تبدأ من حوالي مئة وخمسين عاما قبل الإسلام وتنتهي بانتهاء عصر الاحتجاج.
- عمدهم إلى لهجات متعددة من نفس اللغة فيخلطون بينها، ومحاولة إيجاد نحو عام لها جميعا.

لا شك أن المحددات السابقة للوصف اللساني حديثةٌ حداثة اللسانيات، لكن قيام الدراسات اللغوية عند القدامى على بعض المحددات السابقة كالاستقراء والملاحظة جعلت

[1] . ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، ص105

[2] . ينظر: المرجع نفسه، ص105

[3] . تمام حسان، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية ، ص24.

[4] . المرجع نفسه، ص24.

[5] . المرجع نفسه، ص32.

البعض ينعت عملهم بالوصف، وتمام حسان واحد من هؤلاء، حيث يرى أن الدراسة الوصفية أقدم فروع الدراسة اللغوية وخير ما أنتجه أئمة اللغة في العالم القديم، ويمثِّل لذلك بدراسة اللغة السنسكريتية عند الهنود[1]، ويستثني ما أنجزه علماء العرب وينعته بالمعيارية، رغم اعترافه بأن دراسة اللغة العربية عند النحاة الأوائل كانت محاولة جدية لإنشاء منهج وصفي لقيامها على جمع اللغة وروايتها، ثم ملاحظة المادة المجموعة، واستقرائها، والخروج بعد ذلك بنتائج (قواعد)[2].

انتبه (عزالدين المجدوب) لهذا الاستثناء بنوع من الاستغراب، إذ يرى أن المعيارية التي نُعِت بها العرب والإغريق تنسحب أيضا على الهنود؛ لأنهم وضعوا نحوهم لحماية كتاب الفيدا من اللحن واقتصروا في نشاطهم اللغوي على لسان كتابهم المقدس، ولم يفكروا في دراسة غيره[3]. يبدو أن تمام حسان في موقفه هذا كان مناقضا للمعطيات التاريخية التي أثبتتها الغايات الدينية المعيارية للدراسة اللغوية عند الهنود، وهي معطيات يتفق عليها أغلب الدارسين والمؤرخين للفكر اللغوي القديم. لهذا، يمكن عدُّ موقف تمام حسان هذا موقفا مستعارا، لأنه يتبنى موقف من قفز على الدرس اللغوي العربي القديم، ولم يعطه مكانته ضمن تاريخ الفكر اللغوي البشري عن عمد أو عن غير عمد، ويصبح هذا الموقف أكثر وضوحا عندما نجد تمام حسان يستشهد على موقفه هذا بنص للساني الأمريكي (بلومفيلد) يثبِّت فيه أسبقية الهنود إلى وصف لغتهم بدقة[4].

[1] . تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص23.

[2] . المرجع نفسه، ص28

[3] . عزالدين المجدوب، المنوال النحوي، ص46.

[4] . ينظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 23، 24.

1 . 2/ الدراسة الوصفية والتفسير:

انطبعت وصفية تمام حسان بعدة سمات، في مقدمتها كونها "وصفيةً تقريريةً لا تفسر أوتعلل"[1]، لأنها تكتفي بمجرد الوصف دون تجاوزه إلى التفسير، وقد أبدى تمام حسان موقفه من ذلك في قوله: "إن المعروف في كل منهج علمي من مناهج البحث في الوقت الحاضر أنه يعنى أولا وآخرا بالإجابة عن (كيف) تتم هذه الظاهرة أو تلك، فإذا تعدى هذا النوع من الإجابة إلى محاولة الإجابة عن (لماذا) تتم هذه الظاهرة أو تلك، لم يعد هذا منهجا علميا، بل لا مفر من وصفه بالحدس والتخمين، وتفسير الإرادة الإلهية والبحث في وجود هذه الظاهرة"[2]

لم يُحِل تمام حسان – كعادته – في هذا النص على مصدر معين، بل إنه عندما أشار إلى هذا الموقف المنهجي أظهره كأنه بديهيةٌ متفقٌ متعارفٌ عليها، وذلك في قوله السابق "إن المعروف في كل منهج علمي من مناهج البحث في الوقت الحاضر أنه يعنى أولا وآخرا بالإجابة عن (كيف) تتم هذه الظاهرة أو تلك". لا ندري من أين أخذ تمام حسان هذا المبدأ المنهجي المبالِغ في الوصف مع إلغاء التفسير، لكن الأرجح أن تكون هذه المبالَغة في الوصف أثرا من آثار اللسانيات الأمريكية (السلوكية)، ومما جعلني أرجِّح وقوف هذا المصدر خلف موقف تمام حسان، هو اتفاقهما في اتخاذ السلوك اللغوي مادة للمعاينة والملاحظة المباشرة مع رفض كل تعليل وافتراض أو تفسير عقلي لا يتعامل مع ما هو ظاهر وقابل للملاحظة، بل إن هناك قولا لأحد اللسانيين الأمريكيين يشبه موقف تمام حسان السابق؛ إذ يرى (مارتن جوس) أن هدف البحث اللساني ليس هو التساؤل: لماذا ولكن

[1]. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص188

[2]. تمام حسان، اللغة بين الوصفية والمعيارية، ص50.

فقط كيف، حيث إن "كل ما هو من قبيل التفسير في الوصف يُعتبر بكل بساطة مضيعة للوقت، ولا يُعتدُّ به في إطار النظرية اللسانية العادية"[1].

إن موقف تمام حسان من الوصف في نصه السابق يرقى إلى الوصف العلمي لأنه نتيجة سؤال الكيف، غير أنه يتناقض مع فلسفة العلوم الحديثة، إذ"الهدف من أي علم تجريبي إخباري هو الاجابة عن السؤال كيف ولماذا تحدث الظاهرة؟"[2]، واللسانيات الوصفية علم تجريبي يعتمد على ملاحظة الكلام في استنتاج قواعده. وعليه، فالوصف وفق تصور تمام حسان ناقصٌ لأنه لم يَتِم تفسير ما تم وصفه وملاحظته. بل إن ما يدعو إليه يجعل المعرفة اللسانية معرفةً نهائية غير قابلة للتطور لأن "الوصف معيار وجود العلم بينما التفسير هو معيار التقدم، إذ يمكن أن تقاس درجة تقدم العلم بمدى توغله في المرحلة التفسيرية ومدى نجاحها فيها أو درجة دقة هذا النجاح"[3].

لقد تعرّض تمام حسان لنقدٍ حاد على موقفه هذا من طرف لسانيَين عربيين بارزين أولهما اللساني المغربي (عبدالقادر الفاسي الفهري) الذي استشهد بنص تمام حسان السابق مع ذكر صاحبه صراحةً، وعدَّ كلام تمام حسان شكلا من أشكال أزمة البحث اللساني العربي المتمثلة في ادعاء العلمية والمنهجية، فالمعروف عنده عكس ما ذهب إليه تمام حسان إذ "يجب أن ترقى النظرية العلمية إلى مستوى تفسيري، ولا تكتفي بالملاحظة الخارجية في جميع الأحوال، بل تبحث في الكيف وفيما وراء الكيف"[4].

وأما ثانيهما فهو اللساني الجزائري (عبدالرحمان الحاج صالح) الذي لم يشر صراحة إلى تمام حسان، إلا أن عدة قرائن قد تجعله المقصود، وذلك في قوله: "وقد يزعم أصحاب هذا

---

[1] . نقلا عن: مصطفغلفان، اللسانيات التوليدية، ص17.

[2] . يمنى طريف الخولي، مشكلة العلوم الانسانية . تقنينها وإمكانية حلها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص25.

[3] . المرجع نفسه، ص25.

[4] . عبدالقادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص58.

المذهب (وهم كثيرون في أيامنا هذه) أن البحث الصحيح هو الذي يقول: كيف؟ ولا يقول: لم؟ لأن مفهوم العلة ميتافيزيقي"[1]. حيث يرى أن الاعتقاد بأن اللجوء إلى الوصف المجرد من كل تعليل هو وحده يكفل نجاح البحث من جملة الأوهام الخطيرة التي يجب تبديدها واستئصالها بعد أن طغت على غيرها من وجهات النظر واستبدّت بالبحث اللغوي على حساب غيرها[2]. ولا يتوقف (عبدالرحمان الحاج صالح) عند هذا الحد. بل إنه ينعت الوصف المجرد عن التفسير "بالوصف البدائي والساذج"[3]؛ لأنه "يكتفي بتصوير ما يُشاهد تصويرا شمسيا ويترك الأمور الجوهرية التي تنحصر في إقامة النظائر والكشف عن النسب والعلاقات العميقة وبيان الأسباب والعلل البنوية، كما يرفض حق الباحث في الافتراض ظنا منه أن الأحداث والظواهر قادرة هي بنفسها وبدون أن يتدخل فيها الباحث على أن تطلعنا على أسرار حدوثها وأسباب مجاريها وتحولاتها"[4].

1 . 3/ الدراسة الوصفية والمعيارية:

عَرَض تمام حسان الدراسة الوصفية للغة وفق ثنائية:(الوصفية/ المعيارية)، هذه الثنائية التي أخذت حيزا كبيرا من اهتمام تمام حسان، بخاصة في كتابه الثاني (اللغة بين المعيارية والوصفية)، وهو كتاب حمل عنوانُه إشارة واضحة إلى هذه الثنائية المنهجية. وقد عُرِضت هذه الثنائية في قالب ضدي تميزي يعني وجود أحد طرفيها إلغاء الأخرى، حيث تعني الدراسة الوصفية إلغاء كل تفسير عقلي يتجاوز المعطيات اللغوية.

وقد بنى تمام حسان تفريقه لهذين النوعين من الدراسة اللغوية على التفريق بين ناحيتين من نواحي النشاط اللغوي هما الاستعمال اللغوي من جهة والبحث اللغوي من

[1]. عبدالرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان،، ص 17.
[2]. المرجع نفسه، ص17.
[3]. المرجع نفسه، ص18
[4]. المرجع نفسه،ص18

جهة أخرى، "فالاستعمال اللغوي وظيفة المتكلم والبحث اللغوي وظيفة الباحث، والاستعمال تطبيق لأسس معينة غير واضحة عند المتكلم والبحث تفتيش عن هذه الأسس حتى تكون واضحة عند الدارس، والاستعمال باعتباره تطبيقا يتوخى معايير معينة ولكن البحث باعتباره تفتيشا يستخدم الاستقراء. فمن أوضح وسائل الاستعمال المعيار ومن أوضح وسائل البحث الوصف"[1]. ومادام طرفا هذه الثنائية لا يعملان معا في آن واحد فهما يصلحان ليكونا سمتين لمرحلتين من مراحل الفكر اللغوي تقسمان على ضوئهما مرحلةٌ معيارية ومرحلةٌ وصفية. في الأولى كان منهج اللغويين في دراسة اللغة معياريا، ينظر إلى اللغة من زاوية المتكلم لا من زاوية الباحث، بينما تتمثل المرحلة الثانية في الدراسات اللغوية الحديثة التي تجعل اللغة موضوعا للوصف[2]. وعلى هذا التقسيم نجد تمام حسان يعيب على الفكر اللغوي/النحوي العربي معياريته ولا يستثني من ذلك حتى سيبويه الذي كان أحد مصادره في نظرية القرائن.

لقد أثرت هذه الثنائية على المفهوم الأصلي للوصفية كما ورد في محاضرات (دي سوسير) وماجاء بعدها، بل إن وضعها في اللسانيات العربية كان من "أحد عوائق ازدهار الوعي اللساني، لما لابسها من خلط منهجي وتحريف مبدئي"[3]. فقد غطّت ثنائية الوصفية/ المعيارية في أعمال تمام حسان على الثنائية السوسيرية وصفي/ تاريخي، وإن حضرت فحضورها باهتٌ صاحبَ تقديم مبادئ المنهج الوصفي. إن الدراسة الوصفية التي دعا إليها تمام حسان مختلفة بعض الشيء عن الوصفية التي دعا دي سوسير؛ واختلافهما نابعٌ من ورودهما في ثنائيتين مختلفتين، فوصفيةُ (دي سوسير) وصفيةٌ زمنية لا تدرس اللغة إلا في مرحلة واحدة، أما وصفية تمام حسان فوصفيةٌ عملية تعتمد المعاينة المباشرة للغة.

[1] . تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص12

[2] . المرجع نفسه، ص31،26.

[3] . ينظر: عبدالسلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص13، 14.

إن مُباينةَ ثنائية الوصفية/ المعيارية لثنائية الوصفية/ التاريخية يفرض علينا التفتيش عن مصادر ذلك، فإذا لم تكن سوسيريةً فما هي مصادرها؟ ترى (فاطمة الهاشمي بكوش) أن "أصل هذه الثنائية أنجلو ـ أمريكي، صيغت من الثنائية السوسيرية وصفية/ تاريخية"[1]. يجعلني هذا الكلام أذهب إلى تعزيز الفكرة السابقة من أن الوصف اللساني عند تمام حسان عمليٌ مصدره اللسانيات الأمريكية، حيث تم استبدال التاريخي بالمعياري؛ لأن "اللغات الهندية لم يكن لها تراث مكتوب، ولذلك لم يكن لها تاريخ بما لهذه الكلمة من معنى . ومن هنا استبعِدَت المقاربة التاريخية"[2]. لقد فرض هذا السياق المعرفي لدراسة لغاتِ الهنود على اللسانيين أن يبحثوا عن منهج "يضع القوانين والمعايير والنماذج التي تحفظ الاستعمال"[3] في ظل غياب تراثٍ مكتوب ونحو سابق ، وهو ما وجدوه في المنهج المعياري.

إن السياق المعرفي الذي وردت فيه الوصفية الأمريكية يختلف عن سياقات أخرى كالتي عند تمام حسان، مما جعله يتعرض للنقد، فثنائيته "غير محكمة البناء ومفهوم المعيارية الذي وُضع ليكون مقابلا تاما لمفهوم الوصفية لم يكن ضديدا تاما لها، فالوصفية ليست نقيضا للمعيارية وإنما هي نقيض للتأمل الفلسفي العميق"[4]. وإذا لم تكن المعيارية ضدا للوصفية فما هو موقعها منها؟

يرى عدد من اللسانيين العرب أن الوصفية والمعيارية موقفان غيرُ متناقضين ولكل مبرراته، ومن هؤلاء حلمي خليل الذي يرى أنّ "الوصفية لا تعني بالضرورة الهجومَ على المعيارية ورفضها، فعالمُ اللغة قد يكون وصفيا في مرحلة معينة ومعياريا في مرحلة أخرى، أو قد يكون وصفيا ومعياريا في آن واحد. وصفيا عندما ينظر إلى القوانين العامة التي تحكم

[1] . ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي، ص93

[2] . ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبدالعزيز مصلوح و وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000، ص274.

[3] . فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي، ص80

[4]. عزالدين المجدوب، المنوال النحوي، ص47.

الاستعمال، ويصفها ويستقرئ خصائصها ويصنف وحداتها ويبني نموذجا لما يجري في داخلها، ومعياريا عندما يستخدم نتائج هذا الوصف في تعليم اللغة مثلا"[1]. ويرى (عزالدين المجدوب) أن حالة الدراسات اللغوية عند الهنود والعرب قديما دليل على اجتماع الوصفية والمعيارية وعدم تناقضهما، حيث كان عمل هؤلاء المبني على الملاحظة و الاستقراء ممزوجا بغاية أساسية هي الحفاظ على اللغة من اللحن وتعليمها[2]. كما يبرر (عبدالسلام المسدي) عدم تناقض الوصفية والمعيارية يكونهما "موقفين لا يقعان البتة في نفس اللحظة الزمنية وبالتالي فإن الذي يصوغهما ليس هو نفس الشخص من الناحية الاعتبارية وإن فاه بهما نفس اللسان"[3]. كما يربط (المسدي) أيضا بين طرفي هذه الثنائية وعلمي النحو واللسانيات، حيث أن الذي يصوغ طرفي هذه الثنائية "ليس هو نفس المنظار"[4]، فلئن كان النحو معياريا فإن "اللسانيات لا تنفي علم النحو ولا تنقضه، بل إن وجودها متوقف قطعا على وجوده إذ لا معنى للبحث اللساني ما لم نستنبط نظام اللغة عن طريق استخراج مؤسساتها النحوية"[5].

لقد وضع تمام حسان نفسه في موقفٍ حرج، عندما استلهم ثنائيته من سياق معرفي خاص هو اللسانيات الأمريكية، ولم يُراع طبيعة المعيارية وموضعها من الحدث اللغوي، ذلك أن "نبذ المعيارية حتى كظاهرة أو كعنصر هام له دوره ومقامه في مجال اللغة من أكبر الأغلاط التي يمكن أن يرتكبها الباحث"[6]. وربما يتجلى دور المعيار اللغوي أكثر في عملية تعليم اللغات حينما يتصدر المعلمون لمهمة تصويب الأخطاء، ولو فتح المجالُ لكل استعمالات المتعلمين فإننا سنهدر كل جهد لتعليم هذه اللغة ولن نصل إلى غايتنا.

---

[1]. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص218.

[2]. عزالدين المجدوب، المنوال النحوي، ص47.

[3]. عبدالسلام المسدي، اللسانيات وسسها المعرفية، ص15.

[4]. المرجع نفسه، ص15.

[5]. المرجع نفسه، ص41.

[6]. عبدالرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص18.

يمكننا القول إن تمام حسان ربما كان مصيبا في التمييز بين الدراسة الوصفية والمعيارية لكنه قد جانب الصواب عندما جمعهما في ثنائيةٍ واحدة متعارضتين. وقد وقع منه ذلك نتيجة "عدم التمييز بين المناهج التحليلية وموضوع تحليلها"[1]. أي عدم التمييز بين المنهج الوصفي واللغة أو خاصية من خاصياتها وهي تلك الصورة من الاستعمال اللغوي الذي يخضع للمعيار، فاللغة لا يمكن لها أن تؤدي وظيفتها من دون تواضعات واتفاقات تُصاغ في شكل معايير لا يعيها المتكلمون،لكن يستطيع اللساني وأن يكشف عنها ويرصدها في شكل قواعد (بنية اللغة) .

1 . 4/ الدراسة الوصفية ونقد النحو:

لم يكتف تمام حسان في نقده للنحو بوصفه بالمعيارية فقط، بل إنه قد وجّه له انتقادات أخرى منها ما مس المادة النحوية ومنها ما مس المنهج.

- التأثر بالمنطق الأرسطي
- الصعوبة والتعقيد[2]
- دراسة النحو كانت دراسة تحليلية لا تركيبية[3]
- الاتجاه إلى المبنى أساسا ولم يكن القصد إلى المعنى إلا تبعا لذلك وعلى استحياء[4]
- الإيغال في التجريد والتلفيق والبدء من المطلق اتجاه المقيد[5]

وسأخصص حديثي في هذه الجزئية على ما تعلق منها بتأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي. إن فكرة تأثر الثقافة العربية الإسلامية بالمنطق فكرة قديمة ليست وليدة العصر الحديث، فقد كانت موضوعَ عدد من المناظرات في العصر العباسي، على غرار المناظرة

[1]. ينظر: عبدالرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص18.

[2] . ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص04

[3] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص16.

[4] . المرجع نفسه، ص12

[5] . تمام حسان، التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص09.

الشهيرة بين أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس. ورغم هذا فإنه لم يؤثر عن النحاة العرب القدامى عبارات صريحة "تدل على أنهم يعتبرون أن المنطق قد غزا علمهم وأن آثار أعلامهم قد طبعت بطابعه"[1].

لم يبق الوضع على حاله مع اللسانيين العرب في القرن العشرين، فقد أثيرت الفكرة وحظيت بنقاش كبير من لدن هؤلاء اللسانيين، وانقسموا إزاءها فريقين؛ مثبتٌ لتأثر النحو بالمنطق الأرسطي، ترتب عنه نقدهم للتراث النحوي العربي الذي كان أحد نتائج تأثرهم باللسانيات الغربية، ونافٍ عنه ذلك داعٍ إلى أصالة النحو العربي.

لاتهمنا هذه الإشكالية في هذا السياق بقدر ما سنركز على موقف التأثر الذي كان من مؤيديه تمام حسان، لنطرح الإشكال الآتي: أين يكمن الإشكال في تأثر النحو بالمنطق الأرسطي؟ هل في تداخل المنطق منهجيا مع الدراسة اللغوية أم في تطبيقه على اللغة العربية؟ إنني في طرحي لهذا الإشكال لا أدافع عن موقف إثبات التأثر ولا أدعو إليه، بل إن القصد من طرحه هو إبرازُ التناقض الذي وقع فيه القائلون به.

إن اللسانيين العرب لا ينتقدون النحو العربي في تأثره بالمنطق الأرسطي لخصوصية كل منهما واختلافه عن الآخر، وعدمِ إمكانية تطبيق المنطق الأرسطي ممثلا في النحو الإغريقي على اللغة العربية. ولا لكونِ المنطق الذي وضعه أرسطو نحوا خاصا، ينطبق على اللغة الإغريقية وباقي اللغات الأوربية التي تربطها باللغة الإغريقية قرابةٌ لغوية فقط. بل إن "النحو الإغريقي الذي صُمِّم خصيصا للغة الإغريقية، طُبِّق تقريبا على كل لغات العالم وأصبحت هذه اللغات تُدرَس من خلال قواعده. وحتى اللسانيات الحديثة مازالت تستعمل المصطلحات التي وردت فيه"[2]. وتفسير هذا التطبيق الواسع للنحو الإغريقي، أو بعبارة أخرى

[1] . عبدالقادر المهيري، نظرات في التراث العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ص112.

[2] . أحمد مومن، اللسانيات . النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 2005، ص23.

سبب تأثر الكثير من الأنحاء بالمنطق الأرسطي يعود إلى"كونه أقربَ إلى الطبيعة البشرية مما سواه، ولأنه بُني على مبادئ فلسفية ومنطقية ربطت الظواهر اللغوية بمغاور الفكر البشري"[1].

إنّ انتقاد اللسانيين العرب ـ ومنهم تمام حسان ـ للنحو العربي موجهٌ له لأنه امتزج بالتفكير الفلسفي المنطقي في دراسة اللغة العربية، وهو نقدٌ غير موضوعي لأنه خصص للنحو العربي دون غيره؛ إذِ الأَولى لهؤلاء أن ينتقدوا النظريات اللسانية الحديثة التي لم تُحدِث قطيعة تامة مع التراث الغربي الإغريقي بل اتخذت من الفلسفة والمنطق الأرسطي مرجعا لها. وإن هذا الاتصال والأخذ يصلح على كل النظريات اللسانية الحديثة دون استثناء مع تفاوت في ذلك قليلا أو كثيرا ، ولا تُستثنى البنيوية من هذا الحكم ، فهي كما يرى (عبدالرحمان الحاج صالح) تنزع منزعَ الفلسفة الأرسطوطاليسية دون ما شعور من أصحابها غالبا، وخاصة في التحليل الفونولوجي، وذلك باتباع أصحابها النظرة التشخيصية التي ينظر أصحابها دائما إلى الأشياء كأشياء وكذوات حتى ولو كانت أحداثا وهي نظرة تأملية محضة، وقد بنيت من الناحية المنطقية على مفهوم الاشتمال (الاندراج أو التضمن) ولم تراع العلاقات الأخرى غير الاشتمال[2]. هذا ولم تتوقف النظريات اللسانية عند حد اتخاذها من الفلسفة والمنطق مرجعيات لها، بل نجدها قد وظَّفت الكثير من المفاهيم اللغوية "الموروثة عن الحضارة اليونانية مثل مفهوم المقطع"[3]. وما دام القول بتأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي المبني على عدم استقلالية منهج الدراسة اللغوية مدعاة لوصفه بالمعيارية ومن ثمة للنقد. فإن اللسانيين العرب بتصورهم هذا قد وقعوا في التناقض فهم ينتقدون النحو المتأثر بالمنطق الأرسطي عن العرب القدامى ولا يفعلون ذلك مع النظريات اللسانية الحديثة.

[1] ـ أحمد مومن، اللسانيات ـ النشأة والتطور ، ص23.

[2] ـ ينظر: عبدالرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر، الجزائر،(د ط)، 2012، ص209، 210.

[3] ـ عبدالرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، (د ط)، 2012، ص08.

لقد كان تمام حسان من المثبتين لفكرة تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي، حيث يرى أن "عدوى التفكير الأرسطوطاليسي الذي يخلط بين الدراسات اللغوية والدراسات المنطقية والميتافزيقية قد انتقلت إلى اللغة العربية ودراستها وبالأخص دراسات أصل اللغة والدراسات النحوية"[1]، ويحدد مظهرين لهذا التأثر[2]:

- تطبيق المقولات الفلسفي (المقولات العشر) على النحو العربي .
- الاعتماد على القياس والتعليل في المسائل النحوية الخاصة.

1 . 5/ الدراسة الوصفية بين الشكل والمعنى:

ليست ثنائية الوصفية/ المعيارية هي الثنائيةُ الوحيدة المؤثرة في تحديد مفهوم الوصف عند تمام حسان، بل يمكن تحديده أيضا بثنائية أخرى حملها عنوان كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها)، هي ثنائية المبنى/المعنى التي تختلف عن ثنائية السابقة (الوصفية/ المعيارية) في كونها ثنائيةً تعالقيةً، يكمّل أحد طرفيها الآخر ولا ينفصل عنه، وبتعبير آخر؛ وصفية تمام حسان وصفيةٌ شكليةٌ دلاليةٌ، شكليةٌ من جهة اهتمامها بالمبنى، ووظيفيةٌ دلاليةٌ من جهة اهتمامها بالمعنى. ويلخص ذلك ما ورد في مقدمة كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) من أن "كل دراسة لغوية ـ لا في الفصحى فقط بل في كل لغة من لغات العالم ـ لا بد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى"[3].

إن أول المآخذ على تمام حسان من هذه الناحية هو مناقضته للوصفية السوسيرية التي كانت وصفيةً شكلية صورية بالأساس، فاللغة عند دي سوسير "شكلٌ لا مادة"[4]، تتم

[1]. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص17.

[2]. ينظر: المرجع نفسه، ص17.

[3]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها،ص 09.

[4] . فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص 174

دراستها وفق مفهوم النظام اللغوي ومن خلال شبكة العلاقات والقيم التي تحكم توارد الوحدات اللغوية فيه. لقد دفعت مناقضة هذا المبدأ السوسيري بأحد الدارسين إلى إخراج ما قام به تمام حسان – خاصة في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) – عن المنهج البنيوي الوصفي، لأنه "اعتمد على المعنى إلى جانب الشكل في تحليلاته ولم يعتمد على الشكل وحده"[1].

كما أن الدراسة الوصفية للغة وفق هذه الثنائية تجعله متناقضا مع الوصفية وفق ثنائية الوصفية/ المعيارية، لأنها تجعلها تتناقض مع الوصف المجرد عن كل تعليلٍ أو تفسير أو افتراض، ولأنها مفاهيم عقلية أقرب إلى المعنى. بتعبير آخر، إنّ هذه الثنائية تتعارض مع المصدر الذي استقى منه تمام حسان ثنائيته الأولى وهو اللسانيات الأمريكية (السلوكية) التي تهمل المعنى. ولئن كانت هذه الثنائية متعارضةً مع اللسانيات الأمريكية منهجيا فإنّ أكثر المصادر قربا منها هو النظرية الاجتماعية السياقية لفيرث، فصاحب هذا النظرية "بنيوي من نوع خاص يختلف في مجمله عن بنيوية دي سوسير وبنيوية بلومفيلد"[2]؛ فهو يشبه دي سوسير في اهتمامه بالعلاقات الداخلية للغة ويختلف عنه في إدخال السياق في دراسة اللغة، ويشبه اللسانيين الأمريكيين في الاهتمام بالبنية السطحية والاكتفاء بعينة لغوية معينة ولكنه يختلف عنهم في الاهتمام بالمعنى.[3]

ولئن كان يجب أن تكون الدراسة الوصفية شكليةً حتى تضمن موضوعيةً أكبر للوصف فإن ما نراه عند تمام حسان غيرَ الجمع بين الشكل والمعنى، هو قلب الاهتمام بين

[1] . جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية لكلام العرب نظرية وتطبيق . دراسة بنيوية، ج1، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة، (د ط)، 1995، ص19.

[2] . كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص152.

[3] . ينظر: المرجع نفسه، ص 152، 153.

طرفي هذه الثنائية لصالح المعنى على حساب الشكل، حيث إن "وصفية تمام حسان وصفيةٌ تعطي للمعنى أهمية بالغة"[1]

2/ تقنيات وأدوات الوصف اللساني عند تمام حسان:

2 . 1/ المتن اللغوي/ المدونة Corpus:

تشكِّل عملية إعداد المادة اللغوية المُراد دراستها لسانيا "بداية الوصف اللساني في عرف اللسانيين الوصفيين"[2]، والمهمةَ الأولى التي يجب على اللساني أن يقوم بها قبل مباشرته الوصف والتحليل. وهي في هذا شبيهةٌ بما يقوم به العلماء في المخابر من تحضير وتهيئةٍ للظروف الملائمة للقيام بتجاربهم، حيث يسبِق الوصف إعداد المادة اللغوية المتمثلِ في "جمعِ النصوص والملفوظات المنطوقة (والمكتوبة) المستعملة بين أفراد ينتمون إلى المجموعة اللغوية نفسها"[3].

أولى اللسانيون الوصفيون الأمريكيون اهتماما كبيرا بالمتن اللغوي وإعداده، وهو ما نلمسه في عبارات من قبيل أنه "المبدأ المركزي في اللسانيات الوصفية"، و"أساس التحليل في في اللسانيات الوصفية والبنيوية[4]. يُعرَّف المتن اللغوي/ المدونة في سياقه الأصلي – اللسانيات الوصفية الأمريكية– على أنه"مجموعة من الأقوال للغة غير معروفة ولا مألوفة من قبل، حيث تُسجَل ويتم تدوينها بشكل أولي، وغالبا ما يتم كل هذا العمل أثناء رحلات بحثٍ ميدانية منظمة"[5]. ويُعرَّف أيضا من خلال طابعه العملي الميداني على أنه "مجموعة

---

[1]. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص183.

[2]. مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، ص81./ وينظر: كاترين فوك وبيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، (د ط)، 1984، ص40.

[3]. المرجع نفسه، ص81.

[4]. ينظر: المرجع نفسه، ص 85، 86.

[5]. ترينس مورو وكريستين كارلنغ، فهم اللغة ـ نحو علم لغة لما بعد مرحلة جومسكي، تر: حامد حسين الحجاج، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1998، ص42.

الملفوظات التي تَنتُج داخل مجموعة لغوية محددة في حالة تزامن محددة يسجلها اللساني الواصف ويجمعها بكل موضوعية ودقة وأمانة من خلال اتصاله المباشر بهذه المجموعة اللغوية أو ببعض من أفرادها"[1]

وقد لجأ الوصفيون الأمريكيون إلى هذه المبدأ المتن اللغوي/ المدونة لغاية تطبيقية عملية محضة تتعلق بتسهيل الدراسة؛ إذا يصعُب الإحاطة باللغة المعينة عند جميع المتكلمين بها في مواقفَ تواصليةٍ متجددة ومختلفة. كما أن هناك مبررات منهجية للاعتماد على هذه المبدأ، حيث سعى الوصفيون من خلاله إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الموضوعية؛ إذ يترك عدم ضبط المتن اللغوي/ المدونة البابَ مفتوحا "للبحث عن المعطيات المتقطعة، من هنا وهناك وفي أي زمان، مما يدعم عند بعض الباحثين ما يَكُون فيهم من الذاتية التي تساعد على التوهم والشبهة"[2]. كما أن هذا المبدأ بساعد على "تفادي ما يمكن أن يحدثه اللساني هو نفسه من الكلام الذي يوافق مذهبه اللغوي ويمزجه بكلام غيره ممن سمع منهم"[3]

ولا يكون جمع مادة المتن اللغوي اعتباطيا بل يجب أن يخضع لمواصفات وشروط من قبيل التحديد الزماني والمكاني للغة المراد دراستها، ومن هذه الشروط[4]:

. التجانس:ويقتضي أن تكون النصوص أو الملفوظات المجمعة متشابهة في سماتها النوعية، وهو ما يعني أنها تنتمي مبدئيا إلى مستوى لغوي واحد.

. التمثيلية: و تقتضي أن يمثِّل المتن اللغوي المحصل عليه اللغة المدروسة أو ما هو مدروس منها في مستوى من مستويات التحليل اللغوي المعروفة.

---

[1]. مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص81.

[2] . عبدالرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، ص275

[3] . المرجع نفسه، ص271

[4] . ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، ص83، 84/ وكاترين فوك وبيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ص40./ وترينس مورو وكريستين كارلنغ، فهم اللغة، ص42، 43

. التحديد الزماني والمكاني: ويتعلق بضبط المتن اللغوي من حيث المعالم التي تحدد زمانه ومكانه.

كان تمام حسان على وعي بهذه الشروط التي يجب توفرها في المادة اللغوية المراد دراستها وإن بشكل مختزل، حيث أشار إلى شرطين[1] يرضاهما المنهج الوصفي في دراسة اللغة:

- تناولُ لهجةٍ واحدة من لهجات لغة ما، فلا يُخلَط في دراستها بينها وبين لهجة أخرى من اللغة نفسها.
- تحديد مرحلة زمنية واحدة من مراحل تطور هذه اللهجة.

وقد تجسد هذا الوعي بشروط المدونة اللغوية في نقد تمام حسان للنحاة العرب القدامى في المادة اللغوية التي بنيت عليها قواعد العربية ونحوها ، فهو يرى أنهم قد وقعوا في مخالفات منهجية من ناحيتين[2]:

- اشتمالُ دراستهم على ثلاثة قرون من تاريخ لغة العرب، وتلك حقبةٌ لا يمكن أن تظل فيها اللغة ثابتةً على حالها.
- الخلط بين مستويات لغويات متعددة؛ إذ أخذوا قواعدهم من لهجات عربية متعددة.

إن وعي تمام حسان بشروط إعداد المدونة اللغوية ثابت لا يمكن نفيه، لكنه لم يتجاوز الناحية النظرية، ففي كتابه الأول (مناهج البحث في اللغة) لم يهتم بمتن لغوي محدد إذ "أخذ أمثلته ووسائل إيضاحه من الفصحى حينا ومن العاميات حينا ومن لغات أجنبية حينا ثالثا، فلم يكن بحثا خالصا للفصحى بقدر ما كان عرضا للمنهج الوصفي"[3]. وإذا تم تبرير عن خرق شرطي التجانس والتمثيلية في تلك المدونة اللغوية/ أو الأمثلة بغاية الشرح

[1]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص13.
[2]. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 31، 32.
[3]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 07.

والتعريف، فإن المتوقعَ أن يكون كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) التطبيقي للمنهج الوصفي أكثر وعيا بشروط المدونة اللغوية، وهو ما حدث فعلا، إذ صرح تمام حسان في مقدمة هذا الكتاب بأن "مجال هذا البحث هو اللغة العربية الفصحى بفروع دراستها المختلفة"[1].

إن تحديد اللغة العربية الفصحى مادةً للدراسة اللسانية الوصفية أمر إيجابي لأنه سمح بتحديد عينة للدراسة، لكن هذا الإطلاق قد أوقع صاحب البحث في إشكال منهجي يتمثل في الإخلال بشرط التحديد الزماني والمكاني، فللغة العربية الفصحى تاريخ طويل يشمل مدونة كبيرة زمانا ومكانا، تمتد على أكثر من 14 قرنا وتنتشر على ألسنة ملايين المتكلمين في أمـــاكن مختلفة، وهذا الاتساع في هذه المدونة زمانا ومكانا كفيلٌ بظهور تغيرات على هذه اللغة، مما يصعّب عملية الوصف. وعليه، يمكننا القول إن المدونة التي حددها تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) تصلح أن موضوعا للتأريخ لهذه اللغة لا وصفِها.

وتزداد حدة هذا الإشكال المنهجي في إعداد المدونة اللغوية أثناء وصف النظام الصوتي للغة العربية الفصحى التي تعتمد على المنطوق بشكل أساسي وهو ما يتنافى ويتناقض مع الخيار المنهجي السابق، إذ يستحيل وصف أصوات لغة معينة في فترات زمنية سابقة وغير آنية.

وليس التحديد الزماني المكاني هو الشرط الوحيد الذي لم يتوفر في مدونة تمام حسان، بل إن شرط التمثيلية هو الآخر لم يتوفر، إذ "الوصول إلى النظرية اللغوية عادة يكون بعد استقراء البينات اللغوية Data المستخرجة من الاتصال"[2]؛ أي تلك المادة اللغوية المستقاة من الاستعمال الفعلي للغة بين الباحث/اللساني الواصف ومجموعة المتكلمين باللغة

[1]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 09.

[2] . تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص104.

المدروسة، لكن الذي حدث هو عكس ذلك، إذ "لم يُتَح لتمام حسان في نظريته من البينات إلا كلام العرب المأثور في التراث، وقد أقام نظريته عليه"[1].

ربما أحسّ تمام حسان بهذا الإشكال الذي وقع فيه فلجأ إلى ما سماه **الفصحى المعاصرة** وذلك أثناء وصفه لنظامها الصوتي، ويَقصدُ بها اللغة العربية الفصحى "لدى قراء القرآن في مصر"[2]. سيسهّل هذا التحديد والتقييد في المدونة اللغوية من عملية الوصف اللساني، لكن هذا الخيار المنهجي أوقع صاحبه أيضا في خلط بين الموضوعين وبالتالي عدم توفر شرط التجانس؛ فاللغة العربية الفصحى ليست هي اللغة العربية الفصحى المعاصرة على ألسنة القراء في مصر، فالثانية لا تمثِّل إلا جزءا من الأولى.

2 . 2 / مساعد البحث:

قد لا يكون المتن اللغوي المراد وصفه متاحا في كل الأوقات أو غير كاف في بعض الظروف؛ كعدم معرفةِ اللساني الواصف باللغة المراد وصفها، أو البعدِ عن بيئتها، أو تعرُّضِ اللغة ومتكلميها للانقراض كما حدث مع لغات الهنود الحمر، ليلجأ اللساني الواصف إلى ما يسمى مساعد البحث* Informant، وهي تقنية لجأ إليها الوصفيون الأمريكيون عندما "لم يقدروا على ضمان أن تكون المدونة اللغوية التي جمعوها تمثّل نموذجا وصفيا ملائما يمكن الاعتماد عليه أو الاعتداد به"[3]. إنّ مساعد البحث بالإضافة إلى ما ذُكِر سابقا متكلمٌ من متكلمي لغة/ لهجة معينة، يستعين به اللساني في وصفه لهذه اللغة، لهذا عُدَّ "مصدرا للغة

[1] . تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص104.

[2]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ، ص78.

*. يستخدم إلى جانب هذا المصطلح مصطلح (الراوي) أو (المخبر) اللغوي. ينظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ص120/ وسلمان العاني، التشكيل الصوتي، ص 34، 139/ ترينس مورو وكريستين كارلنغ، فهم اللغة، ص43 .

[3]. ترينس مورو وكريستين كارلنغ، فهم اللغة، ص43.

المدروسة ونطقه هو المادة التي تجري ملاحظتها"[1]. ويتم انتقاء مساعد البحث لتوفره على مجموعة من الشروط التي من شأنها أن تبقي اللغة محافظة على خصائصها اللغوية.

ربما كان تمام حسان من القلائل الذين طبقوا هذه التقنية في وصفه للهجات عربية وربما يكون أول من طبق ذلك في اللسانيات العربية، حيث استعان بها في وصفه للهجته لهجة الكرنك بصعيد مصر ولهجة عدن باليمن، وهما دراستان حاز بهما على شهادة الماجستير والدكتوراه على التوالي من جامعة لندن، حيث "اتخذ في الدراسة الأولى نفسه مساعدا لنفسه، وفي الدراسة الثانية اتخذ مساعدا عدنيا كان يدرس القانون في لندن"[2] وقد استخدم تمام حسان هذه التقنية في دراسته لعدة أسباب :

- **المردودية المنهجية لهذه التقنية:** فهو يرى أن "أسلم طريقة لدراسة اللغة هي أن نستخرجها من اللهجة، وإن أسلم طريقة منهجية لتناول اللهجة بالملاحظة والاستقراء، أن تُجرى الملاحظة والاستقراء على فرد بعينه، فتكون لهجته نموذجا يستنبط منه نظام اللغة"[3]
- **الطابع المثالي لهذه التقنية:** فهو يرى أن هذا الشخص المتكلم "يمثل نموذجا من نماذج هذه المنظمة ذات الأجهزة، أو بعبارة أخرى يعتبر ممثلا للهجة التي يتكلمها من لهجات هذه اللغة، بل إن طريقته الخاصة في الكلام تعتبر بمفردها إحدى لهجات هذه اللغة المدروسة"[4].
- **موضوعية الوصف:** يرى تمام حسان أن اتخاذ مساعد للبحث من شأنه أن "يضمن الموضوعية التامة للوصف اللغوي"[5].
- **الاختلاف والتباين في اللغة:** وقد برّر تمام حسان الاعتماد على الباحث المساعد الواحد بالاختلاف في النطق بين كل فرد من أفراد المتكلمين باللهجة الواحدة وبين الآخرين – بل

[1]. تمام حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 153.
[2]. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 68.
[3]. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 178.
[4]. المرجع نفسه، ص22
[5]. المرجع نفسه، ص31.

بين الأخوين التوأمين – ومن ثمة استحالة وصف نظام صوتي موحد انطلاقا من دراسة اللغة من أفواه عدة.[1]

تبدو هذه المبررات ضعيفة واهية لأنها سرعان ما تبدو متناقضة مع مبادئ اللسانيات الحديثة، إذ يمكن أن تُنتقَد من الأوجه الآتية:

- **إقصاء البعد الاجتماعي للغة**: إن الاعتماد على مساعد البحث وتحوله إلى متن لغوي في الوقت نفسه، كما حدث في دراسة لهجتي الكرنك وعدن، وابتعاد الباحث عن موطني هاتين اللهجتين ومتكلميها قد أوقع تمام حسان في إشكال منهجي يتمثل في التحول من دراسة اللغة في بعدها الاجتماعي إلى كلام فرد واحد، حيث أن "النظرة إلى اللغة المعينة باعتبارها ذات وظيفة جمعية تتنافى بعض التنافي مع فكرة اختيار متكلم بلهجة ما ليُتخَذَ موضوعا لدراسة هذه اللهجة"[2]. إنّ حالةً مثل هذه لن تُوصِل إلى الملامح المشتركة بين المتكلمين والاطرادات في استعمالاتهم للغة، ومن ثم عدمُ الكشف عن بنية اللغة، كما أن الاعتماد على مساعد البحث من شأنه أن يخلّ بشرطي التمثيلية والتجانس؛ فالمتن اللغوي "عينة عامة من اللغة المعروضة على البحث، مما يحتم عدمَ الاهتمام بالاستعمالات اللغوية الفردية والاستعمالات الخاصة الجاهزة"[3]. إنّ الوصف في هذه الحالة سيؤدي إلى التعميم لأنه لا ينطبق إلا على لغة ذلك المساعد للبحث ولا يمكن أن "تمثل الملامحُ اللغوية الفردية لديه خصائص لغوية عامة يشترك فيها جميع المتكلمين بلغة محددة"[4].

ولا يدخل البعد الاجتماعي في عملية الوصف إلا بعد إنهائه مع مساعد البحث، وليس له من دور سوى التأكد من النتائج. "فعند الانتهاء من العمل مع مساعد البحث

---

[1]. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 153.

[2] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص36

[3]. مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، ص83.

[4]. المرجع نفسه، ص88.

يحقق الباحث نتائجه بين ظهراني المتكلمين بهذه اللهجة، بالتكلم معهم، وتسجيل نماذج مختلفة من كلامهم، سواء أكان هدفه أصوات اللهجة، أم تشكيلها الصوتي، أم صرفها، أم نحوها. يفعل ذلك دائما دون إغفال العنصر الاجتماعي في أيه ناحية من هذه النواحي"[1]. يذكر المقربون من تمام حسان أنه قد قضى فترة ستة شهور في منطقة عدن لتحقيق ما أنجزه مع مساعد البحث العدني في لندن، في حين لم بفعل ذلك في دراسة لهجته (لهجة الكرنك) وحتى لو سلمنا بصحة ما قام به، فإن الفصل بين العملين ما أنجزه مع مساعد البحث والتحقق من تلك النتائج المسجلة مع المتكلمين باللهجة المدروسة، سيظهر لا محالة بعض التغيرات في النتائج المتوصل إليها خاصة في الجانب الصوتي.

- **الذاتية:** إن تحوُّل اللساني الواصف إلى مساعد للبحث في الوقت ذاته كما حدث مع تمام حسان في دراسته للهجته الخاصة (لهجة الكرنك)، قد يقلل من موضوعية الوصف ويضعها على المحك، لأن مساعد البحث الذي هو اللساني نفسه في هذه الحالة يكون عارفا بأهداف ومساعي عمله مسبقا، بينما الأصل في اللساني الواصف هو "تجرُّده من أي أحكام مسبقة، إذ عليه أن يترك المجال للمعطيات لتفصح عن نفسها"[2]. كما قد يؤثر هذا الالتحام بين اللساني الواصف ومساعد البحث في شخص واحد على وصف اللغة/اللهجة ويفقدها طابع التلقائية والعفوية، حيث يرى (روبير مارتان) أن من شروط المتن اللغوي ليكون قابلا للدراسة "أن يتسنى إثباته وهذا ما يتيحه التسجيل، لكن تكمن الصعوبة في المحافظة على صبغته التلقائية"[3]. ومن مظاهر عدم المحافظة على تلك التلقائية في التعامل مع المتن اللغوي:

[1]. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية ص23.

[2]. مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، ص102، 103.

[3]. روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ص35، 36.

– الاجتزاء: وذلك أن المدونة اللغوية مع مساعد البحث ستصبح عبارة عن "أشتات من اللغة؛ عناصر صوتية منفردة، ووحدات صرفية وبنى تركيبية متفرقة ليس بينها أي رابط فعلي"[1].

– اصطناع المقام: حيث يتم تجاهل العلاقة بين بنية الوحدات اللغوية ووظيفتها التواصلية ومقاماتها.

– تحريف المعطيات وفق ما يخدم أهداف ومساعي الوصف.

- **خرق شروط مساعد البحث**: يضع تمام حسان ثلاثة شروط على مساعد البحث حتى تبقي اللغة محافظة على خصائصها اللغوية[2].
  - نشأته على تلك اللغة منذ الطفولة.
  - عدم مغادرته لمنطقته اللغوية.
  - أميته.

قد تبدو هذه الشروط التي وضعها تمام حسان ذات فائدة في تحقيق الغرض الذي وضعت من أجله وهو المحافظة على الخصائص الأصلية للغة المدروسة دون تغيير ولا تحريف لكن الذي وقع من الناحية التطبيقية في كلا الدراستين اللتين قام بهما تمام حسان يتعارض ويتناقض مع ما سبق من شروط، فهو في كلا الدراستين متعلمٌ غادر منطقته اللغوية ولم تكتمل نشأته اللغوية فيها. وفي الوقت الذي يجب أن يكون مساعد البحث "شخصا يتكلم اللغة المدروسة بوصفها لغة أم"[3] نجد تمام حسان نفسه يصرح بعدم معرفته الكاملة للهجته بصعيد مصر فهو يقول: "وإنني بعد أن نشأت على التكلم بلهجة بلدي بالصعيد وبعد أن بقيت في بلدي هذا حتى الثانية عشر من عمري جئت إلى القاهرة فأقمت فيها وكنت أعود

[1]. مصطفى غلفان، اللسانيات البنيويه، ص87.

[2]. ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 68/ وتمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص 153.

[3]. جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة، ص142.

إلى بلدي في فترة محددة من صيف كل عام تجعلني أستعيد اللهجة إلى ذاكرتي. ومع ذلك أجدني الآن برغم نشأتي في اللهجة أقف في كلامي وسطا بين لهجة القاهرة ولهجة الكرنك يخطئني المتكلمون بكلتيهما في بعض الأصوات والتراكيب والتعبيرات. فإذا صح أن صاحب السليقة لا يخطى فإنني غير صاحب سليقة لا في القاهرة ولا في الكرنك"[1].

- **تغير المدونة اللغوية**: لعل أكبر المشاكل التي يمكن أن تقف في طريق تقنية مساعد البحث هي تحولها من حالة ثابتة محدودة إلى أخرى إبداعية متجددة؛ ومن حالة جماعية إلى أخرى فردية، وقد تترجمت هذه المشكلة في التعارض المنهجي الواقع بين المدونة اللغوية وحدس المتكلم، فاللسانيات الوصفية تعتّد بالمدونات اللغوية وتعدّها مصدرا ومنطلقا لهذا النوع من الدراسة اللسانية، أما الدراسة اللسانية في النظرية التوليدية التحويلية فتأبى الرجوع إلى المدونة اللغوية؛ لأنها "لا تعكس بصدق حقيقة الملكة اللغوية وخصائصها والبنيات المتحكمة الضمنية فيها"[2]

إن الاعتماد على مفهوم المدونة اللغوية قد جعلها تتعارض مع الخاصية الإبداعية التوالدية للغة البشرية؛ إذ يتوفر كل متكلم ـ مستمع بلغة معينة على "مجموعة من الإمكانات اللغوية تجعله في كل وقت وحين قادرا على إنتاج وفهم مالا حصر له من الجمل"[3]. شكّلت هذه الخاصية مبدأ مركزيا في اللسانيات التوليدية تم على أساسه تبني خيارات منهجية جديدة مختلفة عن اللسانيات الوصفية، فقد صار موضوع الدراسة اللسانية هو القدرة competonce وصار للحدس دور في إتاحة "الوصول إلى معرفة دقيقة وشاملة بالملكة اللغوية عند الأفراد"[4] عن طريق التمييز بين ما هو نحوي وما هو غير نحوي (لاحن).

---

[1]. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص323.

[2] . مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص32.

[3] . المرجع نفسه، ص31.

[4] . المرجع نفسه، ص32

يقترب مفهوم الحدس على الصورة السابقة كثيرا من فكرة مساعد البحث عند تمام حسان، إذ يظهر ذلك الطابع المعياري للحدس في التمييز بين الصحيح والخاطئ في مساءلات تمام لمساعده[1] كما يظهر طابع التنوع والتجدد في المادة اللغوية.

2 . 3/ التجربة اللسانية:

اعتمدت اللسانيات البنيوية ـ ما قبل التوليدية ـ على المنهج التجريبي في دراستها للغة إذ عُدَّت التجربة فيها "المصدرَ الوحيد لمعرفة الواقع اللساني"[2]، وأصبح لها عند اللسانيين البنيويين دورٌ حاسم في بناء المعرفة اللسانية، فهم "يتصورون أن إمكانية قيام نظرية لسانية أمر لا يتأتى إلا بعد التجربة"[3]. وقد بلغ الأمر ببعض اللسانيين إلى أن يسموا اللسانيات البنيوية باللسانيات التجريبية لاعتمادها التجربة والمنهج التجريبي، وهناك من اقترح تسميتها باللسانيات البعدية*.

تختلف طبيعة التجربة وأدواتها من ميدان معرفي إلى آخر، فلئن كانت "التجربة تمثل أداة الاختبار في البحث وتكوين المعرفة ـ في العلوم الطبيعية مثلا ـ فإن المراقبة (الملاحظة) تمثل عند الباحث اللساني أداة الاختبار وتنوب عن التجربة في البحث وتكوين المعرفة اللسانية"[4] ومراقبة الحدث اللغوي في التجربة اللسانية لا تعني إشراك المتكلم في ذلك حتى وإن كان منتجَ هذا الحدث، فاللغة "حدثٌ في واقعٍ تخبِر عنه تجربةُ المتكلم مع كلامه، وما يهم اللساني

[1] . ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص69، 70.

[2] . منذر عياشي، مناهج اللسانيات ومذاهبها في الدراسات الحديثة، مجلة ثقافات، كلية الآداب، جامعة البحرين، عدد 15/ 16، 2005، ص14.

[3] . محمد محمد العمري، الأسس الابستيمولوجية للنظرية اللسانية، ص146

*. يقترح محمد محمد العمري إطلاق تسميتي (اللسانيات البعدية واللسانيات القبلية) على اللسانيات البنيوية واللسانيات التوليدية، وذلك بناء على مكانة التجربة في بناء النظرية اللسانية، فيسمي اللسانيات البنيوية باللسانيات البعدية، لأن قيام النظرية اللسانية أمر لا يتأتى إلا بعد التجربة، ويسمي اللسانيات التوليدية باللسانيات القبلية لأنها تتصور أن إمكانية قيام نظرية لسانية أمر سابق على التجربة ينظر: المرجع نفسه، ص146

[4]. منذر عياشي، مناهج اللسانيات ومذاهبها في الدراسات الحديثة، ص15

التجريبي كأي باحث تجريبي هو الحدث وليس صاحب الحدث، والتجربة وليس منجز التجربة"[1].

كما تختلف التجربة اللسانية عن غيرها من التجارب في مجالات علمية أخرى وذلك راجع إلى المادة العلمية التي ستقام عليها التجربة؛ "فالمادة اللسانية تختلف في واقع حدوثها عن باقي المواد، فهذه الأخيرة يمكن تكرار التجربة فيها من غير أن يؤثر ذلك على المادة نفسها ومعطاها المعرفي، في حين أن الأمر ليس كذلك في الحقل اللغوي، إذ ربما يؤثر تكرار التجربة على المادة اللغوية ويغير معطاها المعرفي، وهذا يجعلها تجربةً جديدة وليس تجربة مطابقة لسالفتها"[2].

2 . 3 . 1/ التجربة اللسانية عند تمام حسان:

اعتمد تمام حسان أسلوبين في مراقبة الوقائع اللغوية؛ الأول ملاحظة الوقائع اللغوية بشكل مباشر بواسطة الأذن والعين، والثاني طرق ميكانيكية تمت فيها الاستعانة بآلات تسجيل أو آلات متخصصة في الدراسة الصوتية.

- **الأسلوب الأول/ الملاحظة المباشرة:**

شكَّلت مساءلةُ واستشارة مساعد البحث أكثرَ المواضع دلالة ووضوحا على قيام الملاحظة ومن ثم التجربة في دراسة اللغة الممثلة في لهجتي الكرنك وعدن عند تمام حسان ومكّنته مصاحبة ذلك الطالب العدني واتخاذه مساعدا للبحث من إعداد تجارب لسانية، فهو لم يكتف بوضع شروط على مساعد البحث فقط ـ سبق الحديث عنها ـ بل وضع شروطا أخرى على اللسانيِ الباحث أن يلتزمها لتأطير مراقبة الحـدث اللغوي كـــــما هو ماثل عند

[1]. ينظر: منذر عياشي، مناهج اللسانيات ومذاهبها في الدراسات الحديثة، ص14.
[2]. المرجع نفسه، ص15.

مساعد البحث، ومن تلك الشروط[1]:

- استملاءُ اللساني الواصف مساعدَ البحث بعض القصص والحكايات باللهجة المدروسة.
- تقليدُ اللساني الواصف مساعدَ البحث في نطقٍ معين، ويدلُّه مساعدُ البحث على مواضع الخطأ، أو الرضى عن نطقه.
- التحايل على مساعد البحث للتأكد من أمانة مساعد البحث وانتباهه: كأن تسأله عن الكلمة التي يطلقها على المعنى الفلاني، على أن تكون هذه الكلمة هي التي تبحث عنها، ليكون جوابه النطق الصحيح لتلك الكلمة.
- اختيار الأسئلة المناسبة، كتجنب الأسئلة المغلقة.
- إبعاد مساعد البحث عن أهداف البحث ومراميه.
- استخدام الكتابة والقراءة

إن هذه الشروط والقواعد إن دلت على شيء فهو ذلك الوعي بصعوبات ومحاذير توظيفِ واعتماد تقنيةِ مساعدِ البحث. كما أن هذه الشروط كلها تخدم غايةً أساسية هي إنجاح التجربة ومن ثم رصد وصفٍ دقيق وموضوعي للغة المراد دراستها. ورغم هذه الايجابيات التي تحسب لهذه التقنية (أو التجربة اللسانية) وتمام حسان إلا أن لها جملة من المآخذ:

- الطابع التلقائي: إن المادة التي ستقام عليها التجربة مع مساعد البحث مادةٌ غير معدّة سلفا يحكمها الطابع التلقائي، مما يؤدي إلى تشتت أفكار وأهداف الباحث بمتابعة كل ما يقال، وعلى الباحث في هذه الحالة أن يبذل جهدا مضاعفا في المراقبة/ الملاحظة.
- الطابع النطقي الشفاهي: يرى (روبير مارتان) أن "المدونة الشفاهية تعج بأنواع مختلفة من الضجيج كالتردد والانقطاع والتداخل ما يمكن أن يجعل الكلام غير مفهوم"[2].

[1] . ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 69، 70.

[2]. روبير مارتان، مدخل إلى فهم اللسانيات، ص36.

– الاعتماد على حدس المتكلم وعدم مقارنة ما تم ملاحظته مع متكلمين آخرين من نفس اللغة/ اللهجة.

- **الأسلوب الثاني/ الملاحظة غير المباشرة (الطرق الميكانيكية / التسجيل)**

يميّز تمام حسان بين الملاحظة المباشرة لنطق المتكلم وبين تسجيله في الآلة معطيا الأفضلية في البحث الصوتي للأولى؛ وذلك لسببين[1]:

– الصوت الإنساني الحي أوضح في قيمته من تسجيله الذي على الأسطوانة، وأن هذا التسجيل ليس إلا تقليدا غير مطابق تماما للأصل.

– التسجيل المسموع يعطي الطالب/ الباحث فرصة السماع فحسب، وأما الصوت الحي فللأذن فيه فرصة السماع وللعين فرصة الرؤية

– الغموض وعدم وضوح نطق بعض الأصوات في الأسطوانة لا يمكن استيضاحه إلا المتكلم نفسه، على عكس مساعد البحث الذي

ورغم هذه المآخذ التي قد تقلل من أهمية التسجيل إلا أنه يتميز بكونه الوسيلة الوحيدة من بين وسائل البحث الآلية التي يمكن أن تُختبَر بها دقةُ نتائج الملاحظة أو عدمها في ظل غياب مساعد البحث[2]، أي بعد انتهاء عملية التسجيل وانصراف مساعد البحث كما يتميز بتوسيعه لمدى الملاحظة بإدخال عنصر الدوام على النطق[3]

2 . 4/ مستويات التحليل اللساني:

يُستعمل مصطلح المستويات اللسانية (Niveux Linguistique) للدّلالة على مفهومين؛ الأول منهما ـ وهو ما يهمنا في هذا السياق ـ أداةٌ منهجية يوظّفها

[1]. ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص71، 72.
[2]. المرجع نفسه، ص72.
[3]. المرجع نفسه، 70، 71.

اللسانيون البنيويون في عملية الوصف والتحليل اللساني أكثر من غيرهم، لهذا يُطلق عليه أيضا مصطلح (مستويات التحليل اللساني). وهو مصطلحٌ يدل "على العناصر اللازمة لإجراء التحليل صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا"[1]. أما الثاني فيستخدمه اللسانيون الاجتماعيون لدلالة على "استعمال اللغة من حيث هذا الاستعمال أدبي سياسي علمي أو غير ذلك"[2]. ويوظّف اللسانيون التوليديون مصطلحا آخر له نفس المعنى والوظيفة تقريبا، هو مصطلح المكوِّن Component كالمكون التركيبي والصوتي والدلالي في النموذج المعيار؛ وهو "مجال لتمثيل خصائص لسانية معينة"[3]. ولا يتحرَّج ميشال زكريا ـ أحد التوليديين العرب ـ من وصف هذه المكونات بالمستويات ويرى في "إقامتها إتاحةً لتحليل اللغة من خلالها، ومساعدةً على تحقيق الوصف الدقيق والواضح"[4]. وتتجلى أهمية المستويات اللسانية في رصدها للطريقة التي تكشف لنا عن جوانب البناء والتنظيم في اللغة، ذلك أن اللساني "لا يتعامل مع الظواهر اللغوية دفعة واحدة كتيار مادي متدفق بل بنوع من التدرج والتمييز بين مكونات هذه الكتلة الفيزيائية"[5].

وردت مستويات التحليل اللساني في أغلب الكتابات اللسانية العربية إما في إطار تقديم اللسانيات بصفة عامة أو في شكل دراسات مستقلة فرضتها الغايات التدريسية والتفصيلية على شكل علوم مستقلة (علم الأصوات علم الأصوات الوظيفي...)، والمتأمل

[1] . أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات،دار الفكر، دمشق، ط3، 2008، ص31.

[2] . مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص196

[3]. مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص464.

[4] . ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية – النظرية الألسنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986، ص137.

[5] . مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، ص111.

لتلك الكتابات اللسانية- الوصفية منها خاصة - سيلاحظ ذلك التباين في مواقف اللسانيين من تحديدهم لهذه لمستويات، وذلك راجع لأسباب منها[1]:

- تباينُ مواقف الباحثين من اللغة والمنهج الذي تُدرَس على ضوئه.
- تباينُ مواقف الباحثين من هذه المستويات حسب الأهمية في التحليل.

تداول اللسانيون العرب في تحليلاتهم اللغوية هذه المستويات معتمدين عددا من التقسيمات، فهناك من حلّل وفق أربع مستويات وهناك من حلل وفق خمسٍ وهناك ما دون ذلك وهناك أكثر، وهذه بعضها:

التقسيم الرباعي: يُقسِّم اللغة إلى أربع مستويات (صوتي، صرفي، تركيبي، دلالي)، ويُعَدّ هذا التقسيم من أشهر التقسيمات[2]في هذا المجال، وهو موقف تبناه عدد من الباحثين العرب كمحمود فهمي حجازي، رمضان عبدالتواب، أحمد محمد قدور، كما أن ترتيب هذه المستويات على هذا النحو "ترتيب متفق عليه عند كثير من اللسانيين المحدثين والمعاصرين"[3] جاعلين من المعجم فرعا من المستوى الدلالي لأن علم الدلالة يهتم بالمعنى في حالتيه التركيبية والإفرادية المعجمية، وربما يكون هذا الموقف منبعثا عن رأي (ماريو باي) الذي يرى أن الإيتمولوجيا وعلم الدلالة والمعجم ثلاثتُها فروعٌ لمستوى المفردات vocabulare[4].

التقسيم الخماسي: يُقسِّمُ اللغةَ إلى خمس مستويات(صوتي، صرفي، تركيبي، دلالي، معجمي) بفصل المستوى المعجمي عن الدلالي، عندما يتولى المستوى المعجمي البحثَ في الثروة المفرداتية والدلالة بالمعنى أو المعنى التركيبي، ويمكن أن يُدمَج المستويان الدلالي والمعجمي

[1] . ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة . دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2011، ص13.

[2] . ينظر: المرجع نفسه، ص13.

[3] . المرجع نفسه، ص18.

[4] . ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998، ص44.

في مستوى واحد مع فصل علم الأصوات عن علم الأصوات الوظيفي(صوتي، صوتي وظيفي، صرفي، تركيبي، دلالي)[1].

التقسيم السداسي: يقسِّمُ اللغة إلى ست مستويات(صوتي، صرفي، نحوي، معجمي، دلالي، أسلوبي)، وهو تقسيم يقول عنه كمال بشر أنه "أشهر التقسيمات وأقربها إلى المنطق وأصلحها لحاجة الدارسين"[2]، رغم أن هناك من يُرجِعُ المستوى الأخير إلى المستوى الدلالي[3]

2 ـ 4 ـ 1/ مستويات التحليل اللساني عند تمام حسان:

استخدم تمام حسان في وصفه للغة العربية و تحليله إياها تحليلا لسانيا ما عرفناه من مستويات التحليل اللساني، رغم عدم إشارته صراحة إليها، وقد تميز استخدامه لهذه التقنية بأمور ايجابية وأخرى سلبية، أما الايجابية فتتمثل في احترامه لبعض خصائص هذه التقنية كالتدرج؛ إذ "ينطلق تقسيم المستويات من الوحدات الصغيرة في اللغة إلى الوحدات الأكبر"[4]، حيث رتَّب مكونات الحدث النطقي بشكل متدرج في ثماني درجات أو مستويات "فثمة في البداية أصوات يبدأ البحث بملاحظتها، ثم أن هذه الأصوات يجري تقسيمها إلى حروف (فونيمات)، ويُلاحظ تجمعها في مقاطع، ثم تتجمع المقاطع في ألفاظ، وتتجمع الألفاظ في ضمائم، وتتجمع الضمائم في تراكيب (أي جمل فرعية)، وتتجمع التراكيب في جمل، ثم تتجمع في نص كامل"[5].

وأما ما يمكن أن يعاب على تمام حسان في توظيف مستويات التحليل اللساني فعدة أمور نذكر منها:

---

[1] . ينظر: كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص172.

[2] . المرجع نفسه ، ص171.

[3] . عبدالصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1993، ص103.

[4] . محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 1997، ص 17.

[5] . تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص209.

- استخدامه مصطلحات توهم بمعنى مغاير للمستوى كالمنهج والنظام والمعنى.
- توظيفه المستويات اللسانية خدمة للمعنى، حتى وقع التداخل بين مفهوم المستوى اللساني وأنواع المعنى اللغوي.
- الغموض والتداخل في تحديد المستويات.

ومهما يكن فإن تمام حسان قد تميّز في وصفه للغة العربية الفصحى بتوسيعه للتحليل، إذ وزّع دراسته على ست مستويات، حيث "استخدم في كتاب (مناهج البحث في اللغة) مصطلح (مناهج) استخداما خاصا يقصد به ما يستخدمه علماء اللغة المحدثون في الدلالة على مصطلح (مستويات)"[1]. وهو يقسم هذه المستويات إلى ستة مستويات أو مناهج كما يسميها، وهي: منهج الأصوات، منهج التشكيل الصوتي، منهج الصرف، منهج النحو، منهج المعجم، منهج الدلالة. يتشابه هذا التقسيم مع تقسيم فيرث[2] عددا ومستوياتٍ، وربما يكون تمام حسان متبعا في هذا التقسيم متَّبِعٌ رأي أستاذه

لم تتغير نظرة تمام حسان لمستويات التحليل اللساني في كتابه (اللغة بين المعيارية والوصفية) من ناحية العدد، لكنها قد تغيرت من الناحية المفهومية؛ فهو لم يسمها مناهجا ولا ينسبها إلى اللغة، بل نلفيه يتحدث عن مستويات دلالية، لأن كل دراسة لغوية لا بد أن تتجه إلى المعنى، فيكون لكل مستوى منها نصيب من الدلالة[3].

ولم يلتزم تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) بالتقسيم السداسي للمستويات اللسانية بالوضوح الذي عهدناه معه في كتابيه السابقين، فعلى الرغم من أن الكتاب قد حوى فصولا عن المستويات الستة إلا أن هناك غموضا في تحديدها. وقد اختزل "حلمي خليل" هذه المستويات من ستة إلى أربعة، تشمل المستوى الصوتي بقسميه (العام

[1]. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 199/ و ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص41.
[2] . ينظر: كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص147، 148.
[3] . ينظر: تمام حسان، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية ، ص 117.

والوظيفي) والصرفي والنحوي والدلالي الذي يشمل المعجم[1]، وقد بنى تقسيمه المختزل هذا على مجموعة من المبادئ:

النظام اللغوي: يخلص تمام حسان في كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) ـ كما يرى حلمي خليل – إلى تقسيمٍ مختلف، يلتزم فيه فكرة المستويات أو النظام التي استقر عليها المفهوم البنيوي الوصفي في دراسة اللغة[2]. وبناءً على هذه المفهوم نجد أن مستويات التحليل اللساني عند تمام حسان في كتابه سابق الذكر ثلاثة فقط هي (المستوى الصوتي الوظيفي، المستوى الصرفي، المستوى النحوي)؛ لأن نظام اللغة العربية عنده يتفرع إلى ثلاثة أنظمة هي الصوتي الوظيفي والصرفي والنحوي) لتوفرها على جملة من الخصائص والشروط، بينما نجد حلمي خليل يضيف المستوى الرابع الدلالي ويسميه نظاما (النظام الدلالي) مخالفا موقف تمام حسان[3].

التفريق بين اللغة والكلام: يظهر أثر هذا المبدأ في التفريق بين علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفي وتخصيص كل منهما بفصل مستقل في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)؛ الفصلين الثاني والثالث على التوالي، إلا أنه من الناحية التطبيقية عُدَّا كلا متكاملا. لقد كان التفريق بين اللغة والكلام المبدأ المؤثر في ذلك فدراسة الأصوات عنده "تعتبر ملاحظةً للكلام ولا تعتبر دراسة للغة"[4]. لذلك نجده يسند لدراسة الأصوات دورا مساعدا للمستوى/النظام الصوتي من الناحية التطبيقية، "فدراسة الأصوات مقدمة لا بد منها لدراسة النظام الصوتي والنظم اللغوية"[5]. ويتجلى هذا الدور في عدِّ معطيات علم الأصوات أحد دعامتين .

[1] . ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص227 ـ 240.

[2]. ينظر: المرجع نفسه ، ص227.

[3] . ينظر: المرجع نفسه، ص237

[4]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص66

[5] . المرجع نفسه، ص66.

بالإضافة إلى العلاقات والقيم الخلافية بين الأصوات ـ يقوم عليهما النظام الصوتي[1]، إذ لا يمكن أن تتم دراسة العلاقات والقيم الخلافية التي تنشأ بين الأصوات ما لم يكتمل وصف الأصوات مفردة. كما أن هذا المبدأ يصلح للمعجم أيضا فهو ليس بنظام لكنه مع هذا "جزء من اللغة"[2] لا للكلام.

تبعية المعاني المحتملة والمتعددة للسياق: إن الاعتماد على المبدأين السابقين في تحديد وتقسيم مستويات الوصف والتحليل اللساني غير كافٍ في تقسيم المستويات، فإذا كانت الأقسام الثلاثة (الصوتي والصرفي والنحوي) مستويات لأنها أنظمة، والمعجم لأنه جزء من اللغة. فإن القسمين المتبقيَين (الأصواتي والدلالي) ليسا نظامين وليسا جزءا من اللغة، فما هو المبدأ الذي يمكن أن يحتويهما؟ إن السياق الاجتماعي أو المقام بما له من دور في تحديد معنى المقال، وافتقار كل من المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي إليه لأنهما متعددان محتملان. سيجعل بقية المستويات خاضعة وتابعة له.

كما أن من آثار السياق الاستعمالي (أو المقام) تأخيرُ مجموعة من الظواهر الصوتية المقطعية وإخراجها من الدراسة الصوتية الوظيفية وتخصيص فصلٍ مستقل لها (الفصل السادس) أطلق عليه الظواهر السياقية ومن هذه الظواهر النبر والتنغيم والإدغام. وهذا التخصيص محاولة لإظهار مستوى آخر، يجمع بين الظواهر الصوتية والصرفية.

3/ التحليل البنيوي عند تمام حسان:

لم يرد مصطلح البنية أو التحليل البنيوي صراحة في أعمال تمام حسان، حيث أدرج ما قام به ضمن الدراسة الوصفية، لكن المتأمل لأعماله – خاصة كتاب اللغة العربية معناها ومبناها – سيجد اعتمادا واضحا على مجموعة من الأدوات البنيوية، كالتوزيع

[1] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 67.

[2] . المرجع نفسه ، ص315

والاستبدال...وسنركز دراستنا في هذا الجانب على جانبين يظهر فيهما التحليل البنيوي هما الوحدات اللسانية والنظام اللغوي.

3 . 1/ الوحدات اللسانية Unités:

يحتل مفهوم الوحدة اللسانية مكانة هامة في الدراسة اللغوية لأنها تشكل الموضوع الذي تبنى عليه الدراسة، لهذا فإنه قد وُجِد عند القدامى كما هو موجود عند المحدثين، إذ لا يُتصوِر قيام الدراسة من دون معرفة موضوعها، سواء أكانت هذه الدراسة صوتية أم صرفية أم نحوية أم دلالية. ولئن كان مفهوم الوحدة مفهوما متداولا في تحليل ودراسة القدامى والمحدثين للغة فإن حضور هذا المفهوم بشكل واضح ودقيق قد بدأ مع اللسانيات الحديثة، وإذا أردنا التخصيص والدقة نقول إن الاتجاهات اللسانية التي أعقبت نشر المحاضرات اهتمت بهذا المفهوم بشكل تفصيلي، ذلك أن دي سوسير قد قصر هذا المفهوم على العلامة اللغوية أو الكلمة، فهو يعرف الوحدة أو الكيان اللغوي Entité على أنها "كل مقطوعة صوتية هي- بقطع النظر عن كل ما كان قبلها وعن كل ما بعدها في السلسلة لملفوظة- دالٌ خاص لمتصور من المتصورات الذهنية"[1].

وتُعرَّف الوحدة اللغوية على أنها "عنصرٌ قابل للعزل في مستوى معين من خلال العلاقات التي يربطها مع غيره من العناصر"[2]. ويعني هذا الكلام أنّ مفهوم الوحدة اللغوية لا يوجد بشكل مستقل عن غيره بل إن جوهر اللغة مبنيٌ على انتظام الوحدات مع بعضها البعض بعلاقات معينة. لذلك كانت قيمة الوحدة اللغوية مرهونة بعملية التحليل أو التقطيع لأنها قد تتماهى مع بقية الوحدات الأخرى عند ورودها معها في السلسلة اللفظية، فتفقدَ

[1] . فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص162.

[2] . مجموعة من الباحثين، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . مكتب تنسيق التعريب، الدار البيضاء، (د ط)، 2003 ، ص 159.

قيمتها وهويتها "ما لم نعيَّن حدودها تعيينا أي ما لم نفصل بينها وبين كل ما يحيط بها في السلسلة الصوتية"[1].

تلعب الوحدات اللغوية دورا أهم من المستويات التي تحتويها في اللغة، ذلك أن دور المستوى تمثيليٌ يساعد على التحليل، أما دور الوحدة فمزدوجٌ؛ تركيبيٌ وتحليليٌ، فهي المكون الذي يتشكل منه النظام اللغوي بالنسبة للمتكلمين، إذ إن هذا الأخير "مجموعة من العناصر اللغوية التي تربط العلاقات بينها بحيث إذ تغيّر عنصر من هذه العناصر أو علاقة من هذه العلاقات تعرضت العناصر والعلاقات الأخرى للتغيير"[2]. ولما كان رصد النظام اللغوي أكبر الغايات التي يسعى إليها البحث اللساني كان لزاما على الباحث أن يحلل هذه النظام "بتحديد العناصر اللغوية والعلاقات التي تجمع بينها"[3].

3 . 1 . 1/ الوحدة الصوتية: يستخدم تمام حسان للتعبير عن الوحدة الصوتية مصطلحين اثنين هما (الصوت) و(الحرف أو الفونيم)، إذ "يدخل تحت كل قسمٍ من الحروف واحدٌ أو أكثر من الأصوات"[4].

يزاوج تمام حسان في تقسيمه هذا بين مصدرين لسانيين اثنين هما حلقة براغ و دي سوسير، فهو يميز بين نوعين من الدراسة الصوتية؛ علم الأصوات والصوتيات أو علم التشكيل الصوتي، معتمدا في التمييز بينهما على حالة الصوت مفردا أو في السياق.

كما اعتمد التفريقَ بين اللغة والكلام. في التمييز بين الصوت والحرف بناء على خصائص كل من اللغة والكلام، فينسب الصوت للكلام والحرف للغة، كما هو واضح في

[1]. فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص161

[2] . جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية، ج1، ص68./ وينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، ص125، 126.

[3] . المرجع نفسه، ج1، ص68.

[4] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص120

قوله: "الحروف تجريدات والأصوات تحقيقات"[1]، وفي قوله أيضا:الحروف لا تنطق وإنما تُنطَق الأصوات[2]

الصوت: يعرِّف تمام حسان هذه الوحدة على أنها "موضوع مدرك بالحواس"[3]، ويعرِّفه أيضا على أنه "أثر سمعي"[4]، ويعرفه أيضا على أنه "عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الأذن"[5].

ينسجم هذا التعريف للصوت مع ما ذهب إليه من أن الصوت وعلم الأصوات (فونتيك) ينتمي للكلام لا اللغة، لكن هذا المصطلح يستعمل استعمالا آخر ففي قوله: "يدخل تحت كل قسمٍ من الحروف واحدٌ أو أكثر من الأصوات"[6]. يصبح للصوت معنى آخر غير الذي سبق. وهنا يظهر خلط تمام حسان بين مصطلحين اثنين هما الصوت اللغوي والألفون، فقد استخدم في أحد المواضع المصطلحين الإنجليزيين Sound و Allophone مترادفين في مقابل المصطلح العربي الصوت[7]. ربما تكون مساواة تمام حسان بين المصطلحين نابعة من انتماء كليهما للكلام، فإذا كان الصوت اللغوي عملية حركية عضوية سمعية، فإن الألفون عبارة عن اختلافات أو متغيرات صوتية لحرف واحد "وتحقيقه مقيدٌ بالسياق"[8].

[1] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ، ص121

[2] . ينظر: المرجع نفسه، ص122.

[3] . تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها، ص48.

[4] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص63، 64.

[5] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص66

[6] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص120

[7] . ينظر: تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها، ص57.

[8] . مجموعة من الباحثين، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص11

ومما وقع فيه تمام حسان أيضا هو عدم دقته الاصطلاحية، إذ يستعمل مصطلح Sound مقابلا للصوت اللغوي[1]، بينما ينطبق المصطلح على الصوت اللغوي وغير اللغوي وبتعبير آخر على الصوت الطبيعي بشكل عام. لهذا فالمصطلح الأنسب في هذه الحالة هو Phone.

الحرف[2]/ الفونيم: أعطى تمام حسان لمفهوم الحرف/ الفونيم طابعا "تجرديا فكريا، لأنها "لا تُنطَق، ولأنها أقسامٌ يدخل تحت كل منها صوت أو أكثر"[3]. وهذا التقسيم مبني على التفريق بين اللغة والكلام، إذ يتوافق الطابع التجريدي الفكري مع انتماء الحرف/ الفونيم للغة "فالحروف تجريدات والأصوات تحقيقات"[4]. وإذا كان "الصوت مما يوجده المتكلم فإن الحرف مما يوجده الباحث"[5] لم يكن هذا التحديدُ التجريدي التحديدَ الوحيد للحرف/ الفونيم، بل إن تمام حسان قد اضطلع بما يعد محددا أساسيا وهو البعد الوظيفي له. حيث يرى أن "الوظيفة تقوم أولا وقبل كل شيء بالتفريق بين طائفتين من الأصوات، إحداهما الصحاح والأخرى العلل. ومعنى ذلك أن للصحاح وظيفة تختلف عن وظيفة العلل في اللغة العربية"[6].

ويعطي تمام حسان للحرف/ الفونيم بعدا كتابيا، إذ يعدُّه "مفهوما أبجديا تقسيميا"[7]، يصبح بموجبه الحرف/ الفونيم مادة الكتابة، حيث يكون "لكل حرف رمزٌ في الكتابة التشكيلية"[8]. وربما كان هذا البعد الكتابي للحرف/ الفونيم سببا لاقتراح تمام حسان "الأخذ

[1] . ينظر تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص59/ وتمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص57.
[2] . المرجع نفسه، ص120.
[3] . ينظر: المرجع نفسه، ص 120.
[4] . المرجع نفسه، ص 121.
[5] . تمام حسان اللغة بين المعيارية والوصفية، ص129.
[6] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص68.
[7] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص119.
[8] . تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، 129.

باشتقاق رموز عربية من الأبجديتين الإغريقية واللاتينية"[1] لتجاوز ما يظهر من قصور في التعبير عن كل أصوات اللغة العربية. وهو اقتراح رجع عنه تمام حسان فيما بعد.

المقطع Syllabe: انتبه علماء اللغة والصوتيات إلى وجود وحدة صوتية أخرى أكبر من من الصوت والفونيم، "يُبنى عليها أي تجمعٍ صوتي في السلسلة الكلامية، وتتأسس على التقابل الموجود بين الصوامت والصوائت، وتتحدد بواسطة مجموعة من القواعد التي تختلف من لغة إلى أخرى"[2]. لا يختلف تمام حسان عن هؤلاء، فهو يُعَدُّ من اللسانيين العرب الأوائل الذين تحدثوا عن البنية المقطعية للغة العربية، إذ يرى في "المقاطع تعبيرات عن نسق منظم من الجزيئات التحليلية"[3]، وهو يقصد بالجزيئات التحليلية هنا الحروف/ الفونيمات؛ فالمقطع وحدة أكبر من الحرف وأقل من الكلمة يتكون من الصحاح والعلل (الصوامت والصوائت).

ركّز تمام حسان في تعريفه للمقطع على الجانب التشكيلي الوظيفي (الفونولوجي) فهوى يرى إمكانية بناء نظام رمزي للمقاطع، وهذا النظام المقطعي هو نظام فرعي للنظام الصوتي الذي يتفرع عن النظام اللغوي الأكبر[4]، وصياغة المقاطع في نظام يجعلها جزءا من اللغة لا الكلام، وبالتالي ستكون أقرب إلى علم التشكيل الصوتي الوظيفي لا علم الأصوات. وهما وجهتان أثَّرتا في تحديد مفهوم المقطع، حيث يذكر "كمال بشر" أن العلماء قد اختلفوا في ذلك،"فمنهم من نحا نحو الجانب الصوتي أي النطقي الفعلي، وآخرون اعتمدوا الجانب الفونولوجي معيارا للحكم أي الجانب الوظيفي للمقطع ودوره في بناء الكلمة في اللغة المعينة"[5]

[1] . تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص145

[2] . مجموعة من الباحثين، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص144.

[3] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص138.

[4] . ينظر: المرجع نفسه، ص138/ وتمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص111.

[5] . كمال بشر، علم الأصوات، ص 504.

لم يثبت تمام حسان على موقفه هذا، إذ نراه يميز بين نوعين من المقاطع، ومن ثم يجمع بين وجهتي النظر السابقتين في تعريف المقطع:

المقطع التشكيلي/ المقطع المقعد: وهو تجريديٌ مكون من حروف، ينتج عن التقعيد له من خلال النظر إلى التطريز والتوزيع اللغوي، ورصدُ هذا المقطع من عمل الباحث اللغوي لا من عمل المتكلم[1]

المقطع الأصواتي/ المقطع المسموع: أصواتي محسوس مسموع مكون من أصوات قابلة للملاحظة والإدراك.

إن التمييز بين هذين النوعين شبيه جدا بالتفريق بين الأصوات والحروف فلا يمكن الحديث عن حروف ما لم تتحقق نطقيا في أصوات، كذلك المقاطع لا يمكن الحديث عن رموزها ما لم تُنطَق وتتضح سمعيا. ليظهر لنا أن تفريق تمام حسان بين هذين النوعين من المقطع مبني على التفريق بين اللغة والكلام. إن التمييز بين هذين النوعين تحصيلٌ حاصل، إذ لا يمكن الحديث عن مقطع صوتي ما لم يتم إنتاجه فعليا، فالمقطع الأصواتي أو السمعي تمهيد للمقطع التشكيلي، والفرق بينهما فرق ما بين الصوت والحرف وبين علم الأصوات وعلم التشكيل الصوتي، فكلاهما يكمل الآخر ولا يمكن الحديث عن الثاني منهما من دون الأول رغم انتماء أحدهما إلى الكلام والثاني إلى اللغة.

كان يمكن الإكتفاء بالمقطع التشكيلي لأنه مبحث من مباحث علم الأصوات التشكيلي (الفونولوجيا)، لكن يبدو أن وراء هذا التمييز غايةً لا علاقة لها بمفهوم المقطع في حد ذاته، بل إلى تتعداه إلى مفهوم أكبر منه ؛ حيث إن قيمة المقطع تظهر في "شرح نظام النبر الذي لا يمكن شرحه في نظام الصرف من جهة وفي الكلام من جهة أخرى"[2]. لقد

[1] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص141

[2] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص170.

خشي تمام حسان من الوقوع في التناقض، وذلك في دراسته للنبر الذي هو ظاهرة صوتية سمعية بالأساس بوحدة شكلية مجردة (المقطع)، فالنبر كما يعرفه تمام حسان "ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها"[1]، والأسباب التي تحدثه عضوية بحتة، حيث يرجع الوضوح السمعي في النبر إلى علو الصوت وانخفاضه الذي هو نتيجة[2]:

- حركة الحجاب الحاجز في ضغطه على الرئتين لإفراغ ما فيهما من هواء، فتؤدي كمية الهواء الزائد إلى اتساع مدى ذبذبة الأوتار الصوتية.
- توتر التماس بين أعضاء النطق في مخرج الصوت.

وقد ازدادت خشية تمام حسان من الوقوع في التناقض، بعد انتباهه إلى حدوث النبر على مستويين في الكلمة وفي الجملة، ومن ثمة كان له نوعان يتفقان مع مبدأ التفريق بين اللغة والكلام[3]:

- النبر الصرفي: النبر في نظام الصرف هو نبر الكلمة المفردة أو الصيغة المفردة، وهو نبر صامت صمت القاعدة نفسها وصمت اللغة من بعدها.
- والنبر السياقي الدلالي: نبر الجمل المستعملة فعلا وهي ميدان الظواهر الموقعية.

يمكننا القول في النهاية إن التمييز بين المقطعين (التشكيلي والأصواتي) عند تمام حسان لا مبرر لهما سوى خدمة التمييز بين النوعين السابقين من أنواع النبر.

[1] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص170

[2] . المرجع نفسه، ، ص 171.

[3]. المرجع نفسه، ص170

3 . 1 . 2/ الوحدة الصرفية:

يَعدُّ تمام حسان المورفيمَ Morpheme الوحدةَ الصرفية، ويضع له مصطلح المباني الصرفية مقابلا عربيا، وهي "أبواب تندرج تحتها علامات تتحقق المباني بواسطتها لتدل بدورها على المعاني"[1]. فالمورفيم عند تمام حسان وحدةٌ تتوسط مفهومي الباب والعلامة بحيث يتحقق الباب عن طريق المورفيم ويتحقق المورفيم عن طريق العلامة. والمقصود بالباب هنا أقسام الكلم (الاسم، الفعل الحرف...)، بينما تعد العلامة "العنصر الذي يعبرُّ عن المورفيم تعبيرا شكليا"[2]، والعلامة لا توجد "إلا في النص المنطوق أو المكتوب"[3]. أي إن العلامة مفهوم ينتمي إلى الكلام لا اللغة. على عكس الباب والمورفيم.

ويربط تمام حسان أيضا مفهوم المورفيم بمفهوم آخر هو مفهوم الصيغة، ففي كتابه (مناهج البحث في اللغة) يضع الصيغة علامةً يتحقق المورفيم بواسطتها؛ فهي "بالنسبة إليه علامة، وبالنسبة إلى أمثلتها المختلفة ميزان صرفي"[4]. لكنه قد عدَل عن هذه الفكرة في كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها)، إذ عدّ الصيغةَ "مبنى صرفيا لا بد من النظر إليه على أنه تلخيصٌ شكلي لجمهرة من العلامات لا حصر لها ترد على ألسنة المتكلمين باللغة الفصحى"[5]. وربما كان هذا العدول هو السبب الأساسي الذي أدى بتمام حسان إلى التمييز بين نوعين من المباني الصرفية أو المورفيمات:

- مباني التقسيم: وهي أقسام الكلم (الاسم والفعل والحرف...)
- مباني التصريف: وهي مجموعة من القيم الخلافية التي تتباين بموجبها المباني التقسيم، وذلك مثل: التثنية والجمع والغيبة والخطاب والتعريف والتنكير...

[1] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص82.
[2] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص172.
[3] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص133.
[4] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص173.
[5] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص144.

والصيغة على هذا التقسيم هي جزء مهم من النوع الأول من المورفيمات، حيث "يُصَبُّ في قالبها كل قسم من أقسام الكلم، فكل الصيغ للأسماء بأنواعها والصفات والأفعال تندرج تحت مباني التقسيم"[1]. ويبرر تمام حسان هذا التقسيم أيضا بمبدأ التفريق بين اللغة والكلام، فهو يرى أن "الناس ينطقون هذه العلامات ولا ينطقون تلك التلخيصات الشكلية"[2].

ولما كان مفهوم الصيغة مرتبطا بمفهوم الميزان الصرفي فإن العدول السابق قد أثَّر على العلاقة بينهما، إذ يرى تمام حسان أنه من الأجدى للتحليل الصرفي التفريقُ بين مفهومي الصيغة والميزان الصرفي، وذلك بأن "يُلقَى على عاتق الصيغة بيان المبنى الصرفي الذي ينتمي إليه المثال وأن يُناط بالميزان أمر بيان الصورة الصوتية النهائية التي آل إليها المثال، ولو اتحد هذا وذاك لغاب من تحليلنا أحد هذين الأمرين الهامين"[3].

3 . 1 . 3/ الوحدة النحوية:

الوحدة النحوية عند أغلب اللسانيين هي التركيب أو الجملة، وهي الوحدةُ الأساسية في التحليل اللساني لاحتوائها على بقية الوحدات الأخرى ولما تشتمل عليه من سياق، غير أن موقف تمام حسان من هذه الوحدة غيرُ واضح، فهو يرى أن " النحو لا يتخذ لمعانيه مباني من أي نوع إلا ما يقدمه له الصرف من المباني"[4].

إنَّ في اتخاذ المباني الصرفية وحدةً لعلم النحو تعارضا مع طبيعة النحو التركيبية العلائقية، فالنحو كما يعرفه تمام حسان"دراسةُ العلاقات بين أبواب النحو ممثلة في الكلمات

[1] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص83.
[2] . المرجع نفسه، ص144
[3] . المرجع نفسه، ص145.
[4] . المرجع نفسه، ص178.

التي في النص"[1]. إن هذا الخيار لا يعارض طبيعة النحو فقط بل يعارض مواقفَ سابقة لتمام حسان نفسه، فهو ينتقد النحاة العرب لأن "دراستهم للنحو كانت تحليلية لا تركيبية، أي أنها كانت تعنى بمكونات التركيب أي بالأجزاء التحليلية فيه أكثر من عنايتها بالتركيب والمباني الصرفية وحدات تحليلية "لا تمس معنى الجملة في عمومه لا من الناحية الوظيفية ولا من ناحية الدلالة الاجتماعية"[2].

لا شك أن تمام حسان كان مدركا لطبيعة النحو التركيبية، وكان من الممكن اتخاذ "مبنى للنحو يشتمل على مبنى الصوت والصرف جميعا وأن نعينه بصيغة هي رمز له كأن نقول تركيبه (اسم + اسم) أو (فعل + اسم)"[3]، بل كان من السهل جدا اتخاذ التركيب أو الجملة وحدةً للنحو، فما هو الدافع الذي جعله لا يفعل ذلك؟

إن التدقيق في طبيعة الجملة يجعلنا نفهم عدم اتخاذها وحدةً للنحو، فالجملة وحدة تتميز بـ:

- استقلاليتها في التحليل عكس الوحدات (التحليلية) الأخرى الصوت والمورفيم والباب النحوي

- سياقيتها؛ إذ تتركب فيها الوحدات مع بعضها البعض في مواقف تواصلية معينة.

- إفادتها للمعنى؛ والمعنى فيها واضح محدد غير محتمل لأنها تستحضر عادة السياق الاجتماعي الذي وردت فيه.

[1] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص192.

[2] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص15.

[3] . محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والوظيفة، ص 203.

كل هذه الأمور تؤهل الجملة لأن تكون وحدة كلامية، فهي كما يقول دي سوسير "من مشمولات الكلام لا اللغة"[1]. ويبدو أن تمام حسان قد خشي من التناقض مع مبدأ التفريق بين اللغة والكلام، فأبى أن يجعل الجملة وحدةً للنحو لأنه نظام والنظام جزء من اللغة وجعلها وحدةً للهجة، "لكون اللهجة كلاما من جهة، ثم لكون الهدف من الكلام هو التعبير عن المعنى الكامل"[2].

3 . 1 . 4/ الوحدة المعجمية:

لقد أدى تطور اللسانيات إلى ظهور وحدات لسانية جديدة تتوافق مع طبيعة مستويات التحليل، فلم يبق الحديث عن وحدات عامة تصلح لدراسة أكثر من مستوى ولعل الكلمة أكثر الوحدات اللسانية التي أرّقت اللسانيين من ناحية تعدُّد تعريفاتها ومدلولاتها، فهي تتخذ طابعا صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا ومعجميا، لهذا السبب "رفض كثير من اللسانيين الكلمةَ محاولين الاستعاضة عنها بوحدات أخرى قد تبدو أكثر نجاعة في التحليل اللساني"[3]. فتمّ استحداث مصطلحات جديدة تعبِّر عن طبيعة الكلمة في كل مستوى من قبيل المورفيم والمونيم .

واختار كثير من اللسانيين مصطلح Lexéme* وحدة أساسية في الدراسة المعجمية، "وهو وحدة مجردة يكون لها عدة معان وعدة استعمالات"[4]، وقد جاء تبني

---

[1] . فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص188.

[2] . تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص179.

[3] . عبدالحميد عبدالواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، وحدة بحث اللسانيات والنظم المعرفية المتصلة بها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، ط1، 2007، ص31.

*. وُضعَت لهذا المصطلح عدة مقابلات عربية من قبيل (العَجْمَم والعَجْمَة، واللفظم)، وهناك من وضع مصطلحًا آخر لهذه الوحدة يصطلح عليه بـ: Lexie يترجمه محمد رشاد الحمزاوي بـ (المعَيجَمَة) وهو تعبير عن كل أشكال الوحدة المعجمية البسيطة والمركبة والمعقدة ويترجمه واضعو المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات بـ (لفظة). ينظر: محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986، ص158، 160/ و المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص85

[4] . مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، 165.

مصطلح اللكسيم عند هؤلاء اللسانيين نتيجة "احترازهم الشديد من مصطلح الكلمة وما يعتريه من تعمية والتباس، وأن العجمم مقارنة بالكلمة أكثر تجريدا"[1].

كان تمام حسان واعيا بصعوبة تحديد الوحدة المعجمية عندما اختار الكلمة إذ نلمس تلك الصعوبة في تساؤله: "ما الكلمة؟ أمن السهل تعريفها؟ أوَ يمكن تحديدها في السياق كلما أردنا ذلك فنقول هنا تبدأ وهنا تنتهي؟ أنعتبر المباني الصرفية التي تتحقق بها الظواهر الموقعية وكذلك اللواصق الصرفية أجزاء كلمات أم نعتبرها كلمات مستقلة؟"[2]

تتداخل معايير تصنيف وتحديد الكلمة في هذا التساؤل بين الصوتي والسياقي والصرفي، ويبدو أن الجانب الصرفي أكثر تلك المعايير تأثيرا، إذ نلحظ من استثنائه المباني الصرفية التي تتحقق في الظواهر الموقعية واللواصق الصرفية أنّ الكلمة عنده هي مباني التقسيم لا مباني التصريف، وهي تشمل ما يدخل تحت أقسام الكلم. يتفق هذا الفهم مع تعريف تمام حسان للكلمة في كتابه (مناهج البحث في اللغة) على أنها: "صيغة ذات وظيفة لغوية معينة في تركيب الجملة"[3] . لكن هذا التعريف يناقض التعريف الذي وضعه للكلمة في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) بأنها "صورة صوتية مفردة في ذهن المجتمع أو صورة كتابية مفردة بين جلدتي المعجم، وهي صامتة في كلتا الحالتين"[4].

إن هذا العدول من الطابع الصرفي للكلمة إلى الطابع الإفرادي المعجمي لا يُفهَم إلا بربطه بمبدأ التفريق بين اللغة والكلام، فلو كانت المباني الصرفية (مباني التقسيم) هي الكلمة فإن ذلك ينفي كون الكلمة وحدة المعجم الذي هو جزء من اللغة، لأن المباني الصرفية –كما

[1] . عبدالحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، ص40

[2] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص315.

[3] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص232.

[4] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 316، 317.

رأينا – هي وحدة النحو التي يؤدي التقاؤها مع بعضها إلى معان وظيفية داخل الجمل، وهذا التصور يجعل الكلمة وحدة كلامية.

وتتضح الصورة أكثر عندما يفرق تمام حسان بين الكلمة واللفظ، فإذ كانت الكلمة وحدة صوتية مفردة فإن اللفظ توظيف لتلك الصورة في السياق الاستعمالي للغة، أي الكلام؛ "ففرق ما بين الكلمة واللفظ هو فرق ما بين اللغة والكلام، فاللغة (والكلمة وحدة من وحداتها) صامتة، والكلام (واللفظ جزء من نسقه) محسوس"[1]

3 . 1 . 5/ الوحدة الدلالية:

يمكن القول مبدئيا إنّ الوحدة الدلالية Unité Semantique هي الوحدة الحاملة للمعنى Sens ، لكن هذه الوحدة عند الدلاليين المحدثين متعددة الأنماط، فهناك من يرى أن "الكلمة المفردة هي أهم الوحدات الدلالية لأنها تشكِّل أهم مستوى للوحدات الدلالية، وهناك من يرى الجملة أهم من الكلمة في الدلالة على المعنى، وهناك من يرى أن الوحدة الدلالية هي النص، وهناك من ينزل إلى ما دون الكلمة في إشارة إلى المورفيمات المتصلة (السوابق واللواحق)"[2]، وعلى هذا التعدد في أنماط الوحدة الدلالية تعددت تعريفاتها فهناك من يقول إنها: الوحدة الصغرى للمعنى، وهناك من يراها أيَّ امتدادٍ كلامي يعكس تباينا دلاليا[3]. ينطبق التعريف الأول على الكلمة أكثر من غيرها من الأنماط، بينما يشمل التعريف الثاني كل الأنماط الدلالية.

وهناك اصطلاح آخر أخص من المصطلحات السابقة لأنه يشير إلى أصغر الوحدات الدلالية التي يمكن أن يصلها إليها التحليل، وهو Sémème * الذي "يتكون من حزمة

---

[1] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص317

[2] . ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص31– 34.

*. يترجم هذا المصطلح في العربية بـ المعنم، ويترجم أيضا بالوحدة الدلالية.

[3] . أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، ص31.

من السمات الدلالية"[1]، مثل تحليل كلمة رجل دلاليا إلى مجموعة من العناصر المكونة لدلالة (رجل)، كأن نقول: كائن حي ـ إنسان ـ ذكر ـ بالغ. ويسمى كل واحد منها سمةً دلالية Séme وهي "وحدة دنيا غير قابلة للاستعمال بشكل مستقل"[2].

إن الوحدة الدلالية عند تمام حسان قد شملت كل ما تحدثنا عنه آنفا، فقد جعل المعنى اللغوي الدلالي غاية من دراسته للعربية الفصحى، و لا يتم تحقيق هذه الغاية إلا بإدراك المعنى في المقال كما يتجلى صوتيا وصرفيا ونحويا ومعجميا (المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي) والمعنى في المقام الذي يسميه المعنى المقامي أو الاجتماعي. وإذا كانت الوحدة الدلالية وحدة شاملةً لما هو لغوي مقالي وغير لغوي مقامي،و كان كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) كله دراسةً لهذه الوحدة بتجلياتها المختلفة، فلماذا خصّ تمام حسان الدلالة بفصلٍ في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)؟

ركّز تمام حسان في الفصل الخاص بالدلالة على المعنى المقامي الذي يتوّج المعنى المقالي (الوظيفي والمعجمي) بما يضبطه ويزيح عنه ما يتميز به من التعدد والاحتمال، وقد ركّز على فكرة المقام أو الماجريات Context Of Situation بشرحها ببعض الأمثلة والشواهد الحية، بل إنه يذهب إلى الإقرار بأن فكرة المقام "هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية، وهو الأساس الذي يُبنى عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاث"[3] (الوظيفي، المعجمي، الاجتماعي).

ويقصد تمام حسان بالمقام "الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال"[4]. ومادام المقام بهذا المعنى فإنه قد كان من الممكن

[1] . مجموعة من الباحثين، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص134.
[2] . المرجع نفسه، ص.134
[3] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص237.
[4] . المرجع نفسه، ص237.

أن يُختزَل الحديث عن المقام والمعنى المقامي بما أنه عنصر مكمل للمعنى المقالي ويدمجَ مع بقية مستويات المعنى المقالي، حيث يقترح (محمد صلاح الدين الشريف) "التفكيرَ في وضع نظام لغوي رابع يسود النحو فالصرف فالأصوات وهو النظام الدلالي. ولو فكر في إمكانه لكان كافيا مغنيا عن غيره مما ذكره في الفصل من مقامات"[1]. ولا يتوقف (محمد صلاح الدين الشريف) عند حدود الاقتراح إذ بدا له أن الفصل الخاص بالدلالة ضعيفٌ مقارنةً بغيره من الفصول، "لأنه سقط في الأفكار العامة غير اللغوية ووقف في تحليله عند بعض العبارات الجاهزة. فكان بذلك أقرب إلى الأسلوبية ذات المنحى الاجتماعي منه إلى الألسنية الصرفة"[2]. لكن ما غفل عنه صاحب هذا النقد أن سبب تخصيص هذا الفصل كان نظريا بحتا، فهو يتوافق مع التقسيم الذي يجريه السياقيون من أتباع المدرسة الانجليزية (فيرث وأتباعه) بين السياق اللغوي والسياق غير اللغوي في دراسة المعنى واللغة.

3 . 2/ النظام اللغوي ونظامية اللغة العربية:

3 . 2 . 1 / تعريف النظام اللغوي عند تمام حسان:

يعرِّف تمام النظام اللغوي بأنه:"مجموعة من المعاني تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو المباني المعبرةِ عن هذه المعاني، ثم من طائفة من العلاقات التي تربط ربطا إيجابيا والفروق (القيم الخلافية) التي تربط ربطا سلبيا بين أفراد كل من مجموعة المعاني أو مجموعة المباني".[3]

استطاع تمام حسان في هذا التعريف أن يحدد مكونات النظام اللغوي، فهو يتشكل من وحدات لغوية (مباني ومعاني) وعلاقات وقيمٍ خلافية:

---

[1]. محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والوظيفة، ص228.

[2] . المرجع نفسه، ص228.

[3]. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص34.

الوحدات اللغوية:

يبدو أن الغاية الدلالية ومركزية المعنى في وصف تمام حسان للغة العربية قد فرضت سيطرتها على الدراسة اللغوية، فجعلت اللغةَ تبتعد عن جوهرها وهو الشكل لا المادة ونظامَها يتحول عن طبيعته؛ من "فكرة نظريةٍ مجردةٍ"[1]، إلى مفهوم مادي دلالي، وذلك نتيجة فصله بين المباني والمعاني في دراسته للنظام اللغوي. حيث إن:

- المباني: تجريدات وتقسيمات شكلية تندرج تحتها العلامات المنطوقة أو المكتوبة[2].

- المعاني: المعاني في الأنظمة الثلاثة (الصوتي والصرفي والنحوي) هي في حقيقتها وظائف تؤديها المباني[3].

لقد اختزل هذا الفصل والتمييز بين المبنى والمعنى الوحداتِ اللغويةَ في المستوى الفونولوجي والصرفي والنحوي في وحدة لغوية أساسية هي العلامة اللغوية Signe، وهو تصور يصلح للنظام الصرفي أكثر من غيره؛ لأن الكلمة (المبني الصرفي) هي الوحدة الأنسب لدراسة النّظام اللغوي.بينما يتعارض هذا التصور مع حقيقة الوحدات اللغوية في النظامين (الصوتي والنحوي)، لأن الفونيم في النظام الصوتي مبنى لا معنى له، بينما نجد المباني في التركيب تتجاوز العلامة الواحدة إلى تركيب علامة بأخرى أو أكثر، وعلى هذا الفهم نجد أن النظام لا ينطبق إلا على النظام الصرفي[4].

حتى لو افترضنا أن للفونيم معنىً، فإن الفصل بين المبنى والمعنى (الدال والمدلول) فصلٌ ينافي الحقيقة اللسانية للعلامة اللغوية، فكلا المكونين بمثابة وجهي الورقة الواحدة التي لا يمكن

---

[1]. محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والوظيفة، ص207.

[2] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص38.

[3] . المرجع نفسه، ص39.

[4] . محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والوظيفة، ص203.

فصل وجهها عن قفاها[1]، وإنْ وقع الفصل بينهما فما ذلك إلا لأغراض دراسية لقد أوقع هذا الفصل صاحبه في الغموض؛ فهو لم يتوقف عند حدود الفصل بين المبنى والمعنى في العلامة الواحدة (الكلمة)، بل يتجاوزه إلى مجموعة منها، إذ جعل العلاقات والقيم الخلافية قائمة بين أفراد كل من مجموعة المباني أو مجموعة المعاني، فصار لنا بدل "النظامِ الواحد نظامان؛ نظامٌ للمباني وآخر للمعاني"[2]. وحتى لو كان ذلك ممكنا فإنه يجب أن تتوفر علاقات وقيم خلافية جديدة تربط بين نظام المباني ونظام المعاني، لأن "اللغة لا يمكن أن تكون نظاما من المعاني التي لا مباني لها لأن المباني هي رموز المعاني ولا غنى عن الرمز في نظام كاللغة هو في أساسه نظام رمزي"[3].

العلاقات والقيم الخلافية:

العلاقات: لا يمكن للعلامة (مبنى + معنى) بمفردها معزولةً عن السياق أن تبلغ الأغراض والغايات المنوطة باللغة، فكان لا بد من التوليف والتركيب بينهما بعلاقات معينة، حيث يرى دي سوسير أن "كل شيء في حالة لغوية ما إنما يقوم على العلاقات"[4] ، لهذا ميّز بين نوعين من العلاقات "تكوِّن اللغة وتتحكم في سير عملها"[5]:

- علاقات ترابطية (استبدالية) Rapports / PradigmatiqueRapports Assosiatifs
- علاقات سياقية (تركيبية) Rapports Syntagmatique

[1] . فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص174.

[2] . محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والوظيفة، ص 205.

[3] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص38

[4] . فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص186.

[5] . المرجع نفسه، ص192.

القيم الخلافية: يضع تمام حسان هذا المصطلح بإزاء مقابله الانجليزي Differectial Valeues[1]. ويرى بعض قُرَّاء تمام حسان أن هذا المصطلح "مفهوم مقتبس عن مفهوم Distinctive Features الذي قدمته حلقة براغ"[2]. لكن هذا المصطلح الأخير يختلف عن الأول، لأنه مصطلح صوتي يدل على السمات مميزة للأصوات، وقد استخدم في مجال الدلالة فيما بعد في النظرية التحليلية.

إن مصطلح القيم الخلافية عند تمام حسان ليس خاصا بالنظام الصوتي فقط بل يوجد في كل الأنظمة اللغوية الأخرى، وهو أقرب إلى مصطلح دي سوسير القيمة Valeur من أي مصطلح آخر، إذ يُعَدُّ مفهوما أساسيا كرَّسه دي سوسير في تحديد مفهوم النظام اللغوي (بشكل عام)، فاللغة عنده "لا يمكن أن تكون إلا نظاما من القيم المحض"[3]، ولئن كان النظام مُكوَنا من مجموعة من الوحدات التي تنتظمها علاقات معينة، فإن قيمة كل وحدة منها هي نتيجة علاقتها بوحدات أخرى داخل النظام نفسه؛ وقد قرّب دي سوسير هذا المفهوم بلعبة الشطرنج والعملات النقدية.

وقد يكون وسمُ تمام حسان مصطلحَ القيم بالخلافية راجعا إلى طبيعة التقاء الوحدات اللغوية في النظام فهي على صورتين إيجابية وسلبية، فإذا كانت الصورة الإيجابية للنظام تظهر في العلاقات التي تربط بين الوحدات اللغوية في السلسلة الكلامية، فإن الصورة السلبية تتمثل في الاختلافات بين الوحدات المتعالقة من جهة أخرى، عن طريق مبدأ التقابل. بل إن الوحدات في النظام اللغوي تستمد قيمتها من اختلافها مع غيرها حيث يرى دي سوسير أنه

[1] . تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 118.

[2] . فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص115/ وينظر: عبدالرحمان بن حسن عارف، في المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام حسان، ص18، 19.

[3] . فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص172.

"لا يوجد في اللغة إلا الاختلافات"[1]، و"كل نظام لغوي هو عبارة عن سلسلة من الاختلافات الصوتية مؤتلفة مع سلسلة من الاختلافات المعنوية"[2].

استعان تمام حسان بمفهوم القيم الخلافية حتى إنه يَعدُّها أهم بكثير من العلاقات الرابطة، لأنها "أقدر من تلك العلاقات على أمن اللبس وهو الغاية القصوى للاستعمال اللغوي، فإنه ليمكن الزعم أن كل نظام لغوي ينبني أساسا على مجموعة من القيم الخلافية التي بدونها لا يكون اللبس مأمونا ولا الكلام مفهوما"[3].

3 . 2 . 2/ الأسس التي بنى عليها تمام حسان مفهوم النظام:

التفريق بين اللغة والكلام: يتحدد مفهوم النظام عند تمام حسان "بالاعتماد على التفريق بين اللغة والكلام"[4]، فهو يرى أن "الأنظمة من اللغة لا من الكلام، وأن اللغة ـ ومنها الأنظمة ـ ساكنة صامتة تنشد لنفسها الاطراد وتسعى إلى الإطلاق شأنها شأن كل نظام آخر, والكلام تطبيق على نظام اللغة وهو ديناميكي متحرك شأنه في ذلك شأن كل تطبيق على أي نظام"[5].

إن فكرة انتماء النظام إلى اللغة لا تنطبق على كل فروع اللغة، فالمعجم جزء من اللغة لكن ليس بنظام عند تمام حسان. فهل الخلل في ذلك راجع إلى انتماء النظام للغة أم إلى انتماء المعجم للغة؟ يبدو أن تمام حسان قد جانب الصواب في إحدى الفكرتين، والأرجح أن تكون المتعلقة بهوية المعجم. فالمعجم على رأي (محمد صلاح الدين الشريف) "من الكلام لا اللغة"[6]، وهو على هذا الرأي سيكون تطبيقا للأنظمة الثلاث لتوكل إليه مهمة تحديد

[1] . فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة ، ص183.
[2] . المرجع نفسه، ص183.
[3] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص34، 37
[4] . محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والوظيفة، ص202
[5] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص262.
[6] . محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والوظيفة، ص223.

المعنى الوظيفي المتعدد والمحتمل، لأن وحدته لن تبقى صامتة ساكنة طالما أنه صار جزءًا من الاستعمال (الكلام)، إذ ستتحول الكلمة إلى لفظٍ، وعلى هذا التصور لن يصبح لتواجد مستويين يؤديان نفس المعنى والوظيفة، فإما أن يكون هناك مستوى معجمي أو دلالي ويغنينا أحدهما عن الآخر، أو يُدمَج المستويان معا بشكل يكمل أحدهما ما هو غير موجود في الآخر.

سيظهر مما سبق أن تخصيص مستوى قائمٍ بذاته للمعجم ومستوى آخر للدلالة في كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) رغم تشابههما في المعنى والوظيفة قد أملته ضرورة تقسيمية تتمثل في إتاحة الفرصة للدلالة لتكون مستوى قائما بذاته، إذ سمح جعلُ المعجم جزءًا من اللغة لا الكلام من الإبقاء على الدلالة مستوى قائما بذاته في الكتاب.

التوزيع النمطي للغة: يرى تمام حسان أن "الذي يصنع النظام هو التوزيع النمطي للغة"[1] ويقصد به تفريع النظام اللغوي إلى أنظمة أصغر (هي النظام الصوتي والصرفي والنحوي) وتفرُّع كل منها إلى أنظمة أصغر كالنظام المقطعي ونظام النبر والتنغيم تحت النظام الصوتي لقد كان اعتمادُ تمام حسان على هذا الأساس نظريا فقط، لأنه قد اصطدم بالتعارض مع الأساس الأول (التفريق بين اللغة والكلام)، فالنظام الصوتي مثلا "مكون من فروع تنظيمية منها نظام الصحاح والعلل ونظام المقاطع ونظام النبر ونظام التنغيم"[2]. لكن ما رصده تمام حسان من هذه الأنظمة الفرعية لم يتجاوز النظامين الفرعيين الأولين (الحروف والمقاطع على مستوى الكلمات)، وذلك لأن ظاهرتي النبر والتنغيم قد أدرجتا في موضع آخر ضمن الظواهر السياقية وبالتالي من الكلام. والجمع بين هذه المفاهيم المختلفة من شأنه أن يظهر التعارض، فكانت الاقتصار على دراسة ما يخدم التفريق بين اللغة والكلام.

[1]. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص116

[2]. المرجع نفسه، ج1، ص 111.

التقابل بين النظام والسياق: أخرج تمام حسان من مفهوم النظام اللغوي كل ما هو سياقي، من ظواهر موقعية كالنبر والتنغيم، أومقامية دلالية وهي تشمل المعنى الاجتماعي والمستوى الدلالي ككل، وذلك لأن هذه الظواهر تعد لا تظهر إلا في استعمال اللغة، ومن ثم فهي جزء من الكلام.

3 . 2 . 3 / شروط النظام اللغوي عند تمام حسان:

وضع تمام حسان مجموعة من الشروط على النظام اللغوي، تدل على طابعه العضوي وتسمح بشرح وتفسير كيفية تشكُّله واشتغاله ، وتتمثل هذه الشروط فيما يلي[1]:

- العلاقات العضوية والقيم الخلافية بين المكونات
- الصلاحية للجدولة
- عدم إمكان الاستعارة بين لغة وأخرى.

تُكسِب هذه الشروط النظامَ اللغوي مجموعة من الخصائص؛ فهي تجعله أكثر تماسكا وتنظيما، وتمنحه مناعةً إزاء الوحدات الغريبة عنه. وهذه الشروط تعمل بشكل متكامل، حيث أن الشرطين الأول والثاني شرطان يكملان بعضهما؛ "فمن شروط إمكان أي جدول أن يوضع أن يكون بين مكوناته علاقات عضوية"[2].

ويُقصَدُ بالجدول "وضع النظم الثلاث الصوتي والصرفي والنحوي للغة العربية الفصحى في صور جداول ذات أبعاد رأسية وأخرى أفقية تتشابك فيها العلاقات وتقوم القيم الخلافية في كل جدول حارسا أمينا لأمن اللبس"[3]. يعني هذا الكلام أن العلاقتين الترابطية والتركيبية

[1]ـ تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، ص312.

[2] . المرجع نفسه، ص313

[3] . تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص313.

تمثلان البعد الرأسي والأفقي على التوالي في الجدول، مما يجعل النظام اللغوي منغلقا على نفسه فلا يستعير وحدات صوتية ولا صرفية ولا نحوية.

لكن لم تعكس الجداول التي وضعها تمام حسان طبيعة النظام كما كان متوقعا ولم تلامس حقيقته، فالنظام الصوتي عنده جاء مجسدا في جدول بعده الرأسي ممثل في المخارج وبعده الأفقي في الصفات[1]، وكلا البعدين لا يمثلان إلا العلاقة الترابطية العمودية لأن المخارج والصفات مفهومان صوتيان عضويان يعتمدان النطق والسمع، وبالتالي لا يدرسان إلا الأصوات المفردة على عكس الفونولوجيا التي تدرس الحروف (الفونيمات) في التركيب، وهذه الدراسة هي مناط العلاقات التركيبية في الأصل، لكن تمام حسان لم يركز عليها وأجَّلها إلى دراسة الظواهر السياقية، لكي لا يتناقض مع مبدأ التفريق بين اللغة والكلام.

كما أن الشرطين الأولين لا ينطبقان على الصرف لأن "دراسته لا تكون إلا دراسة رأسية"[2] ، ولا ينطبقان على النحو أيضا، لأنه "ينبني على الاتجاه الأفقي السياقي الذي تدرس فيه العلاقات بين الأبواب النحوية ممثلة في الكلمات"[3]. إن هذان المستويان إذا راعينا شرط الجدولة لا يصلح كل واحد منهما أن يكون نظاما لأنه يفتقد لأحد العلاقتين العضويتين ومن ثم لأحد بعدي الجدول. العجيب في الأمر أن تمام حسان يعترف بذلك فهو يصرح أن "النحو دراسة الجمل التامة من ناحية لعلاقات السنتاجماتية أو السياقية، في مقابل الصرف الذي يدرس العلاقات البراديجماتية أو الجدولية"[4].

سيؤثر ما قيل عن العلاقات والجدول على القيم الخلافية، وهذا لا يعني انتفاءها بشكل كلي، لكنها ستبقى منقوصة في ظل غياب أحد العلاقتين العضويتين، كما سيتسلل

[1] . تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، ص73.
[2] . تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص189
[3] . المرجع نفسه، 192.
[4] . المرجع نفسه، ص 195

اللبس إلى اللغة، لأن أمن اللبس غاية مرهونة بقيام القيم الخلافية بين الوحدات اللغوية في كلا العلاقتين وليس في واحدة منهما.

لم تمنع تلك التناقضات تمام حسان من الإصرار على تلك الشروط الثلاثة، ليترتب عنه القولُ بنظامية ثلاثة فروع هي الصوت والصرف والنحو، وانتفاءُ هذه الخاصية عن المعجم، فهو ليس نظاما، لأن الشروط السابقة لم تتحقق فيه، حيث إنه[1]:

- ليس بين كلمات المعجم أي علاقة عضوية.
- لا يمكن للمعجم أن يوضع في صورة جدول لأنه تنقصه العلاقات العضوية بين مكوناته.
- مجال الاقتراض والاستعارة بين اللغات هي الكلمات المفردة، وهي وحدات المعجم.

خَلُص (تمام حسان) بعد تحديده لمقومات وشروط النظام اللغوي وإسقاطها على المعجم إلى القول إنه ليس نظاما، إنما "قائمةٌ من الكلمات تشتمل على جميع ما يستعمله المجتمع اللغوي من مفردات"[2]. وليس تمام حسان أول من تبنى هذا الموقف بل إنه موقفُ جل اللسانيين المحدثين حتى أواسط سنوات الثمانين على الأقل، "وأول من ذهب هذا المذهب وكان له أثر عميق في من بعده هو اللساني الأمريكي بلومفيلد"[3]. وفي هذا الصدد يستشهد (إبراهيم بن مراد) بموقف تمام حسان من المعجم ويعدُّه "صدى لنظرية بلومفيلد"[4] ،

تخلى اللسانيون التوليديون منذ سنة 1972 عن هذه "النظرة التقليدية للمعجم"[5]، بعد أن دققوا في طبيعة المعجم ووظيفته، فصار المعجم نظاما لغويا، لا على أساس أنه نظام

---

[1] . ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص312 ـ 314.

[2] . المرجع نفسه، ص314.

[3] . إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص11/ ابراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، مجلة المعجمية، تونس، عدد 10/9، 1994، ص32

[4] . المرجع نفسه، ص21/ والمقال نفسه، ص43.

[5] . محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والوظيفة، ص222.

فرعي كبقية الأنظمة الفرعية الأخرى (الصوتي والصرفي والنحوي)، بل اتسع "ليشمل الظاهرة اللغوية كلها إذ سَتُرَدُّ إليه كافة أنظمة اللغة الصوتية والصرفية والنحوية"[1]. لقد صار المعجم على هذا النحو "نظاما عاما وجامعا Système Global لأنظمة صغرى أودنيا Des Sous – Systèmes ومُخبِرا عن حالات وعلاقات لغوية ثابتة عموما"[2]

تعرض موقف تمام حسان بعدم نظامية المعجم للنقد من طرف اللساني التونسي (ابراهيم بن مراد)، إذ رأى هذا الأخير أن الاعتراضات الثلاثة التي قدمها تمام حسان لنفي النظام عن المعجم "قابلة للدحض" [3]، وخَلُص إلى إثبات نظامية المعجم بعد أن ناقش تلك الاعتراضات الثلاث وردها عليه، وذلك لأن "قوامه هو المفردات الدالة، وهذه قابلة للانتظام سواء في شبكات من العلاقات الاختلافية التي تُظهِر المفردة مكتسبةً لخصائص تمييزية تجعلها فردا بذاتها ذات سمةٍ أو أكثر تخالف بها غيرها من الأفراد ، أو ضمن جداول"[4]

طال نقد "إبراهيم بن مراد" الاعتراضات الثلاث، لكنه كان مبنيا بشكل أساسي على مفهوم الكلمة، إذ يرى أن "التحديد الذي قدّمه تمام حسان لها ليس بمستقيم"[5] فالكلمة أو المفردة المعجمية ليست وحدة صوتية صامتة كما يقول تمام حسان، بل هي "الجذوع التي تتولد بعملية تحويل داخلي من مرحلة المركب الصوتي الصامت، إلى مرحلة الجذر ثم إلى مرحلة الجذع، وهذه الوحدة المعجمية لا تتحقق إلا إذا توفرت فيها خصائص تمييزية ضرورية واجبة الوجود تحققُ لها ماهيتها التي تمكنها من اكتساب خاصية التفرد"[6] وتلك الخصائص أربعٌ هي[7]:

---

[1] . فرحات الدريسي، حول نظامية المعجم، مجلة المعجمية، ع 9/ 10، 1994، ص142.

[2] . فرحات الدريسي، حول نظامية المعجم ، ص142.

[3]. إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم ، ص24/ وابراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم (مقال)، ص46.

[4] . المرجع نقسه، ص32.

[5] . المرجع نفسه، ص25.

[6] . إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص26.

[7]. المرجع نفسه، ص26.

- الانتماء المقولي

- التأليف الصوتي

- البنية الصرفية

- الدلالة

وبناءً على هذا النقد صار المعجم نظاما، لأن وحدته الأساسية لم تعد الكلمة الصامتة المخزنة في الذهن –كما يرى تمام حسان – بل هي الجذع الذي يتميز بمجموعة من الخصائص، التي "تتيح للوحدات المعجمية أن تتمايز فيما بينها حسب أنساق معينة من العلاقات الاختلافية"[1].

انتبه تمام حسان لما وقع فيه من نفيٍ لنظامية المعجم، فتدارك ذلك في مقال متأخر[2] أقر فيه بنظامية المعجم لأنه ذو علاقاتٍ بين مكوناته، لكنه قد وقع في سوء تقدير آخر وذلك عندما وضع النظام المعجمي في غير موضعه من النظام اللغوي ككل، حيث يرى أن اللغة نظام أكبر تشمل أنظمة فرعية "بينها علاقات تدريجية، فأدناها النظام الصوتي ثم النظام الصرفي ثم النظام المعجمي ثم النظام النحوي. وكل واحد يقوم مما دونه مقام الثقب الأسود في علم الفلك. فيمتص ما دونه من نظام حتى يصيّره جزءا من تكوينه؛ ليصير النظام الصوتي جزءا من النظام الصرفي، كما يصبح النظام الصرفي جزءا من النظام المعجمي، ويصبح مجموع ذلك جزءا من النظام النحو"[3].

ولئن كان الاطلاع على النظرية التوليدية السبب المؤثر في تغيير موقف تمام حسان فإن هذا السبب لم يكن إيجابيا؛ لأن اكتفاء تمام حسان بالاطلاع على النموذج المعيار من

[1]. إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم ، ص26.

[2] . ينظر: تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص87 – 100.

[3] . تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص89، 90 .

هذه النظرية كان سبب عدم وضع المعجم موضعه المناسب، حيث صار المعاجم في النماذج المتأخرة يحظى بمكانة رئيسية تحول فيها إلى نظام عام تتفرع عنه بقية الأنظمة اللغوية الأخرى.

خـــــــــــــاتمة

لقد توصلت في دراستي هذه إلى جملة من النتائج التي يمكن أن تلامس مسألة تلقي الخطاب اللساني الغربي في الثقافة العربية المعاصرة في كليته، وهي نتائج موجهة بشكل أساسي إلى أعمال اللساني المصري تمام حسان. ومن جملة ما تم التوصل إليه ما يلي:

- النقد والتحليل النقدي من أهم ملامح الممارسة الإبستيمولوجية في اللسانيات، وهذا العمل ليس على نمط واحد فليس كل نقد لساني ينضوي ضمن هذه الممارسة، إذ تتباين الدراسات النقدية بتباين الخلفيات المؤطرة لها، فهناك ما كانت خلفيته النقدية لسانيةً محضة، غايتُها معيارية تتعلق بتصحيح الأخطاء الواردة في بعض الأعمال اللسانية. وهناك ما كانت خلفيته إبستيمولوجية غايتها مساءلة العلم في أسسه وأصوله الظاهرة والمضمرة بأدوات وآليات إبستيمولوجية.
- إبستيمولوجيا اللسانيات في الثقافة العربية ممارسةٌ نقدية ظهرت في شكل مؤلفات در ست المشاكل والعوائق التي حالت دون تلقي وتقدم اللسانيات العربية. وقد تجسد هذا النوع من الدراسة في أعمال اللساني المغربي (مصطفى غلفان) ومن حذا حذوه.
- لا يمكن الحديث عن تلقي اللسانيات في الثقافة العربية بشكل عام مطلق، حيث يتباين وضع اللسانيات من تخصص إلى آخر، وفي المقابل تسمح دراسة تلقي اللسانيات عربيا مع مراعاة التخصصات اللسانية من الوقوف على تفاصيل التلقي ومشاكله بصورة أحسن من صورته الكلية العامة.
- كانت النظرية التوليدية التحويلية أكثر المعارف والتخصصات اللسانية التي تفاعلت مع إبستيمولوجيا اللسانيات في الثقافة العربية، ودليل ذلك مواكبة بعض الكتابات لأحدث تطزرات وهذه النظرية ووعيها بالأسس النظرية والمنهجية ة لهذه النظرية. فكان أن ظهرت محموعة من الكتابات التي تعرض لفلسفة هذه النظرية.

- ضعف الوعي بشروط وخصائص الممارسة العلمية، ومن ذلك عدم صلاحية توصيف (النظرية والنموذج) على الخطاب اللساني عند (تمام حسان)، وذلك لخلطه بين النظرية والتطبيق وعدم تمثُّلِه لجملة من شروط وأسس صياغة النظرية العلمية والنموذج اللساني.
- الخطاب اللساني عند تمام حسان خطابٌ يطبعه التردد والاضطراب، نتيجة عدول صاحبه عن مجموعة من المفاهيم في أعماله دون أن ينتظم هذه التعديلات إطار نظري معين. وتعود هذه الخاصية – بشكل أساسي– إلى تعدد المصادر المتبناة وتباينها. فتمام حسان ينهل من الخطاب اللساني الغربي بتوجهاته وتيارته المختلفة، مما جعل خطابه عرضة لذلك الاضطراب الذي شكل العُدول أهم مظاهره.
- تأثير أفكار (فيرث) و(دي سوسير) – بدرجة أقل – على أعمال تمام حسان في الشق النظري، حيث إن الأسس النظرية المتحكمة في صياغة جزء كبير من أعمال (تمام حسان) كانت كلها مستقاة من هذين المصدرين، وذلك مثل: مفهوم النظام، والسياق، وتشقيق المعنى، والتفريق بين اللغة والكلام.
- لم تكن أفكار (فيرث) و(دي سوسير) هي المؤثر الأساسي في أعمال (تمام حسان)،كما هو متداول عند البعض. بل إن تأثير هذين المصدرين كان محصورا في الجانب النظري، أما من الناحية المنهجية فقد أثرت اللسانيات الأمريكية معلى أعمال (تمام حسان).
- تأثير التفريق بين اللغة والكلام ومفهوم النظام على وصف اللغة العربية عندما تمام حسان، حيث كان يلجأ عند التعارض مع هذين المبدأين إلى تقسيمات جديدة، أو تطويع بعض المفاهيم المستعملة أو اختلاق أخرى جديدة تتوافق مع هذين المبدأين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **الكتب العـــربية:**

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة،(د ط)، (د ت).
2. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984.
3. إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.
4. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، 1997.
5. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998.
6. أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية ـ قضايا ومقاربات، مطبعة الكرامة، الرباط، ط1، 2005.
7. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ـ مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط2، 2010.
8.
9. أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي الفكر اللغوي العربي ـ الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.
10. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985.
11. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008.
12. أحمد مومن، اللسانيات ـ النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 2005.

13. بناصر البعزاتي، خصوبة المفاهيم في بناء المعرفة ـ دراسات ابستيمولوجية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2007.

14. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، (د ط)، 1995

15. تمام حسان، اللغة العربية بين الوصفية والمعيارية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2001.

16. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د ت)

17. تمام حسان، الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ـ النحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، 2000.

18. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج1/ ج2، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006

19. تمام حسان،التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، سلسلة دراسات في تعليم اللغة العربية، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1984.

20. تمام حسان، اجتهادات نحوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006.

21. تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000.

22. جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية ـ دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007.

23. جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية لكلام العرب نظرية وتطبيق ـ دراسة بنيوية، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة، (د ط)، 1995.

24. حازم علي كمال الدين، نظرية القوالب من نظريات علم اللغة الحديث، حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، (د ط)، 2002.

25. حافظ إسماعيلي علوي والمحمد الملاخ، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

26. حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس. بيروت، ط1، 2009.

27. حسين رفعت حسين ، الموقعية في النحو العربي – دراسة سياقية،عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2005.

28. حمزة بن قبلان المزيني، مراجعات لسانية، كتاب الرياض ، السعودية، رقم 79، 2000،

29. حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (د ط)، 2013 ،

30. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (د ط)، 1988.

31. رشيد بوزيان، الموازنة بين نحو سيبويه ونحوتشومسكي – دراسة في مكونات الترادف والتباين والتكامل، (د ت)، (د ط).

32. سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام ـ صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، 2000.

33. سعد عبدالعزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة ـ دراسات ومثاقفات، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004.

34. سعيد حسن بحيري، عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه – محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، ط1، 1989.

35. سمية المكي، التنوع المقياسي لنظرية الربط التوليدية ـ دراسات تطبيقية على العربية، المنشورات الجامعية بمنوبة، تونس، ط1، 2013.

36. سمية المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013.

37. صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2000.

38. صالح ناصر الشويرخ، قضايا معاصرة في اللسانيات التطبيقية، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط1، 2017.

39. عبدالحميد عبدالواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، وحدة بحث اللسانيات والنظم المعرفية المتصلة بها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، ط1، 2007.

40. عبدالرحمان الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012.

41. عبدالرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، 2، موفم للنشر، الجزائر،(د ط)، 2012.

42. عبدالرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، (د ط)، 2012.

43. عبدالرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، دار موفم ، الجزائر، 2007،

44. عبدالصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1993.

45. عبدالعزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط2، 2007.

46. عبدالقادر الفاسي الفهري، البناء الموازي – نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، دار توبقال ، الدار البيضاء، ط1، 1990.

47. عبدالقادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية – نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، الرباط، ط3، 1993.

48. عبدالقادر المهيري، نظرات في التراث العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993.

49. عبداللطيف صوفي، مدخل إلى علم الببليوغرافيا والأعمال الببليوغرافية، دار المريخ، الرياض، 1415هـ،

50. عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995.

51. عزالدين المجدوب، المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، كلية الآداب (سوسة)، تونس، (د ط)، 1998.

52. فاطمة الطبال بركة، الألسنية عند رومان جاكوبسون – دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993.

53. فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004.

54. فخرالدين قباوة، التحليل النحوي – أصوله وأدلته، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط1، 2002.

55. كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي، إجراءاته ومناهجه، دار غريب، القاهرة، ط1، 2011.

56. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، (د ط)، 2005.

57. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، (د ط)، 2000.

58. مازن الوعر، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار طلاس، دمشق، 1989،

59. مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس، دمشق، 1988.

60. مبارك حنون، مدخل إلى لسانيات سوسير، دار توبقال، الرباط، ط1، 1987.

61. مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية – نموذج الوقف، منشورات الإحتلاف، الجزائر، ط1، 2009.

62. مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995.

63. مجموعة من الباحثين، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ مكتب تنسيق التعريب، الدار البيضاء، (د ط)، 2003 .

64. مجموعة من الباحثين، إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين – مختارات معربة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، ط1، 2012.

65. مجموعة من الباحثين، تمام حسان رائدا لغويا – بحوث ودراسات مهداة من تلامذته وأصدقائه، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006.

66. محمد حماسة عبداللطيف، النحو والدلالة ـ مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000.

67. محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986.

68. محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 2002.

69. محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، مطبعة الفرزدق التجارية، الرياض، ط1، 1982.

70. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004.

71. محمد محمد يونس علي، المعنى وضلال المعنى- أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الاسلامي، بيروت، ط2، 2007،

72. محمد محمد العمري، الأسس الأبستمولوجية للنظرية اللسانية (البنيوية والتوليدية)، دار أسامة، عمان، ط1، 2012.

73. محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي . مدخل إلى اللغوية عند هاليداي، دار ملتقى الفكر، القاهرة، ط2، 2001.

74. محمود السعران، علم اللغة . مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ت).

75. محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة . دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2011.

76. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 1997.

77. مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، عمان، ط1، 2002.

78. مصطفى أبو الخير، علم اللغة التطبيقي، بحوث ودراسات، دار الأصدقاء، القاهرة، 2006، ص06.

79. مصطفى حميدة، نظام الربط والارتباط، الشركة المصرية العالمية للنشر ومكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، بيروت، ط1، 1997.

80. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسة رسائل وأطروحات، جامعة الحسن الثاني عين الشق، المغرب، 1998.

81. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية ـ أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013.

82. مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2013.

83. مصطفى غلفان بمشاركة امحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي ـ مفاهيم وأمثلة، علم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2010.

84. مصطفى غلفان في اللسانيات العامة، تاريخها.طبيعتها. موضوعها. مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة طرابلس .بيروت، ط1، 2010،

85. مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006،

86. مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2018.

87. منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 2001.

88. ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية – النظرية الألسنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986.

89. وليد العناتي، العربية في اللسانيات التطبيقية، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2012،

90. يمنى طريف الخولي، مشكلة العلوم الانسانية . تقنينها وإمكانية حلها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

- **الكتب المتـــرجمة:**

1. اف. ار. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر: مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد، (د ط)، 1985.

2. آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد السيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2003.

3. برجشتراسر، التطور النحوي، ترجمة: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994.

4. بريتل مالمبرج، علم الأصوات، تر: عبدالصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، (د ط)، 1984.

5. بريجيته بريتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة: حسن بحيري، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2004.

6. بيتر ليدفوجد، مبادئ علم الأصوات الأكوستيكي، ترجمة جلال شمس الدين، ط1، 1992.

7. بيير جيرو، علم الدلالة، تر: منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، ط1، 1988.

8. ترينس مورو وكريستين كارلنغ، فهم اللغة . نحو علم لغة لما بعد مرحلة جومسكي، تر: حامد حسين الحجاج، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1998.

9. جاك موشلر و أن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، المعهد التونسي للترجمة، تونس، (د ط)، 2010.

10. جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، تر: صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، (د ط)، 1966.

11. جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهرة الشرق، القاهرة، ط1، 2003.

12. جوروج مونان، سوسير أو أصول البنيوية، تر: جواد بنيس، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط1، 2016.

13. جون روبنز، موجز تاريخ علم اللغة عند الغرب، تر: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، نوفمبر 1997.

14. جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1985.

15. جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض، (د ط)، 1997.

16. جيني توماس، المعنى في لغة الحوار. مدخل الى البراغماتية (التداولية)، تر:نارزك ابراهيم عبدالفتاح، دار الزهراء، الرياض، ط1، 2010.

17. روبرت دي بو جراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، .1998

18. روبير مرتان، مدخل لفهم اللسانيات . ابستيمولوجيا أولية لمجال علمي، تر: عبدالقادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007.

19. روجيه فان دي فيلد، اللسانيات البنيوية بوصفها علما، تر: منذر عياشي، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، دمشق، عدد369، 1994.

20. سيلفان أورو. جاك ديشان , جمال كولوغلي، فلسفة اللغة، تر: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012.

21. فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1985

22. فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار أفاق عربية، بغداد، (د ط)، 1985.

23. فرديناند دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، تر: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (د ط)، 1985.

24. فرديناند دي سوسير، في جوهري اللغة، تر: مختار زواوي، دار ابن النديم للطباعة والنشر، الجزائر/ دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت، ط1، 2019.

25. فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، (د ط)، 1986.

26. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2007.

27. كاترين فوك وبيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، (د ط)، 1984.

28. ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبدالعزيز مصلوح و وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000.

29. ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998.

30. مولز ـ زليتمان ـ أوركيوني، في التداولية المعاصرة، فصول مختارة، تر: محمد نظيف، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د ط)، 2014.

31. نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005.

32. نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة – محاضرات ماناجوا، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1990.

33. نوم تشومسكي، المعرفة اللغوية ـ طبيعتها وأصولها واستخداماتها، ترجمة محمد فتيح ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1993.

34. نوم تشومسكي، البنى النحوية، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987.

35. هاري فان درهالست، نورفال سميث، الفونولوجيا التوليدية الحديثة، تر: أحمد العلوي ومبارك حنون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1992.

- **المقـــــــالات:**

1. إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، مجلة المعجمية، تونس، عدد 10/9، 1994.

2. إدوارد سعيد، انتقال النظريات، مجلة الكرمل، مؤسسة بيسان للصحافة والنشر والتوزيع، الكويت، عدد 09، 1982.

3. امحمد الملاخ، المقاربة الإبستيمولوجية في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، مجلة تبين، العدد 10، 2014،

4. تمام حسان، أصول النحو وأصول النحاة. مجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، عدد10، 1977.

5. فرحات الدريسي، حول نظامية المعجم، مجلة المعجمية، تونس، ع 9/ 10، 1994.

6. عبدالرحمان بن حسن عارف، في المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام حسان، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، مج 10، عدد1، 2007.

7. عبدالسلام المسدي منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عدد 83، 2003.

8. عبدالقادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للأفاق، ضمن: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991.

9. عبدالقادر الفاسي الفهري، أساسيات الخطاب العلمي، ضمن: المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2001

10. عبدالنبي سفير وبن عيسى زغبوش: بيبلوغرافيا الأعمال اللسانية بالمغرب، مجلة معرفية، جمعية البحث في العلوم المعرفية والترجمة، المغرب، عدد 3/2، 1999،

11. عزالدين البوشيخي، مفهوم النموذج اللساني وشروط بنائه، ضمن: اللسانيات واللغة العربية بين النظرية والتطبيق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، سلسلة ندوات، 1992

12. عزالدين المجدوب، ثلاث ترجمات لكتاب فردينان دي سوسير، حوليات الجامعة التونسية، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، تونس، عدد 26، 1987.

13. فرحات الدريسي، حول نظامية المعجم، مجلة المعجمية، ع 9/ 10، 1994.

14. مازن الوعر، حوار مع تشومسكي، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، عدد 6، 1982.

15. محمد خاين، اللسانيات التطبيقية وسؤال التخصص، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، السعودية، عدد08، 2018.

16. محمد الشاوش، سوسر والألسنية، ضمن: أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، (د ط)، 1986.

17. محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والوظيفة – من خلال كتاب تمام حسان (اللغة العربية معناها ومبناها)، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، عدد17، 1979.

18. محمد غاليم، عن البحث الدلالي العربي، ضمن: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991.

19. محمد وهابي، إبستيمولوجيا اللسانيات العربية ـ تأملات في خطاب المقدمة، مجلة مقاربات، الرباط، عدد06، أكتوبر 2010.

20. مرتضى جواد باقر، مفهوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، عدد 34، 1990.

21. منذر عياشي، مناهج اللسانيات ومذاهبها في الدراسات الحديثة، مجلة ثقافات، كلية الآداب، جامعة البحرين، عدد 15/ 16، 2005.

22. يوسف منصر، الخطاب اللساني المغاربي، مجلة تواصل، جامعة باجي مختار عنابة، عدد18، 2007.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
مقدمة	**أ ـ و**
مدخل: إبستمولوجيا اللسانيات في الثقافة العربية	**08 ـ 29**
1/ إبستيمولوجيا اللسانيات:	14
2 / الوعي الإبستيمولوجي ونشأة ابستيمولوجيا اللسانيات	18
2 ـ 1/ الوعي الابستيمولوجي في اللسانيات عند الغربيين:	18
2 ـ 2/ الوعي الإبستيمولوجي في اللسانيات عند الباحثين العرب:	20
3/ مظاهر وتجليات البحث الإبستيمولوجي في الكتابة اللسانية العربية:	21
3 ـ 1/ الـــوصف	21
3 ـ 2/ التأريخ	22
3 ـ 3/ الأدلة الببليوغرافية	23
3 ـ 4/ المراجعة	24
4 / أنماط البحث الإبستيمولوجي في الكتابة اللسانية العربية:	24
4 ـ 1/ دراسات نقدية قطرية	25
4 ـ 2/دراسات نقدية مرحلية	27
4 ـ 3/دراسات نقدية تخصصية	28
الفصل الأول: تلقي اللسانيات في الثقافة العربية	**32 ـ 92**
1/ تلقي الفروع اللسانية في الثقافة العربية:	34
1 ـ 1/ تلقي علم الأصوات في الثقافة العربية	35
1 ـ 1 ـ 1/ الكتب الصوتية المترجمة:	37
1 ـ 1 ـ 2/ الكتب الصوتية العربية:	41
1 ـ 2/ تلقي علم الدلالة في الثقافة العربية:	45

1 ـ 2 ـ 1/ الكتب المترجمة:	46
1 ـ 2 ـ 2/ الكتب العربية في علم الدلالة:	48
2/ تلقي النظريات والاتجاهات اللسانية في الثقافة العربية:	52
2 ـ1/ تلقي اللسانيات البنيوية الوصفية في الثقافة العربية:	52
2 . 1 . 1/ تلقي الفكر اللساني السوسيري في الثقافة العربية:	55
2 .1 . 1/ التلقي الكلاسيكي لدي سوسير (المحاضرات) في الثقافة العربية:	56
2 . 1 . 2/ التلقي الجديد لدي سوسير في الثقافة العربية:	60
2 . 1 . 3/ تلقي نظريات واتجاهات لسانية بنيوية أخرى في الثقافة العربية:	64
2 . 2/ تلقي النظرية التوليدية التحويلية في الثقافة العربية:	67
2 ـ 2 ـ 1/ الكتب المترجمة:	71
2 ـ 2 . 2/ الكتب التوليدية العربية:	75
2 ـ 3/ تلقي الاتجاه التداولي الوظيفي في الثقافة العربية:	80
2 . 3 . 1/الكتب المترجمة إلى العربية في التداولية:	80
2 ـ 3 . 2/ الكتب العربية في التداولية:	84
3/ تلقي اللسانيات التطبيقية في الثقافة العربية:	84
3 . 1/ الكتابات اللسانية التطبيقية العامة في الثقافة العربية:	86
3 . 2/ الكتابات اللسانية التطبيقية المتخصصة في الثقافة العربية:	89
الفصل الثاني: تلقي الأسس النظرية للسانيات في أعمال تمام حسان	**94 ـ 155**
1/ الجهاز الواصف للخطاب اللساني في أعمال تمام حسان:	94
1 . 1/ توصيف النظرية Théorie في أعمال تمام حسان:	94
1 . 1 . 1/ موضوعُ نظريةِ تمام حسان:	95...
1 .1 . 2 / منهج نظرية تمام حسان:	99

1 . 1 . 3/ الغاية في نظرية تمام حسان:	100
1 . 1 . 4/ شروط النظرية:	103
1 . 1 . 4 . 1/ الانسجام:	103
1 . 1 . 4 . 2/ معيار القابلية للدحض والإبطال:	106
1 . 2/ توصيف النموذج Modèle في أعمال تمام حسان:	107
1 . 2 . 1/ مفهوم النموذج وأسلوب النمذجة:	110
1 . 2 . 2/ النموذج وأسلوب النمذجة في اللسانيات:	111
1 . 2 . 3/: نموذج كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) 1973:	112
1 . 2 . 3 . 1/ بنية نموذج تمام حسان	114
1 . 2 . 3 . 2/ نموذج كتاب اللغة العربية 1973 والنماذج الأخرى:	115
1 . 2 . 4/ مدى توفر شروط النموذج في أعمال تمام حسان:	118
2/ مصادر ومرجعيات الخطاب اللساني في أعمال تمام حسان:	119
2 . 2 . 1/ المصادر التراثية	123
2 . 2 . 2/المصادر اللسانية الغربية:	127
3 / الأسس النظرية في أعمال تمام حسان:	131
3-1/التفريق بين اللغة والكلام:	131
3-2/ النظام اللغوي وتعدد النظم:	135
3-3/ المعنى وتشقيقه:	138
3-4/ السياق:	141
4 / اللغة الواصفة للخطاب اللساني في أعمال تمام حسان:	141
4 – 1/ المصطلح اللساني عند تمام حسان:	141
4 – 2/ الوسائل الإيضاحية:	146
4 -1/ الجداول والمشجرات:	147
4 – 2/ الشواهد والأمثلة:	148

4 – 3 / أسلوب التمثيل:	153
الفصل الثالث: تلقي الأسس المنهجية للسانيات في أعمال تمام حسان	**157 ـ 219**
1/الدراسة الوصفية للغة عند تمام حسان	157
1 . 1/ تعريف الدراسة الوصفية للغة عند تمام حسان:	160
1 . 2/ الدراسة الوصفية والتفسير:	163
1 . 3/ الدراسة الوصفية والمعيارية:	165
1 . 4/ الوصفية ونقد النحو:	169
1 . 5/ الدراسة الوصفية بين الشكل والمعنى:	172
2/ تقنيات وأدوات الوصف اللساني عند تمام حسان:	174
2 . 1/ المتن اللغوي/ المدونة Corpus:	174
2 . 2 / مساعد البحث:	178
2 . 3/ التجربة اللسانية:	184
2 . 4/ مستويات التحليل اللساني:	187
3/ التحليل البنيوي عند تمام حسان:	193
3 . 1/ الوحدات اللسانية Unités:	194
3 . 1 . 1/ الوحدة الصوتية	195
3 . 1 . 2/ الوحدة الصرفية:	201
3 . 1 . 3/ الوحدة النحوية:	202
3 . 1 . 4/ الوحدة المعجمية:	204
3 . 1 . 5/ الوحدة الدلالية:	206
3 . 2/ النظام اللغوي ونظامية اللغة العربية:	208
3 . 2 . 1 / تعريف النظام اللغوي عند تمام حسان:	208
3 . 2 . 2/ الأسس التي بنى عليها تمام حسان مفهوم النظام:	212
3 . 2 . 3 / شروط النظام اللغوي عند تمام حسان:	214

خاتمة	221
قائمة المصادر والمراجع	224
قهرس الموضوعات	239

الملخص:

تندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات النقدية للمُنجز اللساني العربي، فهي تسعى إلى رصد جانبٍ من إشكالات تلقي اللسانيات في الثقافة العربية، وقد اخترت لتحقيق هذه الغاية أعمال اللساني المصري "تمام حسان"، لما حوته أعماله من جدةٍ وجرأةٍ في إعادة وصفِ اللغة العربية من منظور لساني. ولإعطاء مشروعيةٍ للدراسة كان من اللازم الإجابة عن إشكالية الأطروحة من خلال تحديد مظاهر وأسباب أزمة تلقي الخطاب اللساني الغربي في أعمال "تمام حسان"، حيث مكّننا استقراء هذه المدونة اللسانية من الوقوف على مجموعة من الإشكالات على المستويين النظري والمنهجي، مما كان له أثرٌ على تلقي الخطاب اللساني الغربي من ناحية، واصطباغ تلك المدونة بالتردد والاضطراب من ناحية أخرى. وفي كلا الحالتين تأثرت محاولة تعريب وتوطين اللسانيات في ثقافتنا العربية؛ فعلى المستوى النظري لم تسلم أسس صياغة النظرية (ما سمي بنظرية القرائن النحوية)، وعلى المستوى المنهجي لم تستوِ أدوات الوصف اللساني والتحليل البنيوي للغة العربية.

الكلمات المفاتيح: أزمة . تلقي . الخطاب اللساني . تمام حسان

Résumé

La présente recherche s'inscrit dans le cadre des études critiques focalisées sur les réalisations linguistiques arabes. En effet, elle tend à mettre en exergue un aspect relatif à la réception de la linguistique dans la culture arabe. En vue de parvenir à cet objectif, nous avons mis l'accent sur les travaux de l'égyptien Tamam HASSAN dans la mesure où ils sont caractérisés par leur nouveauté et leur audace en décrivant la langue arabe d'un point de vue linguistique. Dans le but de donner une légitimité à notre recherche, nous avons rigoureusement tenu à répondre à la problématique soulevée par notre thèse doctorale en déterminant les manifestations et les causes qui sous-tendent la crise de réception du discours linguistique occidental dans les travaux de Tamam HASSAN. Pour ce faire, nous avons procédé à une lecture analytique de son œuvre. Par voie de conséquence, nous nous sommes avisé de la présence d'un ensemble de problématiques inhérentes aux deux niveaux théorique et méthodologique qui impactent d'une part la réception du discours linguistique occidental et de l'autre part la cohérence de l'œuvre perçue comme étant incohérente et désordonnée. Dans les deux cas, la tentative d'arabisation et d'appropriation de la linguistique a été influencée par la culture arabe ; sur le plan théorique, les soubassements de la théorie de l'auteur nommée les référents grammaticaux n'ont pas été affinés, et sur le plan méthodologique, les outils de description et d'analyse structurale de la langue arabe n'ont pas été bien déployés.

Les Mots Cles: Crise . Réception . Discours linguistique . Tamam HASSAN